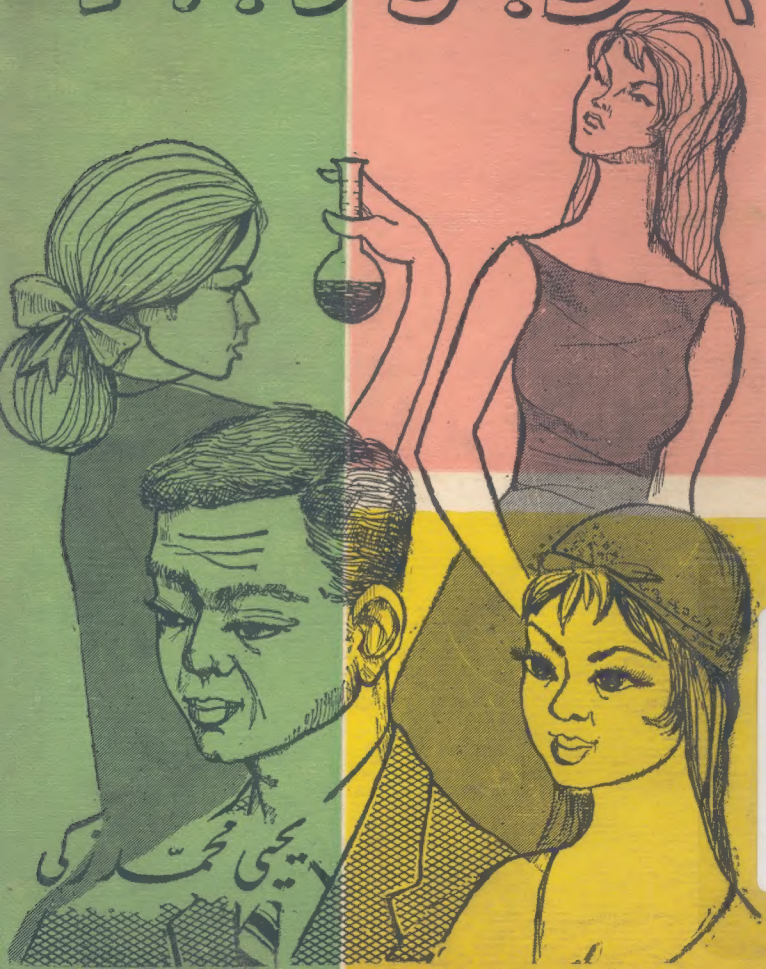


الخواجہ از النجاشیۃ



یحییٰ محمد سہیل

الخواجر الزجاجة

يحيى محمد زكي

القاهر دار النهضة العربية

رقم الإيداع ٦٦٠١ / ١٩٧٠

دار النهر للطباعة

٨ طابق - صوفيا - زوت ٢١٧٤٨

الفصل الأول

إيقاع القباقيب

— ١ —

الزمان : ١٩٦٢ علامة على طريق الأحداث .

المكان : القاهرة وإيست كل السكان .

الحى : بولاق حى شعبي تميزه سمات خاصة .

المنزل : لا قيمة للنزل أو لرقه فيما عدا تلك الفرقة التى بسطحه فلها من الامر شأن .

الحى من أحياء القاهرة القديمة . كان مركزاً صناعياً وتجارياً هاماً
أ كسب أهله مهارات حرفية نوارثوها عن أجدادهم تجعلهم يفضلونها في
كسب عيشهم . أما المنزل فن أربعة طوابق ويعلو الدور الملاصقة بمأجيه
لساكنيه عندما يصعدون السطح آفاقاً من الرؤية تسمح بالتاريخ . على المدى
القريب مأذن لمساجد متناثرة عايشت مراحل مضيئة أوقاته من تاريخ مصر
ولا بد لهم أن يشاهدوا النيل الخالد باعث الحضارة منذ آلاف السنين يفتح
براه العنيد وعلى شاطئته الغربى من الجهة البحرية تنتصب مداخل مصانع
الطوب تقذف دخانها الاسود . تريد أن تملأ أبراج صوامع الفلال الحديثة .
أما في الجهة القبلية فهم يطلمون على برج الجزيرة ذى الخطوط الخربانية

المتقاطعة تشكل نهاياتها كوهرة الموتى في وحدات متماثلة تدرجها النظرة العامة ولا تلم بتفصيلاتها . وعلى الألف البعيد تظهر أهرامات الجيزة كأشباح رابضة بصدرها على ربوة عالية رقب القاهرة منذ أن كانت ومنف المظيمة .

تلك هي الصورة التي يتمتع بها قاطنا الغرفة الوحيدة بالسطح وهما حسن العفيفي وابن عمه محمود العفيفي . شابان قادمان من القرية المصرية التي دأبت أخيراً على أن تخفف عن نفسها فتدفع بشبابها إلى المدن سعيًا وراء مجالات من الرزق أوسع أو احتيالا لفرص التعليم المفتوحة . قدما من كفر مغط شرقية . الأول ليعمل سائقاً في إحدى شركات النقل العامة ، والثاني يدرس في السنة النهائية بكلية الزراعة جامعة القاهرة .

لم تكن الغرفة هي مكان الإقامة الوحيد بالسطح بل هناك أما كن أخرى الدجاج والأوز في أقفاص وعشش يملكها أصحاب الطوابق السفلى .

الغرفة متسعة ويزيدها اتساعاً قلة قطع الأثاث بها . يمتلك معظمها حسن . أم ما بها سرير كبير ذو أعمدة حديدية سوداء ترتفع نحو السقف عليه ملاءة كالخ . وفي الوسط أربع مائدة مستديرة عليها بعض أدوات الشاي والطعام وبعض الكتب . وحولها كرسيان متواضعان . وفي الجانب الآخر من الغرفة أربعة طاولات نافذة كبيرة رص على حافتها كتب ومراجع وأوراق خاصة بمحمود . وعلى الحائط ثبنت امرأة صفراء تستند إلى راف خشبي عليه عدة حلقة ومشط وقطعة صابون . ودقت عدة مسامير كبيرة إلى الحائط وحلت بالقليل من الملابس .

ويعبر النافذة سلك كهربائي قادم من الشقة السفلى وتمتد إلى السقف حيث تقدل منه لبه كهربائية متواضعة تمتح رفيفتي الغرفة الضوء . وينتهي هذا السلك الرفيع من نوع من العلاقة بين قاطني الغرفة وأصحاب تلك

الشقة . وهي بالتحديد شقة عبدالله إبراهيم أو عم عبدالله ، كما يطلق عليه .
تقيم معه زوجته سنية وستة من الأبناء كبراهم فاطمة . فتاة غضة يفوح
منها عبير الشباب لم تزل من التعليم إلا الصف الثاني من المرحلة الإعدادية
ثم حُجبت في المنزل لتأهيلها للزواج أو لمعاونة أمها في خدمة تلك الأسرة
الكبيرة .

في مثل هذه الساعة من كل صباح تنشط فاطمة في تنظيف وترتيب
المكان .. إلا أن ذلك العمل لا يصرفها عن أية حركة أو صوت يأتيها من
الغرفة العليا في دأمة التنبيه لها خاصة لطرقات ذلك القيقاب . وما اهتمامها
إلا بصاحب القيقاب ، ويأتيها الإيقاع الحبيب وتوقف ترهف السمع ،
وعندما يتيقنه ترك الحاف الذي شرعت بنشره على حافة النافذة . ثم تسمع
خريف ماء العنبور ثم حركات متداخلة يختفي معها إيقاع القيقاب ويصدر
يدها خطوات خفيفة لأقدام فتفتل حذاء وتتم : « يبقى لازم خارج »

وعندئذ يفتأها نشاط من خلج إلى ليس وكأنها مست بتيار كهربائي
وتهذب شعرها بسرعة لسكنها عندما تنظر إلى المرأة تتأني وتشد
فتحة صدر الفستان تحبكه عليها وتظهر قليلا من ذلك الأخدود الفار بين
نهديه . وتوجه إلى باب الشقة . وتصادف أمها بقامتها الفارعة فتسألها :
« رايحه فين ع الصبح ؟ »

— طالمة لسي محمود علشان يشغل بطاريات الراديو .

— وهي حكمت دلوقتي .

— اصله رايح الكلية ويمكن ما يرجش إلا بالليل .

— هو مش أبوكي نيه عليكي من طلوع السطح لوحده .

وتثور فاطمة لهذا الاعتراض وتقول « منعوني عن المدرسة وعن
الخروج وكان تحوشوني من السطح » .

ونحاول الام تهدئة الفتاة قائلة : تعالى نرتب الفراش وبعد ان اطلعت .
وفي الغرفة نفسها يبدو محمود متجهزاً للخروج ويشرب كوب شاي
التي أعدها لنفسه . لكن إقتحام حسن عليه الغرفة يهرمه من خلوته ويسأله :
خير إيه الى رجلك تاني ؟

— الموايد اتغيرت ح اطلع بالليل .

— يعني مش ح تنام الليله هنا .

— أيوه وحلال عليك السرير .

ويدفع محمود إليه كوب الشاي قائلاً : « خذ .. إعدل دماغك ، ثم
يشرح في إعداد أخرى وهو يتابع كلامه ، والله يا أبو علي سواقة الليل
دى متعبة لك لكن با ترحم من نوم الكتبه ، ويشير إليها .

— ولا يهمك كلها كام شهر وتوظف وتشرى الدولاب والسرير
وإلا العروسة تجيبهم ؟

— عروسة إيه وسرير إيه . أنا حاوز أخلص وأساعد أبوي .

— فيك الحظ والله .

— أبوي تعب وشق علشانى وعلى الأقل أساعده في تعلم صابر
ولا اسماعيل .

— وم لازم يكلوا علامهم ؟ مالها السواقة ولا الحراطة ولا التجارة
ولا حتى الفلاحة ؟

— كل شئ نصيب . قولي قبل ما أنسى مفيش هندكم عريه رايحه
أنوحى الكفر .

— أسالك وإن شاء الله تقضى .

وهنا يأتي إلى سمعها طرقات خفيفة على الباب يعقبها صوت ناعم
دسى محمود . . دسى محمود . . .

ويلتفت حسن نحو الباب وقد نشطت تعبيرات وجهه وانتمت عيناه
ويقول د دى فاطمة . . إيه اللى جابها ، ثم يفتح الباب ويتصدره بجسده
وعيناه تمسح فاطمة من رأسها إلى عنقها إلى خصرها حتى ساقها وترتد
مرة أخرى إلى الصدر المتكور . تفاجأ فاطمة بحسن وتشيق د . . دسى
حسن . . حسن . . .

حسن — أيوه دسى حسن .

فاطمة — ألانى عندكم حجر بطاريه للراديو !

حسن — ما كانش يتز الى حيلتنا بطاريات عرييات .

ويتحرك محمود إلى الباب ليدخل فى المناقشة وتراه فاطمة من فوق
كتفى حسن فتقول د أصل دسى محمود كان قال إنه يقدر يصلح البطاريات
القديمة . . قلت يمكن هندكم حاجة زيادة ،

محمود — طيب يا فاطمة روى هاتى الحجارة القديمة وأنا أشغلها
وتذهب الفتاة . ويلتفت حسن إلى محمود فى شك وريبة ويعقب وأنا شايف إن
موضوع البطاريات سام علشان تطلع هنام . ولما لم يجد رد آمن محمود يقول :
— والبت طالعه بستان حيا كلها ولما شافتنى اترعبت كانت عاوزاك
لوحدك .

— إيه اللى بتقوله ده . . فاطمة أخلاقها كويسه ولسه صغيرة .

— صغيرة . . معندهاش ١٨ ، ١٩ سنة يعنى تتجوز وتحلف كان .

وتتلاقى أمها بترقها علشان تجيب رجلك .

— فضلك من السيرة دى .

— أمال الدروس المخصوصى الى طالع نازل تديها للحبيب أخوها
تفسرها بآيه ؟

— جيران وبأس اعدم .

— وأطباق المحشى والقنة والكنافة الى رايحه وجايه .

— نظير الدروس .

— هاو . . دى عاشان تدوق طيبخ العروسة يعنى جر بعن ثم جر

قلب ثم جرك للآذون يا عريس الغفلة .

ويرد محمود غاضباً ، مادام تفكيرك كده أنا ح أبطل الدروس ومفيش

حد منهم ييجى هنا . .

ويتراجع حسن إزاء غضب محمود فيحاول استرضاءه ، وده معقول

ح تقول ليه لراجل الطيب عم عبد الله . . . ح تعمل ليه لما الست سذيه

تقطع سلك النور (مشيراً إليه) .. ح تذاكر فين . .

— عند أى حد من صحابى ... على لمبة جاز .

ويقتررب حسن منه ويضع يده على كتفه وبلهجة هادئة ، وأطباق

المحشى والذى منه ح تأكلها عند صبحك . ماتخدش فى بالك يا أبوحنفى

أنا بحسك أحسن تسكون متعلق بالبت ولا غاويها . .

وتظهر فاطمة . جاءت ثلث . صدرها يعلو ويهبط بشدة . وينسى حسن

ما كان من حديثه مع محمود وينصرف إلى فاطمة بكل حواسه يستمتع

بصدرها اللاهث . وتأتى فاطمة بحركة لا إرادية بيدها على صدرها تخفى

أخدود نهدىها ويتنبه حسن لتلك الحركة فيقول لها بلهجة لطيفة ، هاتى

الحجارة وأنا ح أخلى محمود يصلحها . .

وتندم فاطمة لابتعاد محمود عنها وهو المقصود بحركاتها فتمتد

القول لعله يقترب وتوجه إليه الحديث ، ومقام سيدى أبو العلا لانت
مخلصها اليلة قبل المسلسلة .

ويضطر محمود لإجابتها ، إن شاء الله .
فاطمة — خلتكم بمافية .

يضع حسن البطاريات على المائدة وفي محاولة لجذب محمود من دائرة
صمته يخاطبه ، أنا نازل ح أتفدى بره وبعدها ع الجراج ، ثم توجه إلى الباب
ويواصل كلامه ، وإذا لقيت عربية مسافرة الشرقية ح اسيتلك خبره .
— ربنا يسهل .

— طيب السلام عليكم .

ولا يستطيع محمود أن يستمر في جفوته فيقول و ترجع بالسلامه...
خلى بالك من نفسك ، ويتسلمان إعلاناً لانهاء الحديث المتوتر .

— ٢ —

يمود محمود من الكلية مساء وحين يضع كتبه على المائدة يرى
البطاريات راقدة في مكانها ويتذكر الوعد المضروب وينشط يحضر قطعة
من الخيط يربط بها البطاريات ويبلل الأبريق ماء ويضعه على الموقد
ويدل فيه البطاريات وعندما تغلى الماء يرففها ويحففها جيداً ثم يتركها
لتبرد ويختبرها واحدة تلو الأخرى بلبنة صغيرة . فتضوء ويسر لنجاحه
في لإنجاز ما وعد .

يهبط إلى الطابق السفلى ليعيد البطاريات إلى فاطمة . ويفتح الباب
رجل قارب نهاية الحلقة السادسة من عمره . يلبس جلباباً أبيض وطاقية
ينحنى بها شعره المشيب وقد أمسك بيده فوطه صفراء رخيصة يسمح بها
فه من آثار طعام ذلك . هو عم عبدالله كاتب القيودات بمرق مياة القاهرة
ويرحب بمحمود قئلا ، أهلا ههندستا... اتفضل .

يظل محمود واقفاً ينظر إلى ما بعد كتفي الرجل فيجد الأميرة جالسة
حول المائدة يتناولون وجبة العشاء المسكونة من عدة أطباق من الفول
المدمس والعديد من أرغفة العيش المقدد وحرمة أو أكثر من الجرجير
وتسقط عيناه على فاطمة التي تنفض من بصرها في خجل واضح .

يقدم محمود البطاريات إلى الرجل الذي لا يدري من مرها شيئاً
فيستأمل بدهشة « بطاريات . . . بطاريات إليه ؟ »

وتجذب فاطمة ملابسها لتدخل وتنفذ الموقف وتنهض المرأة
بجسمها المتقشر وفستانها القاتم الذي تعتمد ارتداده كثيراً لتظهر نضاعة
بشرتها البيضاء . وقد غطت رأسها بمنديل زاهي اللون يمنحها طيف
الربيع في خريف عمرها وتقف تدعو محمود « اتفضل أتعشى معانا » .
محمود — متشكر متعدي وخرى .

سنية — ومقام سيدي أبو العلا لآنت متعشى معانا الليلة .

عم عبد الله — ادخل يا بني متزعشى أم مختار منك .

ويدخلون وتجهز فاطمة بسرعة مكاناً وأدواتاً لمحمود بجوار أبيها .
وتعد الأم طبق فول وتغمره بالزيت والليمون وتطلق « فول زي الزبدة
مدمساه بايدي ولا بتاع أبو ظريفة » .

عم عبد الله — تحلم ليدك يا أم مختار .

سنية — آهو شوية الفول دول كان يشتريهم عمك عبد الله بعشرة
قروش دلوقتى اشتري الكيلو الناشف بثمانية قروش يعيشنا ثلاث مرات .
عبد الله — شوفي بتي العلاف وصاحب وابور الدش ولا الى عنده
مطعم بيكسبوا كام .

محمود — وهى محلات الفول زحفت لأحسن شوارع البلد من شوية
ماهو من المكسب الكبير ده .

عبد الله — أنا حبيبها مرة لقيت قدرة الفول تأخذ كيلة وتكسب
جنه أو جنه ونص .

عمود — أبوى الى يزرع الفول ويشقى فيه ست شهر ما يحصاى
على مكسب خمسين قرش فى الكيلة .

سنية — يبقى الى يزرعه ويتعب ست شهر يكسب خمسين قرش
والى يدمسه يكسب جنه فى اليوم . . . حرام والا حلال ده ؟

عبد الله — شوف الدنيا مليانه عجائب ازاى ١١

سنية — وفى بلدكم يزرعوا الفول من زمان ؟

عمود — أنا أوعى جدى كان يزرعه ويمكن من قبل كده بكتير . .
قدماء المصريين كانوا يزرعوه ويكروه ويدمسه زينا دلوقتى .

مختار (١٣ سنة) — يعنى تحتمن ورعيس كانوا بياكلوا فول
زينا كده ؟

عبد الله — ولله الى دخل رميس وتحتمن فى الكلام ده ؟

عمود — أصله بيدرسهم فى مقرر التاريخ .

مصطفى (٩ سنوات) — طيب رميس وعرفناه يشتري الفول

من المحلات الى قدامه فى ميدان المحطة لكن تحتمن يشتريه منين ؟

ويتفجر الكبار فى الضحك أما الصغار فهم يشاركونهم الضحك
لعجاباً بأخيم الصغير . وينتهى العشاء وينصرف الصغار وتنهك سنية
فى رفع ما على المائدة وتأمّر ابنتها بأعداد الشاى . ويجلس عم عبد الله
على الأريكة وإلى جوار عمود .

ويؤتى بالراديو ويجهزه عمود بالبطاريات ويدير المؤثر ويصدف
أن تذاق أغنية قديمة لعبد الوهاب « فى الليل لما خل .. » ويعقب

عم عبد الله « أبوه ياسى محمد ... ما لما خلى جينا سنة » .
وتطلق زوجته ضحكة رنانة بخبة الأثوثة وقد أدركت وجميع زوجها .
ويرجع مختار أباه « والنبي يا بابا هات المحطة الثانية علشان المسلسلة »
عم عبد الله — أنت له ح تسمع راديو ... قوم ذا كر .
سنية — الولد ذا كر وكلنا عاوزين المسلسلة .

ويستسلم الرجل لرغبات الجميع ويحرك المؤثر إلى المحطة الأخرى
وهو يتم « شوف شاغلين عقلم بالراديو وبالسينما » .

سنية — يتمتعوا فى عزك يا أبو مختار ... وعقبال التليفزيون .
ويرفع صوت المذيع معلناً عن الحلقة ... من مسلسلة المتهم البريه
وتدخل فاطمه حاملة الشاى وتقدم كوباً إلى محمود وهى تنظر إليه على
أنغام اللحن المميز للمسلسلة ويتبادلان الابتسام .

— ٣ —

يصل محمود قريته ويخترق أزقتها الضيقة التى ما أن تنسع لرقة من
الأرض حتى تغطها المياه الآسنة ويخوض فيها الأوز والبط ، وينتشر روث
الحيوانات هنا وهناك وتجمعه فتيات صغيرات بأيديهن المعروفة يقذفن به
إلى مقاطف يحملنها على رؤوسهن ويسير محمود والأوز يفر أمامه ناشراً
أجنحته صائحاً يثير انتباه الفلاحين فيخرجون من دورهم فى فضول شديد
وهم الذين يترقبون أى شاردة أو واردة ليقطعوا به جبال صمتهم الذى
فرخته عليهم طبيعة علمهم الزراعى وهم فرادى فى عزلة يحتويهم البصر ولا
يلهم السمع حتى باتوا فى شوق للممارسة الكلام والحديث . وإذا كان القادم
هو محمود ابن القرية لحسانهم يزداد وفضولهم يتضاعف . يهيئونه مثنى
وثلاث يرد تحيتهم بصبر دون أن يتبرم فهم أبناء جلدته وعشيرته .

ويدخل عمود داره وهي لا تختلف عن دور القرية إلا أن حائط
الواجهة من الطوب الأحمر والنوافذ بنظام منازل المدن وليست كوات
صغيرة . ويحيط درج المدخل إلى حوش الدار ويلتف حوله الجميع وتضمه
أمه إلى صدرها الرحيب وتفحصه بنظراتها ثم تدعه للباقيين ويمسكه الصغار
من ساقيه مهلين فتهرم أخته الكبرى « إبعد يا ولد إبعدى يابت »

عمود — سيهم دول وحشوني قوى .

ويلاحظ انتفاخ بطنها فيعلق قائلا « إتنى مش ح تبطلى خلف بتي »
وتضحك « إأت بك أعمل ذى بشوع مصر بعد عيل والا اتينو يتنعوا
عن الخلف » .

ويتجه عمود إلى حيث جلست جدته في ركن قصي ينحن إليها
ويمسك يدها مقبلا ويقول له بلسان متعلم وكلمات متأكلة « إجبك
(إزيك) يابنى »

عمود — إزيك إتنى . . . ربنا يمد لنا فى عمر ك .

الجد — روح ربنا يفتحها فى وشك .

ثم يلتفت إلى أمه « آمال أبوى فين » .

الأم — ح يكون فين . . آهر فى الفيط وزه انه جاى .

عمود — طيب أنا رايح أجيبه .

ويعنى عمود إلى الفيط مصطحاً أخاه صابر معه ومن حولها المحول
الخضراء والفلاحون بين منحن يزور أو يعزق أو جاث يلقط الثيقات
الغريبة . لا يمكن تمييز أحد عن الآخر فصورهم تحت الشمس متائلة :
ويلمح عمود أباه بقامته الطويلة ويسمع صوته الجهور تنقله الريح فيسرع

في خطوة حتى يتلاقيا ، ويحاول محمود أن يلثم يد أبيه الذي يجذبها بسرعة
لكن محمود يتمكن منها ويقبّلها فيربت للرجل بيده الأخرى على كتف
ابنه في حنان فياض .

عثمان — أهلا .. أهلا .. إزيك يا بني حمد الله بالسلامة .

محمود — الله يسلمك وإزاي صحتك .

عثمان — بخير والحمد لله .. خدت دور شديد جوى .

محمود — طيب مش كنت تبعت جواب

عثمان — مالدش على أعطلك عن الدراسة .

محمود — أوى موصياني ترجع بدرى .

عثمان — تعال الاول أفرجك ع الفول .

ويمشيان بين الخطوط على حافة المساق إلى حقل الفول وقد ارتفع
قراية المتر وظهرت أوراقه البانمة والأزهار الربعية . ويتطلع محمود
فما حوله ويرى الأعواد مثقلة بالأزهار فيردد مستبشراً وبسم الله ماشاء
الله ده الفول عال قوى .

عثمان — بس ربنا يستر في طوبة .

— ده لو مشى على كده الفدان يرمى تمن أرادب .

— الستين اللى فاتوا كان الفول يفضل سليم لحد طوبة ولما البرد

يشد ألقى الورق ويسود والزهر يجمع .

— طيب ما بلاش من زراعتة .

ويقف الأب وقد أثاره قول ابنه ويعلق ، طول عمرنا بنزرع الفول
من أيام جدودك وبنأخذ منه محصول عال مافيش إلا البرد اللى تعبنا ،
— غير يا بابا شوف حاجة تانية أضمن .

— وهو التنير سهل يا بنى عندك علوان وزهران عارفين كل حاجه
هن الفول من تخطيط لرى البذرة لتسميد الرى . .

— الى عليهم الفول يعلمهم غيره
— انت أصلك بتجرا الكتب كويس . . تمال وجرب بنفسك مع
الحلج الى هنا وانت تشوف .

— هى زرة واحدة وعلى التانية يكونوا عرفوا كل حاجه .
ويغضب الأب ويتجهم وجهه ويصيح « زرة واحدة ؟ دى ريه
واحدة زيادة ولا بكير يمكن تضيع المحصول كله . . وساعتها نضمه ونديه
للهايم أما الحلج مش ح نلاجى نوكلمهم .

— مفيش لزوم للزعل يا بابا . . إحنا بنتفاهم .
— أصلك يا بنى بتكلمنا زى الأفندية اللي ييمروا يفتشوا علينا .
ويستمران فى سيرهما والرجل يثقل يميناً ويساراً يفحص الأعراد الخضراء
ثم يردف : « الأرض لازم تفضل مزروعة على طول لأجل نوكل العالم
الى هناك (مشيراً فى اتجاه القرية) ولانلهمهم ونعلمهم (مشيراً إلى عمود) .
ويعقب عمود « هانك يا بابا كلها كام شهر واشتغل ويخف حلى »

— هو آنى تبيان لأجل تحول الكلام ده . آنى الى شاعلى إنى مش
ضامن الفول يصح وأسحب جرشين مجدم من الشيخ خليل وإلا البرد
يخرج الفول ويصير المجدم دين .

— هو انت لسه بتعامل الشيخ خليل وتخليه يشتري منك الفول بثمان
أرخص من الجمعية إيه الى يجرى على كده .

— يجرى الى أمر منه . . بدى جرشين قبل ما نعلم الفول .

— متقدّرش تستنى شوية لغاية ما نجمعه .
— ماهر آنى لوسلته للجمعية مش عارف ح أجبض كام . لا عارف
لى كام ولا على كام .

وتلتقط عينا الرجل شيئاً ما يستوقفه وينحنى يمك بأعواد الفول
ثم يعتدل منادياً زهران وعلوان ويأتیان جرياً .

عثمان — امال بتجولوا انكم خفيتم الفول مع الانفار .

علوان — آنى خفيت الحوض البحرى .

عثمان — والحوض ده ما خفتوش ليه .

زهران — ما نهضتش . . ويوم الجمعة ح أشتغل فيه .

عثمان — واشمضى يوم الجمعة ؟

زهران — لأجل أشتغل فيه أنا وعلوان وصابر واسماعيل بدل الانفار .

عثمان — جصدك توفر جرشين ونضيع المحصول . . روح جتك

البلى .

ويوقف محمود الحديث « مش نرجع البيت بقى » .

عثمان — انت جمت والا تميت .

محمود — من ده على ده .

عثمان — هات يا علوان الركوبة . وعاوزك تلم الانفار وتخلصوا

الحوض الجبل .

وفى الطريق إلى القرية يستمر الحديث فيقول الأب « وعامل ليه فى

الدراسة ؟ » .

— هاشى الحال .

— ما فيش حاجة صعبة ولا كتاب ناخضك ؟

— كتابين . . طاوز أشتريهم مستعملين .

- له ... مفيش جديد منهم .
- المستعمل أرخص .
- هو آنى افتجرت خلاص ولا يبنى علشان ماجلت لك لآنى
- ح اسحب جرشين من الشيخ خليل .. تمهم كام الكتابين دول ؟
- ميتين وسبعين قرش .
- وهى دى الجرشنات اللى بدك توفرها .
- ما يعطاموش تمن نص أردب فول ؟
- بس نباحك أم من الفول وأم من الدرة وكان أم من الجملن .
- ربنا يبارك لنا فى عمرك .
- آنى مستنى اليوم اللى تبجى فيه مهندس زراعة .
- ربنا يقدرنى على رد جايالك ومحبك .
- ده واجب يابنى وكان متنشاش إن كل اللى حيليتنا خمس فدادين
- وأربع جراريط وعمرهم ما يجمضوا عيليتنا الكبيرة .
- فعلا .
- يبجى لازم نخف الناس من ع الأرض ذى ما بنخف الفول
- وبنخف الشجر . يعنى اللى يتوظف واللى يشتغل فى تجارة وإلا فى صنعة
- لازم يخرج من الأرض . أما الباجى فرزجه من رزجها . وليك على كان
- لما تبجى، تتجوز أساعدك فى المهر . أظن بعد كده ما عدش لك حج تبص
- للأرض ؟
- أنا لو بصيت علشان أزودها مش آخذ منها .
- ربنا يفتح عليك يابنى .
- ويتقدمان إلى دارهما ومن حوله الأرض الخضراء مبارك ذلك الوعد

يعود حسن تعباً من عمله فيجد الغرفة خالية . ويخلع عنه ملابسه وتظهر عضلات ذراعيه القوية وصدره الكثيف الشعر . ويخلع حذاه ويبحث عن (شبيهه) فلا يجده فينتقل القيقاب الخشبي الذي يستخدمه محمود ويتحرك هنا وهناك ويدب بقدميه ديبياً قوياً تسمعه فاطمة . فتبتسم وتنتظر إلى السقف وقد هوى لها أن محموداً أعاد من رحلته وتحول ظنها إلى فكرة بلقاء سريع تبته عواطفها وتستنطقه عبارة أو عبارتين عن الحب والفرام بدلا من تلك النظرات الصامتة والكلمات المخلقة والتليخات الغامضة . تلبس فستانها ذا الصدر المكشوف وتمشط شعرها وتنثره على كتفيها ليكون بلونه الأسود الناعم ستارة خلفية لثحرها البلورى . وتحمل وعاء به ماء وبقايا من طعام ... أى طعام وتعلن أمها « أنا طالعة للأفراخ يام » وتمضى مسرعة قبل أن تمنها أمها . وترى باب الغرفة مردوداً يحجب عنها ما بداخله . وتطلق الدجاج وتثيرها لعل ضجيجها يخرج فتاها من غرفته . ثم تنادى الدجاج « بيتك بيتك ... بيتك » لكن لا يجيب ولا يستجيب وتشاء دجاجة أن تندفع إلى الغرفة فتجرى خلفها لتسكها أو لتسك بتلايبب غرامها وأملها .

وتفاجئ بحسن ويخرج منها صوتاً أشبه بالحشرة « ... ه ... ه » ثم تأتى بإشارات يديها وبرأسها وهى تتلثم « أصل ... أصل ... » ويهز حسن رأسه متفهماً قصد ما وهو يتأملها باهتة ورغبة ويقول : « ولا يهيك أنا أمسكها لك .. دى كانت شغلى وأنا صغير » .

ويجش إلى الأرض ويرفع ملاء السرير ويرى الدجاجة قائمة فى

ركن قهى فياتنت إلى فاطمة . إقفلى الباب عاشان ما تهرش ، ثم ينظر إلى النافذة المفتوحة فينهض لقلها ويدعوها لمعاونته تعالى جنب السكينة علشان لو جريت هى تمسكها .

ويزحف على أربع ويسقط بصره على ساقها المخروطين وجزء من خفيها المستديرين ويزدردلعا به ثم يقرب من الدجاجة التى تفر إلى الناحية الأخرى أسفل السرير . ويطل حسن إلى فاطمة ويقول « ولى يا فاطمة وأمسكها معاى . »

وتنهق إلى جواره ويتدلى نهداها المتكوران . وتتشبث عيناه بهما اللحظات حتى تتحرك فاطمة نحو الدجاجة . وفى عارلة مشتركة بينهما للاسك بها تشابك أيديهما لكن بدونها فقد قفزت بعيداً عنها صائحة مولولة ويظل حسن مطبقاً يده على يد فاطمة وعيناه على عيها والرغبة العارمة تلهبه وتتوجس فاطمة منه وتنظر إليه بقلق وتجذب يدها وتبرز حركتها فيميل عليها يقبلها وهو يتمرغ ينشم لحما وعرقها وشعرها ويضبط بحممه عليها حتى تسقط إلى جواره ويحتويها بذراعيه لكنهما تقاومه بكل قوتها ولا تمكنه من نفسها . ويصدر عنها أنات خافته وتهيم « سيني يا مجرم » وهو لاه عنها . وجسداهما المختفيان بملاءة السرير كستاره المسرح يحجب بعضاً مما يدور وراء الكواليس بترك سيقانها العارية تظهر وهى تتضارع . السيقان الغليظة تحاول أن تحتوى السيقان الناعمة التى تجاهد للأفلات والفكك وفى هذا الاشتباك المحتدم تصبح فاطمة « أبعد عنى يا سافل ... يا مجرم »

لكن حين لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم تركزت جميع حواسه على رغبة واحدة ركبت كل قواه وملكت كل تفكيره . وتزداد الحركات

عنفاً حتى صار الجذب والشد أقوى من الصد والرد . وأصبح الاحتواء والانتصاق أمراً مفضياً ولهثات حسن تتعالى كالخوار ولجأة تصرخ فاطمة صرخة الصعرة الأخيرة « سيئ أنا في عرضك .. حرام عليك ، لكن حسن لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم ولا يصدر عنه إلا أنفاس لاهثة لاهثة . ثم يأتي صوت فاطمة باكياً ناجياً بعد أن نفذ السهم الداي . وتقول ، حرام عليك ... حرام عليك ، وساقها تلتفتان في ألم ممض .

ويدهض حسن وقد أولى الغرفة كلها ظهره لا يريد أن يرى أو أن يرى جرمة في الراقدة تبكي وتضرب الأرض بقبضتي يديها . ثم ترحل خارجه من أسفل السرير وهي تحدث نفسها ، مستحيل .. مستحيل .. مش ممكن ، ثم تذاهل دح أقول لاى إليه ولا أبوى ؟ ، وينزعج حسن لهذه الكلمات الخطيرة فيحذرهما دأوعى تقولى لحد . — آه يا بحر

— سامعنى يا فاطمة أنا مستعد لاى حاجه — الى تأمرى به أعمله وتنفض والدموع والتراب على وجهها وشمرها المتهدل وفستانها المنسوخ ترسم عليها صورة الانكسار والمزيمة وتقف متخاذلة ويتقدم حسن نحوها لاسترضائها فتزع منه وتقفز إلى الأريكة وتشير إلى النافذة بيدها وقد جحظت عينها وتهدهد أوعى تقرب منى وإلا أرى نفسى وأستريح من الدنيا .

ويجفل حسن ويتسمر في مكانه وفي صوت مضطرب « إغلى يا فاطمة أدينى بمدت ، ورتراجع إلى أقصى الغرفة بعيداً عنها . . . وتببط منادرة الغرفة دون أن تتلفت يمنة أو يسره تخرج لجرد أنها شعرت بحاجتها للزوب بما حدث وعلى وجهها تعاسة ويأس ويظهر

الضياع على ذراعيها المتدليتان إلى جانبيها في تحاذل وقنوط سلبت منها القدرة على الحركة وإرادة الحياة .

وتدخل غرفتها لتخلو بنفسها فقد أسقطتها الإصابة في هوة سحيقة من الحيرة . لا تستطيع أن تبوح بمأساتها حتى لأمها ولا يمكنها أن تشرك معها في أمرها أحداً : حاصرتها الفجيعة وأحاطت بها وعزلتها عن الناس

وتنالك على سريرها ودموعها تنساب تبلل الوسادة وتذبح لشبهها مكتوماً تنفث به بعضاً من مرارتها ويلفح الهواء وجهها فتشعر ببلى خديها فتمسحها بحركة تلقائية وكأنها تحاول أن تمسح ما علق بها .

وتأتيها خطوات أمها ويسبقها نداءها فتنهض بسرعة لتذهب قليلاً من شكها ولتخفي اضطرابها وتدخل الأم وتقول « لائق فين يا فاطمة ... مالک يا بنتی .. تمبانه ؟ »

— أبداً — راسی يتوجعني شويه .

لكن لا تروح الأم لحال ابنتها ولا لصوتها الواهي فتعيد السؤال « أمال شكك متغير ليه ؟ »

— أصل وأنا بأمسك الفراخ دماغی إدفعني الحيط وقعت ودخعت

— طيب مش كنتي تزعتي على

— مقدرتش

— والفراخ ؟

— سايبه

— طيب استريحی وأنا طالعه أشوفها .

وتتفرد فاطمة بنفسها كما أحبت أن تكون وينشط عقلها وترى

ما هاق بفستانها في المرأة ، وتحاول أن تزيله بلا فائدة . وترفع نظرها إلى وجهها ، وتحدث نفسها ، وعمود راح خلاص . . . ما عدش . أنفع له . . . ولا لغيره ، وتفكر فيما آلت إليه . لقد سلبها حسن حريتها . لم تعد تملك ذلك الشيء الذي يمكنها به أن تختار رجلها لم يعط لها الحرية أن تقول لهذا لا أو لذاك نعم مثل الفتيات الأخريات ، ضاعت حريتها وشلت إرادتها ، ليس لما أن تريد ، ولا أن ترغب . ليس أمامها إلا أن تقبل وأن ترضى بالمعتدى عليها وتحرك شفيتها بما يدور في رأسها ، وفيش قدامى غير المجرم النذل ، .

وتسال نفسها كيف يمكن أن تقبله وتعيش معه وقد استولى عليها جنوه وقصرأ لتزوجه برضاء المرغمة ولتمايشه بموافقة المفهورة لكن لتتمسه وتشفيه وتشفيه كأس المرارة كما أذاقها لتنتقم منه ولتعذبه وتشفى فيه .

رغم إحساس حسن بالذنب ورغم قلقه وتخوفه إقتضاح امره وانتشار سيرته بين الأزقة والحواري إذا اكتشفت، سذبة الامر أو ما قد يترتب على ذلك من عداوة وبغضاء تمتد لتشمل أهل الحى الذين يكشون لهم عبد الله الإحترام والتقدير وقد يستفعل الامر لتدخل فيه النيابة والقضاء . رغم كل هذه التخوفات فإنه يستطيع أن يتردد هدهد بعد أن توصل إلى حل ويخرج لنفسه فيذهب باحثاً عن تاجر مصوغات ويدخل دكاناً ويشاهد معروضاته ويختار سواراً ذهبياً مرصعاً بفصوص حمراء قانية ثم يجرب خاتماً لخنصره ويفتقى آخر أصغر حجماً يصلح لفاطمة ويساوم البائع ثم يمضى دون شراء . أتى بكل تلك الافعال ليعبر بها عما توصل

إليه فكرة بأدق الإجراءات . أراد أن يتصرف عملياً كيف يتخلص من مازقه
فيالو تآزمت الأمور . ويعود إلى غرفة هادى البال ساكن الضمير .

— ٥ —

يعود محمود من قرينه . ويفاجأ بنية حسن وتصميمه على الزواج
من فاطمة خاصة عندما يقول محمود فى انفعال واضح « أظنك ح تقولى
لسه صغيرة » .

— أبداً بس إنت عمرك ما فتحت السيره دى .

— لازم أتجوزها ... لازم ... أنا تمان ... زهقت مش
قادر استعمل ...

— يعنى بتحبها مثلاً .

— بحبها ... ما بجهاش ... آهو لازم أتجوزها .

— خلاص ... لأبعت هات عمى يكلم أبوها .

— لا ... نزل أنا ولأنت وبمدين يحبى أبوى على مهله

وفى شقة عم عبد الله يجلس الأربعة . ويلاحظ عم عبد الله مظهرهما شبه
الرسمى ويستنتج أن فى الأمر شيئاً ويوجه كلامه إلى محمود ، حمد الله
على السلامه .

محمود — الله يسلك .

سنية — أهلاً ... أهلاً ... إحنا زارنا النهر .

حسن — إحنا الى بنقشرف بيكم ... ناس كل طيبون .

عبدالله — ده من ذوقك يابنى .

حسن — والله أنا حبيت الحى وأهله علشانكم . بأحسن لانى فى
وسط أهل .

سفيه — ما أحنأ ذى القرايب وأ كثر .

حسن — ياريت وتزود القراية بنسب من بيتكم الاصيل .

وما أن تعبر كلمة نسب أذن سفيه حتى يتهلل وجهها فرحا وتنظر إلى محمود مرة تلو الأخرى ثم تعقب وهي تبسم له ده إحنأ اللى بنأشرف بيكم .
عبد الله — وى ! على شأى .

سفيه — شأى إيه ياخويا ... قول شربات .
حسن — الشربات ده على أنا .

وتطرق كلمات حسن لإذن سفيه وتثير فيها الحيرة ويدور استفهام فى رأسها أيهما المتقدم لزوج ؟ محمود الصامت أم الذى يلمح ويلوح . وترفق زوجها لهاها تهم منه شيئا . لكن الرجل يستقبل نظراتها وتنتقل إليه بحيرتها فيوجهه سؤالا عوداً إلى محمود وهو المريس الأقرب إلى ظنه « لا مؤخذه يا باش مهندس هو والدك عتده فكرة » .

وينزعج حسن لهذا السؤال فيتدخل على الفور يشد إليه حبال الحديث به « هو عمى عثمان فعلا له كلام فى الموضوع بس أنا كلمت أبوى من زمان عنكم وهو موافق » .

ويقطع قول حسن كل شك وريبة . وتبادل سفيه وزوجها النظرات إدراكا لما قيل ... وتذوى الإبتسامه من ثغرها ويعقب عم عبد الله « نعم الشباب ونعم الأخلاق » .
حسن — ونعم النسب .

وتنسى سفيه أو تقنأى موضوع الشأى والشربات وتنهض قائلة « أما أروح أسأل البنية قبل ما تربطوا وتحلوا ... بنات اليومين دول لها أحكام » .

وتجد سنية لبنتها رائدة على سريرها وتقول لها : مش تقوى بقى أنا
عندى لكى خبر يفرح كل بنت . .

وتدرك فاطمة ما ستقوله أمها فتعتدل نحوها دون أن يبدو عليها أى
اففعال . وتردف الأم : « حسن جاى يطلبك من أبوكى . . إيه رأيك ؟ »
— رأى رأيك يام مادام موافقة خلاص .

وتتجنب سنية لهذا الاستسلام السريع وهى تعلم ما تكنه لمحمود من
حب وعاطفة . فتعيد سؤالها : « وإنتى موافقة من قلبك ؟ »

— أيوه

— شاورى نفسك إحنا مش مستعجلين على الرد

— إالى نعرفه أحسن من اللى ما نعرفوش

— طيب ومحمود مش على بالك .

— كان . . . لكن لا يودى ولا يجيب . أطلع السطح عشرين مرة

أكله وأحرکه لكنه لا يرد ولا يصد .

— بس يابنتى الجواز مش لعبة فكرى كويس

— أنا موافقة يأم . . ومحمود مش ممكن يتجوزنى بعد حسن ما . . ما .

ثم تنفجر باكية ناحية . وتقرب أمها تحضنها وقد ازعجت وتساها
« إيه هو إالى ما . . . ما . . . ما تتكلمى . . . »

— بعد حسن ما طلبنى مش ممكن يبقى عندى أول فى محمود .

— فكرى كويس .

— أنا خلاص فكرت .

— طيب قومي إلى أبي وتعال أقمدى معانا شوية .

— مالوش لزوم ماهو شافنى حته حته... ح يشوف فى إيه تانى ؟
وتمن سنية النظر فى ابتها لتدرك كنه هذا الإستسلام المشوب بالمرارة
والجود . فلا هى فرحة الفتاة بعريس ترضاه ولا هى ثائرة مؤزدة
الرافضة لعريس تأباه . وتظن الأم أن حزنها بسبب خيبة أملها فى محمود
وتحاول أن تسرى عنها فتقول : وماله حين واجل ملو هدمه وكسيب
ح يسعدك ويدسطك ، وتركها لنعود إلى المجتمعين المنتظرين القرار . وما
هو بقرار إنما هو لإقرار لواقع حدث . وتعلن سنية موافقة العروس
وتسبح ابتسامه حسن فقد أزيح عن صدره ثقلها فيقول : الحمد لله . .
وعلى خيرة الله . .

عبد الله — وعلى بركة الله . . . المرة إلى جاية تيجى مع والدك
حسن — إن شاء الله . . . ونقرأ الفاتحة .

ويتلون الفاتحة توثيقاً للاتفاق وتأكيداً لفية الزواج .

الفصل الثاني

جذب وصد

- ٦ -

ينهى د. سلطان محاضراته ويقادر المدرج ثم يتوقف بعد مسافة قصيرة في ردة طوية ذات نوافذ زجاجية عريضة تطل على حقول التجارب التابعة لسلكية الزراعة ثم يشعل غليونه في بطنه ملحوظ ليشبع لا كبر عدد من الطلبة والطالبات أن يلتفوا حوله . وتبرق عيناه رصاً وفخاراً عندما يتكاثرون ويتدفقون . فهو كالمطرب والفنان لا بد له من جمهور يعيش به والحق فإن د. سلطان استطاع أن يحوز إعجاب الشباب بأسلوبه العلمي المتين ومادته الغزيرة يقدمها في محاضراته بثقة المتحدث جرأة الممكن وتعليقاته اللاذعة لمن يقع في مغيبات علمية عن أمراض النباتات . ويتلفت حوله سعيداً بهذا الجمع ويستحث الطلبة للمجادلة طارز حاجة يا زغلول . . . المحاضرة صنية ؟ .

— سيادتك شرحت كل حاجة بنس الملازم ١٦ ، ١٧ متأخرة في المطبعة .

— أنا. كلمت المطبعة فلشان تستلوما الأسبوع القادم .

طالب آخر « طبعة السنة الى قانت يمكن تنفع » ؟

— الطبعة الجديدة مليانه إضافات جديدة عن تأثير المواد المشعة
في علاج أمراض النباتات .

— يعني لازم أشتريها ؟

— نعم . ؟

ويندفع محمود يزاحم الطلبة ليقرب من د. سلطان وفي طريقه
يحتك بإحدى زميلاته ويلتفت نحوها معتذراً ويستمر حتى يقف أمام
د. سلطان ويقول « لوسمحت يادكتور عندي مسألة خاصة عاوز مساعدة
— اءتلك . »

— مسألة خاصة ؟ ؟ حب ولا زواج ؟

وينفجر الطلبة ضاحكين ويخرج عمود لكنه يردف « أقصد مسألة
زراعية خاصة » .

— حاجة لم ترد في المهج

— أيوه

— أظنك لو قريب كتي وأنا واضع نسخة منها في المكتبة ستجد
فيها ردا لسؤالك .

— أنا قريتها ومقدرتش أحصل على إجابة كاملة وحاول

ويقاطعه د. سلطان : « مش معقول تكون قريتها دول (١١) كتاب » .

— أنا متابع كتب سيادتكم من يوم الالتحاق بالكلية لأنني معجب

بأسلوب سيادتكم العلمي

ويطرب د. سلطان بهذا الكلام فيجيب ، « طيب مر على بالقسم » ؟

— بس يادكتور عاوز أقول لها خاصة بالقول لما . . .

— قول .. عدى .. دره .. قرع .. برضه تمر على .
ثم يتحرك بين صاحب وضحك الطلبة لذلك التعميق . وينجده — ل
عمود وينسحب يهدوء وكانت هناك نظرة مشفقة تتبعه من زميانه القى
كان قد اعتذر إليها منذ لحظة وجيزة . ويلمع عمود نظرتها ويرتاح لها :
وفى الموعود المضروب يذهب عمود إلى د . سلطان : ويقرأ على
باب مكتبه لوحه خط عليها بحروف واضحة « رئيس قسم أمراض
النباتات — د . فؤاد سلطان » يدخل عمود ويحمد د . سلطان واقفاً
منهم كما يمد حقيقته موشكا الخروج ويرمق عموداً بنظرة ثم يقول :
« .. » بتاع المشكلة الخاصة .
— أبوه .

— خش فى الموضوع بسرعة عندى اجتماع بعد ربع ساعة فى الهيئة
العامة لمسكافة الآفات الزراعية
— طيب اجى لسيادتك وقت تانى
— لا .. إحكى موضوعك
— فى بلدنا كفر سبط شرقية بنزرع الفول ولما يعقد فى ديسمبر يحى
البرد يوقع الزهر .
— دى مشكلة قديمة وعارزنى أعمل إيه ... أصلح الجو ؟
— مش قصدى . لو سيادتك تقولى نصيحة أنور بها الفلاحين .
— إقرأ كتابى « أمراض النباتات البقولية » الفصل الخامس ،
— قريبته يا دكتور ما لقيتش فيه حاجة .
ويحمد د . سلطان « اقرأ تانى وتالت ورابع لناية ما تفهم كويس
وبعدىن تبجى أناقشك » .

ويذهب د. سلطان تاركاً محمود غارقاً فيما قيل له من كلام لايسمن ولا يغنى من جوع وهو الذى كان يأمل فى فكرة أو نصيحة مباشرة ينجبرها د. سلطان تنهى حيرته ومتاعب أبيه ومتاعب أهل قريته .

• يذهب محمود إلى المكتبة باحثاً عن الكتاب المنشود ، ويستخرج بطاقته فيجده بالاستمارة . ويتجه إلى أمين المكتبة الذى يلجأ إلى مجلداته ويلتقط رقم البطاقة ويقرأ « بالاستمارة الخارجية . الطالبة فائزة على مصطنى . السنة الرابعة . الشعب العامة . تاريخ الإستمارة . ١٠/١١/٢٦ » — دى زميله معانا . . . طيب ما فيش نسخة ثانية .

— مدة الاستمارة انتهت وأنا ح أطلبه منها . فوت بعد يومين . وفى الموعد المحدد ينتظر محمود بالمكتبة زميلته والكتاب . وتدخل بسيطة المظهر نحيلة القوام تربط شعرها برباط رفيع وترى رأسها إلى الخلف . وتتجه إلى أمين المكتبة الذى يقول لها « مدة إستمارة الكتاب انتهت وفيه طالب عاوزه » وعندما يرى محمود قادماً يعقب « وآه وجه كان »

وتسال فائزة محموداً فى نبرة جافة : « عاوز الكتاب إمتى ؟ . . » — النهاردة إذا كان ممكن .

— لك الحق تاخده دلوقتى لكن أنا فاضلى الفصل السادس .

— بتاع أمراض الفول .

— أوره

— معنديش مانع انتظر بس لدينى ملخصاتك

— يبقى اتفقنا ومتشكرة

— نا الى متشكر

وينادوان المكتبة معاً هابطين السلم والحديث مستمر وتقول فائزه
« زانت كان ح تقدم ورقة فول عن الصويا ،

— فول الصويا . . . أنا مش مطلوب منى حاجة . أنا بأبحث
مشكلة خاصة بزراعة الفول البلدى بتاعنا .

— قصدك الهورس بينز . طيب ده فى الفصل الخامس

— أنا كنت فاكرك مهتمه ذى بالفول البلدى . أصلى بأبحث

أسباب مساقط زهر الفول فى الصقيع .

— يعنى مش مستعمل قوى .

وقد أنارته عبارتها « مش مستعمل لإزاي كلها شهر وطوبة تيجي

بردها والزهر يقع والمصول يقل » .

وتؤخذ فائزة بنفضه وهو مستمر فى كلامه « ملايين الناس عايشة

ع الفول . لحم الفقير وغذا الملايين . كيلو اللحم بستين قرش وكيلو الفول

بثمانية قروش بنزرعه فى بلدنا بدون ما نستورده . لعاوز جوارين ولا

بيطريين ولا ثلاثجات » .

— لكن ده إنك متحمس قوى .

— لازم أكون متحمس . أهلى ييزوعوه وعاشين بيه ، وأنا

كبرت بين أعواده وعشت عمرى فى الفيت .

— حاجة جميلة انفعالك بالزراعة

— أنا بأسميها ولادة زراعية . زى الام والاب يفتنظروا المولود

الفلاح وأهله بيستنوا المحصول .

— إنت أثرت حماسى وأهدك إنى أخلص الكتاب قبل أسبوع .

— متشكر .

وفي منزل فائزة بجى المنيل تجلس إلى مكتبها الصغير وبين يديها الكتاب المفتى تقلب صفحاته حتى تبلغ الفصل السادس وهو الخاص بقول الصويا وتشرع في القراءة لكن خيالها ينقل إليها صورة محمود وصوته الصادق وعبارته المختصة وتعجب لهذا الفجاءة بالإيمان بمشكلة قربته يسمى جادا لمديد المساعدة العلية لهم ويتحول تعجبها إلى إعجاب بهذا النظم الخلقى الإرتباطى الذى لم تصغفه تيارات المدينة الكبيرة ولم تله أمور الشباب وتفتقل من حالة التأمل والتخيل إلى عمل إيجابى ففكر الكتاب عائدة بصفحاته إلى الفصل الخامس وتقرأ بإهتمام وتضع قصاصات من الورق بين الصفحات الهامة وتدون بعض النقاط ويمضى الوقت حتى يكاد الليل أن يفتصف ويدخل أبوها يستحبها للنوم . مش كفاية مذاكرة حقه تنامى بقى ،

— لسه شوية . . . ساعة كان .

ويخرج الاب وتذرع فائزة الغرفة جيشة وذهاها وهي تردد بعضاً مما قرأته في صوت مسموع روفىستا فابا . . . القول محصول بقول يستخدم للغذاء الإنسانى من أهم مصادر البروتين . يحتوى على ٢٤ ٪ منه . يزرع في دول كثيرة وفي مصر منذ آلاف السنين . نبات وتدى تحقق جذوره في التربة

وتتوقف عن السير وتعود إلى مكتبها لتستأنف الموضوع الذى يهم محمود أما ما يخصها فقد نحته جانباً إلى حين .

يذهب حسن لزيارة خطيبته حاملا عليتين . ويلبس حله جديدة مصففاً شعره بدهان سال بعض منه على جيئته . وترحب به سنيه :

« أهلا بالعريس »

— أهلا بك

ويتناولها العليتين وتعلق « إيه التعب ده »

— دى حاجة بسيطة . عجبتنى وأنا ماشى جيتها للعروسة

— يافطمة . . يافطمة تعال عريسك جه

ثم تنهك سنيه في فض العليتين وتجعد في الأول بعض الحلوى من كنانة إلى هريسة إلى كحك . وفي الثانية تجعد (شيشيا) أحمر على بخطوط ذهبية ومنديلا أحمر معطرزاً بالترتر اللامع وتشكره « تعيش وتعجب يا بنى » وتنهض لتأق يافطمة الممتنعة عن الحضور . ويتنزه حسن هذه الخلوة ويتطلع إلى صورته في المرآة ليطمئن على هندامه .

ويدخلان فاطمه وأمها وكأنها تسوقها سوناً . وتبدو فاطمة شاحبه كالحه غير متزينة . ويدرك محمود سر هذا الشحوب فيدفع بابتسامه إلى فمه يرحب بها ولسكنها تقابلها بوجه جامد وتلاحظ الام ذلك الجود فتحاول أن تتلطف قائلة : « مش تشوفى حسن جايبك إيه ؟ »

— دى حاجات بسيطة . وحياتك عندي لو طلبت رقبتي لأقدمها .

— تعيش وتتهنى بعروستك . هاتى يافاطمه كام طبق هاشان تقدمى

العريس وتخرج فاطمة فاره من الجليس والحديث وتعود بعد فترة قصيرة حاملة طبقين تناول أحدهما إلى حسن الذى يتطلع إليها وهى تتجاهله تماماً . وتقدم الآخر لأمها التى تعترض « لا يا بنى لازم تا كلى مع عريسك »

— ما ليتش نفس يأأم الحاجات دى بتموع نفسى .
— ده انتى ولا اللى بيتوحوا ... لازم تحى عرينك .
وما إن نسمع فاطمة سيره الوحم حتى تنزعج وترجف وتذكر
موقفها المعقد ويشرد ذهنها إلى المحتمل وما لا يحتمل ويتألم خوفها على
نفورها وتأخذ الطبق وبعض الحلوى تغمضها بلا شبهة .

وهذه الأم لإحضار طبقها ويقترب حسن من فاطمة ويقول د انتى
له زعلانة ما خلاص بقينا هرايس وكلها شهر ولا اثنين وبقى فى بيتنا .
وترد فاطمة بانزعاج . شهرين لا ... كثير .
ويخيل لحسن إليها فى شوى إليه فيجزل ويبتسم « انتى مشتاقة زى ... »
وحياتك أنا نفسى النهاردة قبل بكرة »

وتعود الأم تقطع حديثها وتتناول بعضاً من الحلوى . ويخرج
حسن (الشبشب) والمنديل من العاية ويضعها أمام فاطمة : وتقول الأم
« مش تقيسى الشبشب يمكن يطلع ضيق » .

وتصدع فاطمة للأمر وتلبس الشبشب . ويطلب حسن « وكان
المنديل ، فتضعه على رأسها وهو يصوب إليها نظرات ، تقضى حسنها
وفتنها من قدمها إلى رأسها . الأم ضاحكة راضية بلطف . حسن أما فاطمة
فتعلمة من وقفها أمامه يستبجح جسدها بنظراته النهمة لا يخشى لومة لائم
أو زوجة زاجر . وتفكر فاطمة أنه لو كان يبتنى مرضاتها لأحضر
خاتماً أو قلادة مميّنة لكن شحّه وبخله مع شبعه وكلفه بها تفقّت عن تلك
الهدية البسيطة ينشأ بها طولاً وعرضاً وعندما تصل إلى هذا الحد
من التفكير تمشتر منه ومن نفسها فتخرج هاربة تاركة أمها تعضك
مطلقاً « أنا شفت شوف ياخويا لعب البنات ودلعهم » . يفعل حسن
الضحك ويكتم به الضيق » .

الشمس ساطعة تفسر أشعتها فناء الكلية وتكسب الجو دفئاً
يذجم مع حرارة الطلبة وأطفالهم ومرحهم . وفي هذا الجو المليء
بالحياة يتلاقى محمود وفايزة بترحاب وود وكأنه بينهما صداقة وثيقة .
وتبدو فايزة رشيقة رغم بساطة مظهرها ورغم شعرها المعقوص
للخلف . تلمع عيناها ببريق جذاب ينمكس على محمود فلا تنسح
الدنيا لهوائه بها . وتبادره بالحديث . صباح الخير أنا خلصت الكتاب ،
— بالسرعة ... دى مدهشة

ونخرج فايزة الكتاب من حقيبتها ومعه مجموعة من الأوراق يقلبها محمود
ويسألها « ليه ده ؟ »
— ملخص الفصل الخامس .

— مش معقول ... أنا متشكر ... متشكر خالص .
— العفو ... لقيت عندى وقت وحييت أساعدك
ثم يقفان وجهاً لوجه وقد هرب منهما الكلام . يبتسمان فى صمت .
هى تنتظر كلماته وهو يبحث عن شيء فى جعبته ويشق عليه الأمر
فيتشاغل بقراءة أوراقها الدقائق خالها دهرها حتى تأتبه فكرة تنقذه من
عثرته فيقول بصوت خافت متردد « تمرق لإن خطك واضح ...
ودقيق ... يدل على وضوح شخصيتك »
وتعلق فايزة وكأنها تأخذ بيده ليستمر فى حديثه « وهو الخط يفسر
الشخصية ؟ »

— يقولوا كده ... كان بنمازى برتيب فكرك .. منطقية مع
نفسك ونحوي العيشه المنظمة

— مطلبوط

— دائماً صاحبه وحاضره بحواسك اكل ما يدور حولك .

— صريحة جداً وده يسبب لك متاعب مع الغير .

— فعلا .

— ولناية هنا و بس .

— لا . . . كل . . . عشان خاطرى .

تقولها بلهجة منعمة لم تصدق نفسها عندما قالتها . وينظر إليها عمود مندهشاً وممجباً وتنفض فائزة من بصرها في حياء آسر . . . ويستمر في قوله و لا تنق عنيده عاطفية في نفس الوقت . ودايماً في صراع بين عقلك وعواطفك .

— معاك حق

— الى يعرف مفتاح شخصيتك يقدر يآثر عليكى .

— مش دائماً

— ده كل الى عندى الناردة ولو دوست خطك يمكن ألاقى حاجات ثانية .

— لم تعلمت التشخيص ده إزاي ؟

— القراية هى وسيلة قتل الفراغ فى الأجازة ومن ضمن الى قربته كتاب يشرح تفسير الشخصية من الخط .

— يعنى انت دلوقت تعرف مفتاح شخصيتى وتقدر تعاملنى بطريقة تنصبر فيها دائماً .

— وهو لازم الى بيتا يكون هزيمة وانتصار ليه ما يتكونش زمالة وصداقة .

قالها محمود بإخلاص وصدق هز فائزة ونظرت إليه تستكشف نيته
وتردد هامة حاملة . الزمالة .. الصداقة ... أجل شيء في الحياة ، .

وتنمو العلاقة بينهما نمو الأشجار في الربيع البهجة تلفهما إذا
تلاقيا والشباب يطويهما إذا تناقشا لا إعلان الحوار . يضحكان في سر
لأبسط تعليق . فتقارب المفاهيم وتنشأبه الآراء ويزداد الانسجام
كل ذلك في حدود الزمالة المعززة بالتقدير والود والتعاطف وكثيراً
ما تتشابه عيونهما ويلوح فيها حنان هادئ يفرز بينهما خيوطاً
دقيقة حساسة يستشعران بها اللغة البسيطة والإيماء الدافئة .

اعتادا أن يجلسا متجاورين في المحاضرات وتكون مهمة محمود
وهو الأسبق دائماً في الحضور الاحتفاظ بمكان لها جواره في المدرج
وأحيانا تتأخر عن بدء المحاضرة وينتقل محمود المعاذير ليبقى مكانها
خاليا . ويحدث أن يبدأ المحاضر شرح الموضوع قائلاً « مبيدات
الحشائش أو الهرميسيدس وهى عبارة عن مواد كىاوية لمقاومة الحشائش
الطفيلية التى تؤثر على نمو المزروعات كالأشجار وهى تستخدم بدلاً من
العزيق لتوفير الأيدى العاملة .. المجموعة الأولى منها هى » .

وهنا تدخل فائزة بخطوات خفيفة ويشير إليها محمود وتجه نحوه
وتجلس إلى جواره وتسأله « فائقى حاجة مهمة ؟ »

— يدوبك لسه مبتدى ... إيه الى أخرك كده .

— المواصلات

ويحتاج الطلبة على هذا الهمس « هش .. هش » ، ويضطران إلى
الصمت ويتبادلان الحديث كتابه . ويكتب محمود على ورقة « المحاضرة
بالنص من الكتاب إيه رأيك »

تكتب فائزة « المحاضرة الثانية نعهد في الكافريا »
يكتب محمود « نعهد في الجنة مامى أ كلة فلاحى فطير وجبته »
ترد فائزة « الرجم يخسر »
يكتب محمود « يسقط الرجم »
تجيب فائزة « يسقط الرجم »

وفي الحديقة تلتفت فائزة حركها باحة عن مكان الجلوسهما . وتلاحظ
أن محمود أسبقها وابتعد عن مجتمعات الطلبة فتصيح « بلاش تبعد كده تمال هنا
احسن » وتجلس على الحشايش الخضراء ونظراتها تستدعيه إلى جوارها .
وقد طوت ساقها أسفلها لا يظهر منها شيئا ولا ينتبه محمود إلى طريقة
جلستها ولا إلى المكان الذى اختارته بل ينهمك فى إخراج الفطير والخبز
من القفاة ويأكلان وتلق فائزة « لكن ده كثير قوى مش ح نقدر
نخاضه » .

- نقدر ونص .
- والدتك اللي عملاه
- لا مش عميل أى . . هى تكتر سمته عن كده تلاقيها مش
- فاضية ولا أبوى عيان .
- لازم يعنى حد يكون عيان
- أصله كبر وتمب نفسى أخلص وأساعده
- ازاي ؟
- اشتغل فى إدارة زراعية ولا جمعية تعاونية قريبة من بلدنا
- وليه عاوز تقرب من بلدكم .
- أخذ بالى من الزراعة خصوصاً الفول .

— يتنبأ لي أنك مرتبط بالمكان وبأهلك أكثر منى حاجة ثانية .

— أنا ارتباطى بأهل فى مساعدتهم مش بالمكان .

— يجوز .

— طيب واننى مفكر تيش تشغلى فىن .

— نفسى أكون معيدة .

— طيب تازل شوية . يمكن تقديرك ماينفعش

— أحب تكون آمالى واسعة وعريضه وربنا يوفق .

— وهى دى كل آمالك .

— حالياً . . . نعم

— يعنى معنديش آمالى عاطفية .

• ويتروود وجهها وتطرق اللحظة ثم تجيبه « آمالى العاطفية غليها
على جنب لغاية ما أنجح وأشتغل وبعدين أحررها وإركن آمالى العلية
شوية . . . وهكذا »

— ده ولاشغل عسا كر المرور

— عسا كر المرور ينظموا المرور بين الشوارع المتقاطعة لكن
آمالى بتتحرك فى خطوط متوازية . واللى سبق أوقف لغاية التانى ما يحصله
— ليه الترتيب العظيم ده

— إانت مش قلت إن خطى بيدين تفكيرى المرقب .

— فعلا . وأنا باعتبار أن الفكر فى عصرنا ده ثروة ورأس مال
الإنسان فى حياته

— فيه ناس لاهتم بالفكر أو بالعقل بالبطون وبس

— مشكلة الطعام لكل فم من أصعب المشا كل النهارده .

— فيه مشا كل تانية أهم زى التعميم والصناعة والثقافة

— كلها حاجات لاحقة لمشكلة الطعام أو بمعنى آخر توفير الذبويات والبروتينات . وزى ما إناق عارفة توفير البروتينات الحيوانية صعب لكن لما بيدل الى هو .

وتخطف فائزة منه الكلام وتقول « الفول الى بيعتوى على نسبة عالية من البروتين وهو لحم الفقير وغذا الملايين »
ويضحكان جدلا بهذا التوارد الفكرى .

— ٩ —

الدار مزدانة بالاعلام وتندلى اللبات الكهربائية الحمراء والخضراء والصفراء . وعلى مساحة السطح نصب سرادق يتسع المدعوين الذين وفدوا جماعات أو عائلات متكاملة .

يحتل أهل الحى جانبا كبيرا من السرادق . الأطفال يلبسون الجديد أو المجدد وترتدى الفتيات الياфعات أثمن ما لديهن بل وأثمن ما لدى صاحباتهن لعرض مفاتهن على راعب الزواج من شباب الحى . أما النساء فقد حضرن متبرجات تباهى كل بنفسها . ويتطلع الفتية والرجال إلى كل غاديه ورائحة بشد أبصارهم القد المتلنى والوجه الصبوح والصدر الرجراج .

وعلى الجانب الآخر من السرادق يجلس جمع مترام من أهل القرية هم أقارب العريس فى وحدة متائلة المظهر والانطباعات والمواج . إذا ضحكوا نالت أصواتهم جميعا وإذا دهشوا برقت عيونهم جميعا . أما

نساؤهم ويناتهم فقد لبسن ملابس فضفاضة وتغطى رؤوسهن لفحات طويلة . قابعات ككتلة سوداء بعيداً عن الأعين الفضولية وعلى مقربة من (السكوشة) يجلس شباب دائب الحركة في مرحلة جرأة وفي لهوة عبت وفي مزاحه صخب وفي رغبته الحاح . هؤلاء الصاخبون هم زملاء محمود وبعض زميلاته ومن بينهم فائزة .

وتبدأ زفة العروس والعريس . يصعدان الدرج في ثقل وتودة .. العروس واجمة والعريس باسماً ضاحكاً يحى من حوله حتى يصل الموكب إلى المنصة بين الزغاريد العالية وحبات الملح المتناثرة والراقصة تشتي وتتلوى أمامهما

وترقص الراقصة على إيقاع الموسيقى وتصفيق شباب الحى . ينافسه شباب الجامعة ويتكون بذلك فريقان متنافسان يحاول كل أن يجذب الراقصة إلى دائرته ويمضى وطيس المنافسة يستخدم سلاح المال الذى يفتك بالراقصة ويجذبها إلى أهل الحى الذين أشبهوا فى أياديهم الكثير من العملات الورقية . تجمعها الراقصة بكل جزء منها رأسها وصدرها ويديها وخصرها . ولا يجد فريق الجامعة مناصاً إلا أن يستخدم نفس السلاح فيبرزون فلول نقودهم وتأتى عليها الراقصة فى دورة واحدة وتتركهم لتعود إلى الجانب الأكر مالاً . تستفز هذه المهابة فريق الشباب فيدفعون إلى حلبة الرقص بأحدهم وقد حزم وسلطه بمندبل كبير وأخذ يرقص بمهارة .

كل هذا لاثير فاطمة ولايمحرك اهتمامها فهي فى سام وعزوف عن الحفل والمحتفلين حتى ترى الراقصة غاضبة تصرع إلى الفتى الراقص لتطرده .

نقرب منه تهر أردافها في عنف وتضرب الصاجات بعدة وتدور
وتلف حوله وتصوب إليه نظرات حائقة لكن الفتي المنتشى بالتهليل
والتهليل يكايدها في تحد سافر . ويزداد اهتمام فاطمه بهذا النعال .
ترقب الراقصة بعين يقظة وهي تثني بحسدها اللدن وتلاعب بذراعيها
الافنتين حول الفتي تسمى بهما لتسحره وتفتته وتميل نحوه وتنضوعتها
رداها الشفاف تكشف له عن الكثير . يتحرك في الفتي شبابه وينطى
رقصة ويلحقها رعا يريد أن يحسبها بين ذراعيه فتلفت منه في مهارة
حاجنة . تتعاطف فاطمه مع الراقصة وتبرق عيناها تابعا وتناحز إلى جانبها .
وتظل الراقصة تشاكس الفتي مرة بصدورها وأخرى بكتفها حتى
تأسره وينقاد لها ولجأه ترتدى على الأرض وقد مدت ساقا للأمام
وأخرى للخلف وتدور بحدعها حول نفسها مسلة أو مستسلة له وينتال ك
الفتى إلى جوارها وعندئذ تهب الراقصة اللعوب واقفة كلوب إنقبض
ثم انمرد وتجرى هاربة مبارحة المكان والفتى قعيدا مهزوما مذهولا
ولمتفرجون يصخبون ويضحكون .

كل هذا التقطعه عينا فاطمه تستوعب مهارة الراقصة في دحر الفتي
وهزيمته بانوثتها وفنها وبالحاورة والمداورة .

وينتهي الحفل وينصرف المدعوون فرحين سعداء بهذا الحفل لإفاطمة
فترى فيه بداية حياة بائسة ما رغبها ولكن أرغمت على قبولها منذ
شهرين تقريبا على نفس هذا السطح

الفصل الثالث

والأرض تجهز أيضاً

— ١٠ —

ما يزال المطر منهراً في شدة غير مبهودة . والليل قد تجاوز منتصفه
ومحمود جالس على دربه ينظر من خلف قضبانه إلى النافذة الزجاجية
وكان إطارها يسلك بخناق لوحة سوداء لتقرعها حبات المطر الثقيلة .
يعاني محمود عذاباً وقلماً تزيد السماء الملبدة بالسحاب وريميض البرق
ودوى الرعد . يفكر في حقول القبول اليانعة وساحلها ويتجسر على
تلك الأزهار التي يصف بها المطر المائي ينزها من أعوادها ويجرفها
أمامه في قسوة . ونشقق على أيه الذي تمتى محسولاً وفيراً يوم كانت
الأعواد مثقلة بالأزهار لسكن المطر ضيقت كل أمل وأطاحت بكل
رجاء ، ويجد أن عليه أن يرحل إلى أيه ليكون إلى جواره في هذه
الحنة ولعله تستطيع نصحه بشيء ذي بال بما قرأه في الكتب عن القبول .

يسير على الدرب الزراعي الذي قطعه مئات الحرات وهو يشمر
بنظونه حذر الطين الرحو . ويفسح له الفلاحون طريقاً ليسبقهم حتى
لا تنسخ ملابسهم الثمينة — هكذا بدت لهم — يرذاذ الطين المتطاير
من حوافر الهائم ويشكروهم مقدراً شعورهم الطيب .

ويرقب محمود الحقول وقد انتشر فيها الفلاحون يعملون على
تصريف المياه من حقولهم . يشقون لها مجارى تسحبها إلى الجداول والمساقى .
يدخل محمود قريته الخريفة في صمت . وقد نشطت النساء والضيعة

في إصلاح جدران دورهن التي صدعها المطر وينشرن أعواد الذرة
والحطب حتى أقراس الجمل لتجف وتصلح للإيقاد .

ويصل داره .. الرؤوس منكسة الحزن تخيم على الجميع وتقول له الأم
« لانت جيت يا بني تطل على مصيبتنا » .

— مصيبة إيه يا أم دول شوية مطر

— ده الفول راح يا بني

— راح ؟ .. راح ازاي ؟

وتقول الشقيقة الصغرى « الفول انجلع وأنا قلبي إنقطع » ويمسحها
عمود « إيه الندب ده يا بت ؟ »

الشقيقة — باندب على حال وعلى جوازي اللي ما هو باين له يوم
الأم — إهدى يا بت .. بكرة تنجوزي ع الجطن

الشقيقة — لا انا محصلة جطن ولا فول

الأم — حتشوفي ع الجطن جطع لسانك ..

عمود — أنا رايح لابوي أشوفه

الأم — مع السلامة يا بني

ويرى عمود أباه في القبط ومن حوله الأبقار تخلع الفول من جذوره
لثمره على الأرض ويدرك عمود مقدار ما أصاب أباه من خسارة
تزداد شفقته عليه ويقرب منه ويماثقه مواشياً متعطاشاً ويقول دتعرض
يا بابا .. ما تزعاش ، ويجيب الأب الذي طاحته الحزن : « ما أزعاش
إزاي ده الفلاح تون عالية مرته تـ جـط ولا تـ جـط جا من سنه وأنا اللي
أرجى سـ جـط وشيانا اللي عليها أحمل إيه ؟ »

- وزرعت كام فدان فول ؟
- أربعة
- واحد يعمل كده وانت عارف الفول وأحواله
- جالولى إن طوبة بتيجى ستين برد وستين دافية وبالحسبة
- دى كان لازم تيجى حلوة وهادية
- وناوى تزرع إيه دلوقتى ؟
- لفت ... لفت يابنى
- والى عاوز يعوض خسارته يزرع لفت..قول بطاطس مثلاً.
- واصرف عليه منين . أجيب حج التجاوى منين ولا السباد
- ولا الإنفار ؟
- طيب إزرع النص لفت والنص بطاطس
- آنى خلاص اتفجت مع الشيخ خليل على زرعه حصيرة
- لها بعد شهرين .
- وإيه دخل الشيخ خليل ؟
- مش عاوز قلوسه
- طول الشيخ خليل ماهو ورانا عمرنا ما ح تكسب أبداً
- والله الشيخ خليل الى مش عاجبك مريحنى وعارف حساباتى معاه
- أنا مش مقتنع بالكلام ده
- وانت بيجى مش لازمك جرشين ؟
- ربنا يبارك لنا فيك .. أنا جيت أطل عليك بس
- ماتخافش على أبوك .. ياما بلاوى .. وياما مصايب وهدت
- بكرة يابا أخلص وآجى أساعدك
- المساعد ربنا .. وكان آنى ما يعجبنيش كلام الافنديه
- والعلام بتاعهم .

— أمال العلم فأيده إليه بقى
 — فأيده إنكم تستوظفوا وتهندزوا علينا
 — ح ييجى اليوم اللى اثبت لك إن العلم هو اللى يحل كل مشاكلك
 ... حتى القول كان .
 — يعطيك العافية يا بنى ... ويعطيك العمر

— ٩١ —

يتشر زواج حسن وفاطمة بين رغباته المشبوبة تؤيده حقوقه
 الشرعية وبين رفضها كل استجابة أو غمازة زوجية . فقد ترسب في
 نفسها نفورا منه وهن شبقه . إذا قاربها وهم بها قفزت إلى ذاكرتها
 أحداث عدوانه الأول عليها فتضرب ويغشى عليها وإذا أحبط بها ولم تجد
 مفر تلجأ إلى الحيلة تتناوم مرة وتتناقض أخرى . يعجز حسن بهذه
 المراوغة لكنه يتمسك بالصبر ويأخذها بالعين والحوادة .
 ويأتى لها بجلباب جديد يحمله إليها فرحاً ومؤملاً لعل جفونها تذهب
 وتمنحها يضعف . ويقدم لها الجلباب قائلاً « شوفى جيت لك إليه ...
 تعالى قيسيا » .

— مش وقته ... لما أطبخ

— هدى النار وتعالى

— أنا تمبانة

— هدى النار يا فاطمة .. نارى يا فاطمة .. حرام عليكى .
 ولا تتحرك فاطمة من مكانها بالمطبخ ويضطر محمود إلى إطفاء موقد
 الجاز بنفسه فتصيح فيه « إيه اللى عملته ده؟ لا يجيب حسن ويمسك يدها
 ويقف ينفذها إلى غرفة النوم وتقاومه قائلة « ح تاكل العصر إن شاء الله»

— ولا يهلك .. تعالى فيسى الأول

وفي غرفة النوم تأخذ منه الجلباب وتبتعد قائلة روح أقسها .. بس
خليك عندك ٥

وتخلعها وتضعها جانباً. ويرى حسن جسدها البض وصدرها الناهد
فيشتعل كإفانه ويندفع نحوها يحماها بذراعيه القويتين إلى السرير وهي
تتولى لتفلس منه وتقاومه بضراوة حتى لا تتمكن من نفسها يرفعها
نحو الفراش وتتحرك بنصف ذات اليمين وذات الشمال وتدفعه
بيديها ويزوغ بصبرها وتشعر بدوار وجأة يصدر من حنجرتها
صوت غليظ هادر «أع..أع..أع» ويخرج من فمها شيء غزير
يصيبه في وجهه وصدره فيرتد عنها وقد انقلب شوقه وإقباله إلى تفوز
وإذئار ويصبح هو هو. هو أيق مشيح تبطل القرف ده، ويبحث عن فوطة
يزيل بها ما علق بجسده ويرده هو أنا كلاً ما آجى جنيتك تعدى العملة
المهيبه دى ، وتتمسك فاطمة بالهدوء وتمضى لتحضّر وعاء به ماء لتنظف
الأرض والفراش . بينما حسن يرتدى ملابسه ويخرج غاضباً دون أن
تعيده فاطمة أى اهتمام .

لكن سرعان ما يعود ومعه سنية . وتؤخذ فاطمة بها وتقول «لانى
جيتى يا أمااا .. أهلا ، وتقرب منها أمها وتساألها فى لحظة جدية
— لانى مزعة جوزك ليه ؟

— هو ناقصه ليه علشان يزعل .. باطبخ واغسل وانصف

— هو الراجل بيعوز الحاجات دى بس . لازم تنبيهه ده لسه شاب
يجب المزار والدلع .. ولا تنصلى خاية لفاية ما يجوز عليكى

— يتجوز وپرېنى ؟

- يقطعك يادى البت . . . انتى انبلى ولا ليه ؟
 — مش طايقاه .
 — أنا هشن قلت لك فكرى قبل ما تتجوزيه
 — كن لازم اتجوزه .
 — هو حد اشتكى منك ولا غضبك على الجواز
 — آهو قسمتى بقى .
 — بس لازم تهاوديه وترجييه
 — أعمل ايه . . . أول ما يقرب منى جسمى يولع نار وأطرش كل
 اللى فى بطنى .
 — يخيبك يادى البنت . وحك جاى على جوزك .
 — آهو ده اللى بيحصل
 — لما أقوم أراخى حسن
 وتجلس إلى جواره فى الصالة مبهتمة لتخفف من عبوسه وتقول له
 « شوف يابنى . هرايك وحها جاى عليك . يعنى لما نشم ريحتك
 ولا نفسك يتجى فى نفسها روحها تنم عليها وتتقايأ »
 — أنا مالى ومال الوحم ده
 استحمل يابنى شوية وأنا من ناحيتى ح اشترى شوية بخور
 تعدل نفسها وتمنع الوحم .
 — أنا خلاص قاض بى من يوم ما اتجوزنا وإحنا فى الحال ده
 — اصبر بكرة وحها يروح وتنهى بيها
 وتعود إلى لابتها لتنصصها . خلى بالك دلى جوزك لازم ترجييه . ح
 أجيبالك بخور بضيق القرف والوحم «
 — ولازمته ليه كل ده

— أنتى يا بت عبيطة ولا بدستعبطى ... جوزك لازم تهاديه
وطارعه أنا قلت لك وانتى حرة وخيلتك بماقية .

— ٨٢ —

الطريق إلى الجامعة هريض يتسع لآلاف الطلبة الذين يعبرونه يومياً
بعد أن اجتازوا الحواجز التعليمية التى تقام سنوياً لتصفية الحشود
الساعية إلى هذا الطريق . يسير الطلبة وفى حركتهم حماس ودفع حماس
يفيض به شبابهم وتذخر به حيويتهنم أما الدفع فن الآباء لينزود الأبناء
بالعلم ليؤمنوا به حياتهم ولينشقوا طريقاً إلى مستقبل أرحب وأهنأ .
ومن عابرى هذا الطريق جمع من الطلبة يضم محمداً وفايزة ويبدو
على محمداً كدر تلحظه فايزة وتحاول بابتسامته المشرقة أن تخرجه عن
صمته وتبادره بالحديث « ليه قيمة الزعل بتاعك ؟ »

— يجوز زعل يكون بدون فائدة لكن لازم أعبر عن نفسى

— ولو ... حولته إلى طاقة وعمل مش أحسن ؟

— ياريت داقدر أعمل حاجة أحى بيها الفول من البرد والمطر ...

— مشكلة ...

وبعد فترة صمت تستأنف الحديث « ليه رأيك لو نحضر مناقشة

الدكتوراه بتاعة المعيد سمير ندا »

— وليه موضوعها ؟

— تأثير طول النهار وقصره على نمو النباتات

— بقى ده اسمه كلام ... ح يفدنا بإيه البحث ده

— معنى من طريق الإضاءة الصناعية نتحكم فى نضج النبات ونمره

لو البحث ده عن الفول ولا البرة مش كان أحسن ؟

— فيه أبحاث كثيرة عن الحاجات هي

— مش كفاية

— كل واحد عنده مشكلة يبق عاوز العالم كله يهتم أو يبحثها لكن
مع الوقت وتكوين أجيال من العلماء المشاكل ده تفرض نفسها عليهم
وتجبرهم على بحثها

— خلاص . . . يستنى أبوى وأهل لغاية ما يطلع ألف دكتور
علشان يحلوا مشكله الفول مثلا

ويتوقف الحديث والجميع يمدون مسير يمشون الميدان الكبير
وعلى مقربة منهم تمثال نعمة مصر يتطلع إلى كوبرى الجامعة أو إلى
الإفنى البعيد وعندما يصلوا إلى الكوبرى يشاهدون قافلة من المراكب
الشرابية عملة (بالبلاليس) والقال . ويصدر من أحدها صوت
الراديو يذيع أغنية شعبية مشهورة . ويتوقفون لينظروا هذه الصورة
الجميلة ويطلق أحد الزملاء « شافين التكنولوجيا نزلت ازاي
لخدمة الناس »

محمود - لكنها ما دخلتش صميم حياتهم
وتعلق فايزة « لسكتها بتريحهم من الملل »

— احنا لازم نحس بالملل ورتاييه

— ايه بقى ؟

— علشان نشعر بالإقاع الزمن

— وهو الزمن له إيقاع

— أيوه له إيقاع سريع وبطيء

— الزمن واحد فى كل مكان

— واحد من حيث الساعة والدقيقة ولكنه مختلف من حيث إحساسنا به .

— كلامك مش مفهوم

— بلاد فيها إيقاع الزمن سريع تسمعه في أزيز الطيارات ودوى الآلات وضجيج المصانع وتشوفيه في خطوات الناس وفي رقصهم .

— في أى بلد تقدر تحس بالحاجات دى وتشوف مظاهرها .

— خل حركك على الأغلبية . وبلاد تانية تلاحظي الزمن يتهادى ويبتخطر في المناقشة والكلام وأداء الأعمال وحركة الساقية وفي الموسيقى والاسترخاء .

وعندئذ تصل آخر مركب إلى أسفل الكوبرى ويرفع صوت الأغنية ، على حزب وداد جلي يابوى . . ، ويقطع الأغنية صوت عربة مسرعة تطلق آلة التنبيه الصاخبة وتثير امتعاض الطلبة الراغبين في الاستمتاع بتلك اللوحة الشعبية .

— ١٣ —

تصاب فايژه بالأنفلوانزا وتمتلك في منزلها لعدة أيام . تزورها زميلاتها سهير التي تقطن قريباً منها في حي النيل . وتقول سهير ، محمود يسلم . وموصيني أطمئه عليكى ،

— مرسى قوى .. وعاملين إيه في المحاضرات

— ومين سمك ؟ أنا مش دريانه بالمحاضرات خالص

— إيه ما بتروحيش الكلية ؟

— أصل قاعده جنب محمود وطول المحاضرات عمال يملق ويقفش

لكل محاضر .. مش غليني أكتب حاجة والغرابه انه اتفتوش كله .

- (بضيق) أصله شاطر
- ده هايل وظريف موت كلامه بينفذ تحت الجلد
- (بغضب مكتوم) ياه ... ده انتى معجبه بيه خالص
- وخياتك كزميل مش أكثر من كده ... ح عجبى السكليه امنى؟
- كان يومين ...
- طيب شدى حيلك
- تنصرف سهر وقد تركت كلماتها بصيات على خيال فايزة تظهر آثارها
- عندما يقابلها محمود بالسكليه بعد عودتها ويحبا « حمد الله على السلامه »
- (بفتور) مرسى
- سهر طمنتنى عليكى
- عارفه
- مالك لسه تعبانه والّا فى دور النقااه؟
- لا ... أنا فى دور مراجعه
- (بدهشه) مراجعه ايه ... إحنافين وآخر السنه فين ؟
- أنا بأراجع نفسى وأفكارى
- جو أبنتى كان عندك انفلوانزا والا ... صوفيا
- (بغضب واستنكار) وايه صوفيا ده ؟
- آلم الحكه عند الاغريق
- إنت اصلك فايق ... عن اذنك
- وتحاول أن تذهب لكنه يعرض طريقها ويقول « انتى رايحه فين »
- رايحه أنتمشى لوحدى
- طيب استنى لما تأخذى المحاضرات الل فاتتك
- خليفهم لسهر أحسن

— سهر كانت موجودة ومش عاوزة حاجة
 — طبعاً مش كانت قاعدة جنبك ؟
 ويلحظ محمود انفعالها ويدرك سببه فيقول بلهجة صادقة « تأكدى
 محدش يلا مكانك . . . واتفضلى خدى المحاضرات بقى » وتأخذها منه
 وتنظر إليه بتعاضب ودود « أنا تمبتك »
 — أنا ما كنتش بأنام إلا بعد ما اكتبها لك
 — مرسى . . . وما لقيتش غير سهر إلى تبعتها تسأل عنى
 — هى الوحيدة إلى ساكنه جنبك فى المنزل
 وتبر له فائزة عن مشاعرها فتحضن المحاضرات وكتبها فى صدرها
 وتبتسم له ابتسامة مشرقة تزيل ذلك الكدر الذى شاب ظلها وتقول
 « يا الله أحسن المحاضرة مهادها قرب » ثم يسيران جنباً إلى جنب .

— ١٤ —

يدخل حس داره . ويتجه إلى فاطمة وقد حمل لفافتين ويقول
 لها « أنا جيت لك كباب لكن معتبر »
 — والبطاطس إلى طبخته ؟
 — ينفع للمشاي فاطمطم . . خدى حضرى الغدا بقى .
 ويتناولها اللفافة الكبرى أما الصغرى فيفتحها ويشمها بشدة ثم يرفع
 رأسه إلى أعلى يستطيب رائحتها .
 وتدعوه فاطمة للغداء ويجلس إلى جوارها ويقبل على التهام اللحم
 بشهية ثم ينظر إلى فاطمة بنظرات أكثر شهياً . ينتقى لها قطعة من
 الكباب ويقدمها لها حتى فيها قائل « افنى بقلك » وتضحك فاطمة
 لهذه المداعبة وتقول « لا أخدما بإيدى »

— وحياتي عندك لانتى وكلاهما من لىدى
وتمثل لرجائه وتخضع لإرادته وهى فى وشك من هذه المقدمات
ويتنهى الطعام ويتجرع حسن الماء من القلة مجدثا صوتا عاليا يعلن عن
فتوته وخولته ثم يسمح فبه بظهر يده ثم يراقب فاطمة وهى تنظر أمامه
قادية راحة

يحمل القفاة الصغيرة إلى المطبخ ويجهز الموقد الصغير ويشعل عليه
بعض الفحم ويضع بعض عا فى القفاة عليه ويتصاعد دخان ممطراً ثم
يذهب بذلك كله إلى غرفة النوم ويضع الموقد على الأرض ويروده بكية
أخرى من البخور الذى يتصاعد دخانه يملأ الغرفة . ويخلع حسن رداه
ويبقى بملابسه الداخلية ثم ينادى فاطمة التى تحضر وتسأله « ليه
البخور ده ؟ »

— ده بخور النفس يمنع الوحم والغرف ويروق الدماغ
وتدرك ما يعنيه بقوله فتحاول أن تخرج لكنة يستوقفها « لانتى
رايحه فين ... أنا عاوزك »

— طيب لما اشطب المطبخ وأغسل المواعين
— لا مو... ولا نو... تعالى هنا خطى البخور سبع مرات
— وليه بقى

— أمك قالت كده... لبقى اسألها
ولا يتحمل مزيداً من ترددتها فيشدها من يدها حتى تدنوس الموقد
وترفع ثيابها عن ساقها الشبيتين وتبدأ وحسن يمد واحد... لنتين
ثلاثه... أربعة ، وتتوقف فاطمة حائرة تحشى باقى الخطوات فجذبها

قائلا : خطوئين والجو يحلوا بجميل ، ثم يواصل العدد خمسة ، وكان ستة
... والسابعة وخلاص ،

ويطلق الموقد وينهض إليها ماسحا جسدها بعينين تتراقص فيها الرغبة
ويقرب ليحتضنها وقد وضع على فمه إبتسامة مشجعة . ويحاول أن يرفع
رداتها عنها فتنازع قائلة بصوت خائر : الدنيا برد ... ،

— أنا أدفيكي . . ناري ح تدفيكي . . تعالى في صدري

ويخلع عنها رداءها ويقذف به بعيداً ويميل بجسده نحوها فتدفعه عنها
وتستثيره تلك الدفعة فيهبهم عليهما ويحتويها بذراعيه ويحملها الى الفراش
وهي تتخلص منه حتى تفلت وتهرب الى أقصى الغرفة ويتبعها بسرعة
ويستعيداها الى أحضاناه . وبين هذا الدفع والتدافع يركلها بساقه
في بطنها ركلة عنيفة تصرخ في أعقابها وتجمد عيناها وتتلأثى مقاومتها
وتصير كخرقة بالية لا قوام لها ويفاجأ حسن بما حدث ويفزع وتترأخي
قبضته وتسقط فاطمة الى الأرض مغشيا عليها فيجشوا الى جوارها
ويخبط خديها براحتيه لعلها تفيق ويناديا : فاطمة . . فاطمة . .
خلاص . . ما تخافيش ،

ويزداد شعوبها وينضج وجهها عرقاً غزيراً وتتسارع أنفاسها .
ويضطرب حسن وينتابه الهلع فيرتدى منامته بسرعة ويستدعى الجيران
يستنقذهم وتأتي النسوة ويشدد الجدل والحديث ثم يرفعتها الى السرير
ويدثرنها بالملحاف وتلك احدا من أطرافها وتصيح الأخرى : لازم
الاسراف . . أنا نازله أطلبها . . ، وعطرح أخرى قائلة : لازم أمها
تيجي . . ، وتذهب لإحضارها

وتنزل هذا الكلمات على رأس حسن كطارق شديدة فيجلس إلى
أقرب كرسي خائراً منها راً وصيحات فاطمة لاتقطع دأى .. الحقونى.
ضربنى ... عاوز يموتنى ،

فيهب حسن مدافعاً عن نفسه د أبدأ والله ... ده إحنا كنا بنزر ،
ونأق الأم يسبها صراخها وتدخل ملتاغة مروعة وتقترب من ابتها
وتسألها د مالك يا بنتى ... إيه اللى جرى لك ؟ ، فلا تسمع ردأ ولا تعقياً
وترى حسن وتصرخ فيه د عملت إيه فى بنتى ... قول د ويجيب حسن
منكسا رأسه د ولا حاجة ... كنا بنزر . رجلى جت فى بطنها ،

— وهى حلك ... هاتوا لى الإسعاف ... هاتوا لى النيابة

ويستمر الحال على هذا العيباح حتى تحضر الاسعاف ويشدد صراخ
الأم عندما ترى ابتها عمله على التقالة . ويحضر عم عبد الله مذهولا
يسأل كل من يمر به د بنتى ماذا ... مالها فاطمة ، ويجيبه أحدهم
د سليمة إن شاء الله ... سليمة

وتلحه سنيه وتقول له با كيه د شوف عمل فى بنتك إيه .. عاوز
يموتها ،

— كده يا حسن تعمل كده

— أبدأ والله ما قصدى ... البخور هو السبب فى المصيبة دى

— بخور ... بخور إيه ؟

— بخور جابته أم مختار

ويلتفت الرجل إلى زوجته أزيد من الإيضاح فتقول له د أبدأ ..
هو اللى مفترى ، ويدعمهم أحد الموجودين د أحسن حاجة تروحوا القصر
العينى تظمنوا عليها .

أمام قسم الحوادث بمستشفى القصر العيني يقف جمع كبير من
الأصدقاء والجيران وقد أحاطوا بهم عبد الله وزوجته وحسن ينتظرون
أى دلالة أو خبر عن فاطمة . وتشفق عليهم مرضة فأنهم بالنبا اليقين
قائلة ، شويه نزيه ... ويقف بعد مده صغيرة .. مفيش داعى الخوف
سنيه — طيب أخش أشوقا
المرضة — هى له فى البنج

سنيه — بنج الحقنى يا عبد الله ... دول عملوا لها عملية
المرضة — ياستى ما تخافيش كسده ... الجنين نزل وكلها
ساعة وتفوق

سنيه — ربنا ما يوقف لك عدو فى سكه .. خلينى أخش
المرضة — الإيارة بكره

وتذهب الممرضة ولاحمد سنيه لإحسن تصب عليه لعنتها ...
وتقول له « روح ربنا يتقم منك ، ثم تردف « هو أنت على بالك
خاچه . لوراحت تتجوز غيرها تانى يوم ،
ولايستطيع حسن تحمل ذلك التعريض ، أنا ح أقصر الشر ومائى
وبعدين لى كلام معاكم .

— وليك عين كان تتكلم ؟

ويسارع حسن - حتى لا يسمع مزيداً من التوبيخ والتفريع
فى الذهاب إلى (الجراج) ويتجه إلى عربته ويسأل زميل له « مالك
يا أبر على شايلى الدنيا ليه ؟

— أبدأ ... الواية تمبانة وسايها فى القصر العيني

— ما بلاش تطلع البيلة وتقمذ جنبها يمكن تموز حاجة

— وأنا ح أحمل إيه والزبارة ممنوعة ؟

— روق بيق وما تخدش بالك سواقة الليل عاوزه البال الرايق

ويفحص حسن عربته . يختبر الاطارات والإضاءة والفراجل والحولة

وخلافه ويصعد إلى عجلة القيادة ثم يتحرك بالعربة إلى وجهتها .

العربة تطوى الطريق وصوت المحرك يعطن في رتابة تحرك الاشجان

والذكريات ويستعيد قصته مع فاطمة منذ حادثة السطوح حتى ذهابها

محملة على عربة الاسعاف ويتجسد في خياله الصراعات الدائمة بينهما

وتتوتر أعصابه ويزداد إنفعاله وينعكس ذلك على العربة فيقودها

بنظرة وعنف لا يتفق مع حجم العربة ولا مع محاولتها الثقيلة .

ولجأة يظهر له بين الظلام شخص يشد حماراً ليبر به الطريق إلى

الجانب الآخر . العربة مندفعة تكاد تدمهما وتصرعهما .

يتنبه حسن إلى ما هو موشك أن يقع . حادثة أخرى تضاف

إلى حادثته مع زوجته . وينحرف بالعربة بشدة إلى خارج الطريق

ليتفادى الرجل وحماره لكن سرعة العربة تفقده سيطرته عليها فتصطدم

بشجرة غليظة فتتشم مقدمتها تماماً وتضبط عجلة القيادة على صدر حسن .

ويحضر رجال الإسعاف لكن الموت أسرع منهم إليه ثم يصل رجال

الشرطة . ومن التحقيق الأول يتبين أنه ذهب ضحية محاولة إنقاذ

الرجل والحمار .

الفصل الرابع

السطح ينشط مرة أخرى

— ١٥ —

تعود فاطمة — الأرملة الصغيرة — إلى منزل أسرتها الذي لم تكن بارحة إلا منذ شهر قليلة . وتعود وهي غير آسفة إلا على أنها أصبحت أرملة قبل أن تنحطى العشرين ربيعاً بينما أترابها لازلن يرفان في ثوب العذرية الوردى

ويؤقن بأنها إلى الشقة حتى تضيق به وبمن فيها من البشر . تصر فاطمة على أن ينحصر لها غرفة من الأربعة لتنام فيها وحدها ، وتحاول الأم أن تثنيها عن عزها قائلة طيب وأودى أخواتك فين؟ ،

— أنا ما ليش دعوه

— طيب خدى بثينة معاكى ... اهى صغيرة لسه

— أبدأ

— يعنى عوزانى أكربس اخواتك فى أوده واحده

— مش هاوزه حدمعاى ... وبس

— أمرى لله

وبذلك تفرض فاطمة لأول مرة أوضاعاً جديدة فى المنزل . وتغير كثيراً من سلوكها فى لا تشارك إخوتها اليوم . أو تعايشهم بل وتشعرهم دائماً بأنها كبيرتهم وأصبحت تفضل الخلوة فى غرفتها ، ويشير ذلك السلوك حديثاً بين الأب والأم التى تقول د فاطمة

- مش عجبانى . طول النهار يتزق فى اخواتها
 — أعذريها أعصابها تعبانه
 — ومن يومين جت أم-سلامه علشان تاخد بخاطر ما عامت نفسها
 تعبانه ومرضتس تقابلها .
 — وليه بتعمل كده ؟
 — ومش كده وبس شفتها بعدين بتدور فى كتب أخوها مختار ..
 وقال إيه عاوزة تذاكر علشان تخش مدرسة ليليه
 — مدرسة ليلية ؟ .. هى فاكده نفسها صغيرة
 — ومن ده على طول
 ويدخل إياها أبوها ليتكشف أمرها وقد وضع على وجهه ابتسامه
 حانية « مالك يا بنتى حالك مش عاجبتى ؟
 — شوية زهق يا بابا
 — والى زهقان مش يقعد مع الناس علشان يتسلى
 — مش قادره .. عفى تاعبنى
 — بتفكرى فى إيه ؟ .. مش أنا أبوكى ولازم أعرف اللى شاغللك
 — انت اللى شاغلتنى
 — أنا ؟ .. فى إيه ؟؟ صحتى عال والحال رضى
 — انت ح تخرج على المعاش امتى ؟
 ويؤخذ الأب بذلك السؤال الذى لم يتوقعه منها ويشعل فى الرد :
 « .. المعاش .. لسه بدرى »

- بدري أدايه ؟
 — شهرين ثلاثة . أربعة
 — هو ده بدري .. مش لازم تفكر ح تعمل إيه بعد المعاش
 — إن جيتي الحق له
 — أنا بقي فكرت لك . أ حسن حاجة تفتح محل خردوات وسجائر
 ويتسم الآب لاهتمام إيلته بأمره ولسذاجتها فيعقب د الله يدملك
 يا شيخه طيب ح نجيب فلوس منين علشان نفتح بيها المحل
 — (في حماس) من عندي . . من التعويض بتاع الحادثة
 — ودي معقولة برضه آخد فلوسك واشتغل بها
 — ما أنا ح اشتغل معاك
 — تشتغلي معاي إزاي . . معقول الكلام ده ؟
 — وهو الشغل عيب ما كل البنات اللي كانوا معاي في المدرسة
 بتشغل دلوقتي .
 — لكن إناق انجوزني وبقيتي وما يصحش تقفي في دكان
 — انا عاوزني أغسل لكم وأطبخ لكم وبعدين ترموني لأي واحد
 عاوزي وز .
 — إهدي يابنتي مش كده . . .
 وتدخل الام ويخبرها هم عبد الله شرفي بنتك عاوزة تقف في دكان وتبيع
 الام — كلام إيه ده . . إالى زيك مالهوش غير الجواز .
 فاطمة — طيبه مالا اتق رايحه تجيبني أم سلامة الخاطبة وعوزاني
 فهوة وتستعرضني بالطول والعرض والي ما يشتري يتفرج
 الام — إناق جري لعقلك حاجة . .

فاطمة — ياريت كان ربنا خافني وأنا في المستنق كنت استريح
الآب — ولومته إيه الكلام ده ؟

وتصيح فاطمة وهي تبكي « أنا مش قاعده في البيت ده ح اخرج
إن شاء الله أستغل غساله »

وينتاب الآب الخوف من هذه النوايا الخطيرة فيقترب منها ليلطف من حدة
انفعالها لما تقبض التعريض بمبق تفكر في الموضوع ده، ثم يلتفت إلى زوجته
« إعملى لها كوباية ينسون تروقها ، ويمضيان تاركين فاطمة غاضبة ثائرة

— ١٦ —

يعود محمود إل الكلية بعد غيبة أسبوع قضاها في القرية ليشارك في
واجبات الغراء وتكون سهر أول من يقابله في فناء الكلية وتواسيه
« البقية في حياتك »

— حياتك الباقية

— كان صغير ؟

— مات عنده سبعة وعشرين سنة

— يا حرام ... كان متجوز ؟

— كان يدوبك لسه متجوز ... مراته إترملت صغيره

— هي حلوة ؟

— جميلة

— يبقى ح تنجوز بسرعة

- ربنا يصبرها
- كان بدوى أنقل لك المحاضرات . . لكن مقدرتش
- زمان فائزة نقلتها
- ما أظنش
- ليه كانت غايبه ؟
- أبداً . . . كانت مشغولة مع الدكتور سمير ندا كل يوم فى المعمل
- لكن إحنا خلصنا العمل بتاع الكيمياء من مدة
- يمكن بتراجع معاه حاجة كده ولا كده
- غريبة الحكاية دى
- تعرف إن الدكتور سمير ده ما بهضموش أبداً . طالع فيها خالص
- عبقرى . . . مش معاه دكتوراه بمرتبة الشرف
- ما تيجى نقعد فى الكافتريا
- ما أقدرش . . . لأنق عارفه ظروفى
- طيب تعال نقعد فى المكتبة . . . لسه بدوى على المحاضرة
- معقول برضه
- وهناك يمر محمود على لوحة بالألوان توضح جذور الفول وقطاعاته .
- فيقف عندها . وتسأله سهير « عجبك . . . أرسما لك ؟ »
- تعمرفنى ؟
- تحب أرسمك وتشوف بأعرف والا . . لا ؟
- لا كفاية ترسمى اللوحة دى

ويجلسان هي أمام اللوحة وقد أخرجت ورقة كبيرة من حقيبتها
وأخذت ترسمها ومن حين لآخر تنظر إليه وهي تحرك القلم بسرعة ومهارة
وتحدثه « لو كان معاً ألوان كنت طلعت لوحة جميلة ... »

— مش مهم

— الألوان معبرة وتساعد على إظهار المعاني

— أنا عاوزك تبينى الخلايا بالتفصيل

وتدفع سهر إليه بالورقة وعلى وجهها ابتسامة الانتصار وتقول
« إيه رأيك فى القطاع ده »

وينظر محمد إلى الصورة التى أعطتها له مأخوذاً مقعجياً ثم يقول
« مش معقول ده إننى فنانة هائلة »

— بأعجبك

— بس مركباني حسان إيه ؟

— بأعجبك فارس

— وإيه القلعة دى ؟

— دى قلعة السلطان

— ومين دى الى ودى القضبان ؟

— سبت الحسن والجمال

— وقصدك إيه من ده كله ؟

— واحدة معجبة بيبك وعوزاك تقسم الأسوار والجدران وتنقدها
من السلطان .

— أنا مش قادر أفهمك

- ده أنا بسيطة جداً .
- ما أقصد كيشن ... أقصد الرسم
- ليس ؟
- مش واقى . . الفناء الهارده تقدر تختار فارسها ذى رغبته .
- القضبان دى كانت زمان .
- ثم يردف بعد أن يكون قد طوى الورقة « وإمتى ترسمى قطاعات
الجزور ؟ » مشيراً إلى اللوحة
- لما اقتنع بـها
- اللوحة دى لها فوائد علمية كثيرة
- لكن جافة . . . ما تحركش الخيال
- فكرى إن الجزور دى يتحول عناصر الـ "ب" إلى بروتين يشبع
الملايين . أظن خيالك لازم يتحرك
- حتى لو اتحرك أرسيمها بطريقتى . . . جذور فى الأرض وافواه
مفتوحة . . وأسنان حادة بتشد الجزور من الأرض بشراسه وعنف
- دى آخر الخبطة
- أنا بأرسم الحاجة زى ما بحس بها مش دى ما بتشوفها .
- ويقطع حديثها دخول فائزة وبجوارها الدكتور سمير . ويرى كل
منهم الآخر وترتبك فائزة للحظة ثم تتابع سيرها مع الدكتور سمير حتى
يتوقفأ أمام أحد الأرفف ويلتقط ثقاباً ويعطيه إلى فائزة قائلاً « ح تلاقى
فيه بحس عن أثر العنود على التزهير المبكر
- متشكره قوى
- إن لا فتي حاجة صعبة . . . مرى على
- مرى

ويعضى الدكتور سمير وتقف فائزة متشاقة بالكتاب ثم تتقدم إلى
 محمود وتقول له « البقية في حياتك »
 — محمود حياتك الباقية ... ومتشكر على التلغراف
 فائزة — عن إذنك ... ألحق المحاضرة
 سهير — لسه بدرى ... مستعجلة ليه ؟
 محمود — استى يا فائزة أنا جاى معاكى
 سهير — مش الاول توربها اللوحة دى
 ثم تدفع بها إلى فائزة فى تحد وهى تقولده شوفى رسمته إزاي ... إيه
 رأيك ،

ورغما عما تتعلق نظراتها باللوحة ويختلج وجهها قليلا ثم تعقب
 « صحيح ... بتعرفى ترسمى ،
 سهير — تحب أرسلك انتى كانت
 فائزة — ما أنفمش موضوع رسميه

ثم تركها فى خطوات مسرعة وشعرها المعقوص الخلف بشرط
 رقيق يريد أن ينطلق من قيوده يفارحها غضبها وثورتها . ويقف محمود
 حائراً للحظة فينظر مرة إلى فائزة وأخرى إلى سهير ثم يندفع لياحق
 بفائزة وهو يقول لها « على مهلك شوية ... دقيقة واحدة أكلك
 واشرح لك ،

لكنها دون أن تبطئ سيرها تقول له « روح لما تكمل الرسم ،
 ويقبل على محمود جماعة من زملائه ليقدموا له المزاء فيضطر إلى
 التوقف والاستماع إلى هواساتهم وصيناه يتابع فائزة حتى تختفى .

- ١٧ -

ترحف فاطمة زحفا مطرداً . لها كل يوم شيء . تفاجئ الجميع
بملابسها الملونة وعصابة رأسها الخضراء . تراها أمها قدشقي د . . .
إيه اللي انتي لا بساه ؟

— (في تحد وجساره) جلاية صفرة ومنديل أخضر
— وتلعى الأسود قبل السنوية بتاعة جوزك
— إننى عارزه تلبسنى عليه الأسود أكثر من اللي عشته معاه
— الناس تقول علينا إيه ؟
وتقرب فاطمة من أمها وتضع يدها على كتفها في ود وتقول بلهجة
رفيقة : طيب لو جالى عريس النهاردة ح البس اسود برضه ؟
— طبعا لا

— عزن . بقى أم سلامة جابت عريس من اللي بتدورى عليهم
— يقطعك يادى البت .. مغلبانى ومغلبة غيشقى
— هو مختار ماعدش يياخد دروس ليه من سى محمود ؟
— من يوم المرحوم مامات وهو لا بينزل لمختار ولا أخوكى
بيطلع له

— وإيه بقى ؟
— زعلان على ابن عمه
— بس مختار شايفاه مكمل عن المذاكرة وخايفه ليه سقط
— قايملك على مختار .. ولا عنيكى على محمود ؟
— لا طي ولا عني .. أنا عوزاه يجرى لى على النعويض

— يوم الميرى بسنه

— علشان كده لازم حد يشوف مصالحى وأصرف القرشين واشغلها

فى حاجة

— انتى اسه بتنكرى فى الهباب ده ؟

— اسمى يا أم علشان مازعائش . أنا فكرت أفتح مشغل سجاد

فى السطح

— اللى يسمعك يقول أنا بكلم راجل مش بت ما كملتش عشرين

— خلاص الدنيا تغيرت ومحدث بيقتد فى البيوت دلوقتى

— عجبك هدايتهم فى المواصلات وشحطتهم فى الشوارع

— ويمعجك التجوز واحد يشتري بورقة مأذون ويبيى بورقة ذيا

ويسمعان أقدام محمود وتبرق عيننا فاطمة وتمسك بذراع أمها

وتدفعها نحو الباب قائلة « محمود يا أم .. محمود طالع ... ناديله

يا أم .. إساليه عن مختار .. عن أى حاجة »

وتتمثل الأم وتفتح الباب وتقول « انت فىن يا بنى ... ؟

لا بتسأل ولا بتشوفك »

ويتوقف محمود قائلا « أصلى مشغول شوية »

سنية — وياترى ح تدى مختار دروسه ولا ... ؟

محمود — أنا فى الخدمة .

حنية — ما تبقى تنزل ... حتى علشان تشرب الشاى معانا

محمود — حاضر

سنية — يحضرك الحير يا بنى

ويصعد محمود إلى غرفة ثم تطلق سنية الباب وتقترب منها

فاطمة تحضنها وتقبها سعيدة راضية

وترحف فاطمة زحفها المهرد . وعندما يحضر محمود ليدرس
لأخيها تتجمل وتزين وتتم بتقديم الشاي له وتحيه . مساء الخير
يا حبيبي محمود ،

— مساء الخير .

وتضع الفسحة أمامه وتقبله بالملعة ويكاد صدرها يلامس
ذراعه وتقول : يا ترى أنا جيت بطانكم ؟

— احنا يدوبك مخلصين

ثم مخاطب أخيها « أوعى يا مختار تكسل لازم تنجح علشان
تساعدني في المشغل » وتظهر معالم الدهشة على محمود وتقبل فاطمة
« آمال ... ح أفصح مشغل سجاد ... ومستغرب ليه »

— أبدأ .. وعم عبد الله موافق ؟

وعندما يخرج أخيها تقب « أبوي مش مرافق لكن كله منك
ح تخليه يرضى . »

— بس دي حاجات عائلية ماليش دخل فيها

— وهو احنا مش أهل ولا خلاص ماعدتش أمك

— بس يمكن عم عبد الله يزعل لو تدخلت

— ده أنا حطاك في بالي ومعتمدة عليك تساعدني في صرف

التعويض علشان أشغله وأساعد أبوي لما يخرج على المماش

وتفعل هذه الكلمات فيه قبل الآخر . فهي في نفس موقته تريد أن
تعلن أن أباهما كما ينوي هو لأبيه . فيستجيب لها ويعدها « طيب
يا فاطمة لو جت مناسبة ح أكله »

وتدخل سنية عليهما وتدلها حاضتها أن في الجرس شيئاً ما ينمو بينهما
وترتاح لذلك الأمل الذي راود خيالها منذ زمن مضى . وتحى محمود
الذي يهم بالخروج فتقول له « بدرى يا بنى .. خليك لأعش معانا »
محمود — متشكر

فاطمة — يبقى تذكى معانا بكرة فتدولحه من بقاعة الختمة
سنية — (بدهشة) ختمة ؟ ختمة إيه ؟
ودرن أن تمر امها التفاتاً تستمر في توجيه حـ. يشها إلى محمود
« خاتمة على روح المرحوم . »

محمود — بس أنا مش عارف راجع لأمى بكرة
فاطمة — يبقى أطلقها لك في الأودة تأكلها وقت . انحب
محمود — طيب

فاطمة — بس لانت دايماً قافل الأودة
ويخرج محمود من جيبه حلقة يستخلص منها مفتاحاً تأخذه منه سنية
وهي تقول « حتى عشان تضيفها لك . »

محمود — متشكر وتصبحوا على خير
الائتمان في صوت واحد « وانت من أهله »
وما أن يخرج محمود حتى تلفت سنية إلى ابنتها تسألها « وإيه بقى
حكاية الختمة ده ؟ »

— عشان يا كل وتفتح نفسه لدروس مختار
— مختار يابت .. على أنا الحركات دى ؟

وتعد فاطمة يدها إلى أمها قائلة « مادام فهمتى حركاتى هاتى المفتاح
بقى » وتعيها أمها المفتاح وهي تحذرهما « أوعى يا فاطمة كده ولا كده

كلام الناس كثير »

— ما تخفيش على يأم .. خلاص كبرت وعارفه إيه اللي بأعله .
وتضع فاطمة المفتاح في صدرها وتضغطه براحتها في أمل ورجاء .

— ١٨ —

الجفوة مازالت قائمة والقطيعة تفرق بينهما . ومحرد يحاول أن يستعيد علاقته بفازيه . لكنها غاضبة صادة تتعاطى أما كن وجوده وتتجنب لقاءه . وإذا حدث وواجهته تبدى له فتوراً يقالب أقدامه إحجاماً وإقبالاً إدباراً .

لكنه لا ييأس يريد فرصة واحدة يشرح لها علاقته بهير . لكنها لا تمكنه من ذلك . ويتنهر فرصة دخولها المدرج فيتقدم إليها محياً « صباح الخير » .

— صباح الخير .

— ألاقى معاكى محاضرات الكيمياء

— متأسفه مش معاكى

— بدون ما أنميك ممكن تجيبها بكره ؟

— ما عندك سبير ... تطلبها منها

— اتنى واخده فكره غلط .. سبير مجرد زميله

— وده يمنع إنك تاخذ منها المحاضرات

— بس أنا معرفش أفرا غير خطك وما يعجبنيش إلا أسلوبك

تجيبها معاكى بكره .

— مش ح أفدر لأنها مع الدكتور سمير يشوف فيها موضوع .

ويهنر محمود رأيه وهو يقول « كده .. طيب متأف إز أزعتك .

ويذهب كل إلى وجهته . . . ولم يكن لهما وجهة إلا المدرج وجلس كل - وقد ابتذ مكنأ قصياً .

وتدوى كلكات فائزة في رأسه نلبيه وتثير مشاعره خاصة لما بدا من اهتمامات متبادلة بينها والدكتور سمير . وأخذ يربط تلك الاهتمامات بذلك الجفاء ويحد في الأولى تمليلاً الأخرى .

ويدخل غرفته وهو على هذه الحال من الانفعال . ويصدمه التغير الذي يراه . ويقف إلى جوار الباب يتأمل . السرير أزيع عن مكانه وتوسط الغرفة ووضع غطاء جديد وعلى الأرض سجادة صغيرة . ثم دولاب به مرآة تعكس كل شيء بدقة ووضوح . ونزعت تلك المسامر السوداء والمرآة الصفراء والرف الخشبي الحقيقير . واختفت الملابس المتناثرة على الحائط . واحتفت أكوام الكتب الموضوععة على حافة السافنة . وعلى المائدة غطاء جميل وأطباق بها لحم (وفته) ومشببات من المخلل ثم حلوى . . . وتتحرك أعماره فيتذوق قطعة من اللحم ويدور ببصره فيلاحظ ثنائيات جديدة من الكرامى والمعالق والسكاكين والأكواب وكأنها تعانه بنية فاطمة في مشاركته الطعام والشراب . ويثبده الجوع إلى المائدة الخافلة بالأطعمة ويأكل حتى تمتلئ بطنه ثم يرتقى على السرير بملابسه في استرخاء لذيذ . يذهب يتبرره وانغماله السابق .

يسمع الطرقات الخفيفة ويدرك أنها فاطمة ويقبل وهو معتدل على السرير ، انفضلى ، وتهل باسمة مشرقة وقد حمت صيفية غلبها كوبين من اشأى وتحيه . مساء الخير ،

— مساء الخير . . . إليه الحاجات دى كلام .

— عجبك الفنة واللحم ؟

- أنا عمرى ماكلت بشيه ذى المره دى
- وحياتك ماخليت حديد ايدى فيها .. أنا الى طابخه كل حاجة
- وليه الحاجات دى . . كراسى ودولاب
- أصل المطرح بتاعنا بعد ما جبت عنشى بقى ضيق قلت أشيل حاجة عندك .
- وفين الكتب .
- وَرسل ضحكك رنانه ثم تقول و خبيتها ،
- (باسم) و ليه ؟
- أصلها شغلاك ومش دارى بعد
- مش لازم أنجح ... ولا عوزانى أسقط
- والنبي ده أنا بدعيلاك كل يوم
- طيب فين هى ؟
- وتشير فاطمة إلى صندوق خشبي في ركن الغرفة و هناك . « ويذهب محمود ليرى كتبه . و تقول فاطمة . كنت عاوزاك فى خدمة ،
- قـوى
- تمر على الشركة وتشوف حكاية التعويض والمكافأة
- بسيطه . أى يوم ما عنديش محاضرات أخلص الموضوع
- نفسي أصرف التعويض وأعمل مشغل
- ح تفتحيه فين
- هنا فى المطبخ ؟
- وينزعج محمود فيمقب « لكن مبيش مطبخ هنا ،

— ح أعمل دروه فى الركن هناك لفاية لما الحان يمشي أدور على محل كويس .

— محل كويس فين ينى ؟

— لو أعدى الكوبرى ؟

— فى الزمالك !!

— وليه لا . مفيش حاجه بعيدة على ربنا

— لكن لآتى ماعدكيش فكرة عن السجاد

— إزاي . . أنا فى المدرسة كنت باشتغل على النول و عملت

سجادة صغيرة

— برضه مش كماية

— الى يجرب يتعلم

— ربنا يوففك

— ربنا يخليك لى . . . أسيبك بقى . تصبح على خير

— ولآتى من أهله

— ١٩ —

يقرر محمود الرحيل إلى قريته ليمضى بها يوماً أو بهض يوم لعله يجد
بين أحبتان حقولها الخضراء ومسطحاتها البياضة ملاذاً لاشجائه . وامل
سماءها الصافية تستوعب متاعبه وتمنح معاناته بعد أن أصبح غير
قادر على الانطعام بالسكبة وفازة لا تزال متباعدة صادة . ورغم
ما تعطيه فاطمة من حب وعطف إلا أنها لم تستطع أن تخون عنه إلا
لفترة وجودها معه .

ويصل القرية ويذهب إلى الحقل مباشرة . يتلاءم أبوه بالأحضان
ويرتمي بمحرد في صدره ويستشعر الأب مافي هذه الارتعانة من ضنى
ولوعة فيرت على كففه في حنان دافق ثم يبعده عنه وهو ما يزال قابضاً
على كتفه ثم يقول : إانت له زعلان . . . ؟

— أبدأ . . . أنا جيت أشوفك

— عندنا الرجالة تحزن من جلوسها ونجري برضه على عيبتها

— يمكن أسريح هنا وبعد يومين أهدى

— نحب تروخ ع الدار والا تتمشى في الفيط

— أتمشى أحدن

ويسيران في الحقـ ل . ويقول الأب وشوف البامبة ظهرت .

والأسبوع الى جاي أنزل الماركر أندوف مشترى ،

— ما تيجي سوق الخضار أحدن

— نجار الخضار شطار قري ما أحناش جدم

— ده الخضار غالى في مصر ويكسب

— غالى في السوق لكن جبل كده بملايم

— إزاي ؟

— السنة المي فانت عمك آدم زرع فاصوليا ثلثان لتسدير

وطلعت عوجة . رفضتها الجمعية وإضطّر يديهم في سوق الخضار

— كويس

— لا كويس ولا حاجة باع الطرناطة بخمسة جنيه وانكلم نجلاها

خمسة جنيه برضه

— لكن ده الكيلو في مصر بخمسة قروش

— بخمسة قروش للتاجر الكن لنا أحنأ بخمسة ميل
 — يبقى تيممها في المركز أحسن
 — وانت مش لازمك فلوس ولا حاجة
 — أبداً . . . المهم أختي وشوارها
 — هو آني هنا في حاجة . هو لولا الفول راح كان زمانها حدى
 جوزها

— ربنا يبارك لنا فيك
 — طيب يا لله بينا أحسن أمك نزل من جعدتك هنا حصه الغده .
 ويمضى محمود عدة أيام في قرينه يروح فيها عن نفسه ويسرى عنه
 متاعبه . يرقب الفلاحين وهم يعملون في دأب وإصرار رغم ما في حياتهم
 من شقاء وعناء . لا يفارقون أرضهم ولا يتركون زراعتهم لا يلهيهم
 عنها فرح ولا يصرفهم عنها طرح . ويشحنه ذلك الإصرار بطاقة جديدة
 وتحمس عنه موجات القنوط وتعفو نفسه
 هذا من أمر محمود أما فائزة فهي تعاني مثله وتقلق لغيبه تود لو
 تشاهده ويحرك القلب عاطفتها وشوقها إليه ويذهب غضبها وترجو لقاءه
 وتهفو لحديثه

أما فاطمة فهي في ضيق من رحيله المفاجيء ولا تجد مصرفاً لأنفعالاتها
 إلا في غرفته فنصعد إليها ترتبها وتنظفها وتتوقف عند كل قطعة أثاث
 وتمسك بملابسه تضمها إلى صدرها في شوق حبيب وتمدد على فراشه
 وتناب عليه ذات اليمين وذات اليسار وسلوكها يفصح نواياها وخبايا
 نفسها وينزعها من رقدتها صياح أمها . يا فاطمة . . يا فاطمة . . الحق
 شوقي .

— خیر یا ام ... فیہ لبہ ؟
 — الواد الی بدشتغل عند صاحب الملك جاب الوصولات دی .
 وتہبط فاطمة وتمسک بالآذواق وتقرأها ثم تردف « واحنا ح نجیہ
 منین دنوقی ؟ »

— وقال إن علیہ ثلاث شہور متأخرین ویا یدفع یا بعزل
 نہ ماداعیہ لارا حل یمشیہ بجد
 — والعمل ؟

— دول کلہم ثلاثہ جنیہ رخسہ وأربعین قرش
 — إن شاء الله جنیہ واحد لازم کل حی یدفع الی علیہ
 — ما تفعیہم یا أم لغایة ما یرجع
 — هو احنا حیلنا قرش زیادة
 — لانت مش لہ قابضة الجمیة
 — یخیک ... ده انا کنت عاوزہ اشتري أمورین
 — علشان حاطری یا أم وأول ما أقبض المكافأة أردم لکی
 — وهو محمود یرضی بکده ؟
 — سبی الموضوع ده لی

— أنا غارفة قلبک حنین علیہ کده لبہ ... لباک یشعر فیہ ؟
 — وتحضن فاطمة أمها وتقبلها « رنا یخلیکی یا أم »

يعود محمود إلى القاهرة وقد حماه أمه كمادتها سله بها فطير وبيض وجبن وعسل تؤمن بها مميسته لمدة أيام . ويسير بها محمود دون أن يعاني نصباً أو رهقاً . فقد راقته نفسه وباتت توافاً لأن يذيب بلورات الجليد العالقة بجبال مودته مع فائزة . لكنه في حيرة لا يدري كيف ومن أين يبدأ ؟ . . .

ويدخل غرفته ورأسه يطن بتلك الأسئلة . ويضع السلة على الأرض ويلاحظ أن الغرفة مرتبة ونظيفة ولا به قد غسأت . يلاحظ مدى اهتمام فاطمة به حتى في غيبته . أنها تعنى به دائماً وتحب عليه كثيراً . تمنحه بدفء حركاتها ولفتاتها لحظات من البهجة تسرى عنه وتقله إلى مجالاتها الناعمة ويتعاقب بصره بثلاثة ورقات على المائدة . يحسها ويقرأها ويتذكر إن عليه أن يؤدي إيجار الغرفة لثلاث شهور مضت . وتدور برأسه أسئلة عديدة كيف وضعت هذه الإيصالات ؟ ومن الذي أحضرها ؟ وهل هي مطالبة صامتة بالدفع الفوري أو الطرد ؟ أم للتسديد الجزئي بالتقسط المريح ؟ ومن أين له السداد وقد عاد من قريته خالي الوفاض . فلم يحضر أن يكشف أباه بمحاجته لبعض الجنيرات وهو يعلم مسددي ضاقته وسرته .

ولا يجد سبيلاً لإيضاح ما غم عليه إلا بسؤال عم عبد الله . الذي كان قد لفن الموضوع تلقينا فيجيبه في بساطه « هو إحنا يحاضنا إن صاحب البيت يسلك بكلمة . . . ده إنك إنكنا »

— بس يعني أنا . .

— لما يبقى معاك فلوس لبقى سدّد
وتدخل سنية وتذلى بدلوها ، تشرب شاي ؟
محمود — متشكر ... ولما أسافر في البلد ح أجيب المبلغ
سنية — وليه الاستعجال ده ... ماهى فلوس هنشالة عندك ذى
ما تكون فى الدولار بالظبط

محمود — أنا مش عارف اشكر كم ازاي
ويعود محمود إلى الغرفة ويذشط في تفريغ السلة من محتوياتها . وتغفر
إلى خاطره فايزة عندما تناول منها الفطير أول مرة بحديقة الكلية بين
حديث الامانى والاحلام . ويديه عقله إلى تكرار الرجبة كاشارة إلى
ود سابق وألفه لم تفر بعد . لكن يتخوف رفضها وإحراجها بين
زملائه . ويستصوب أن يحمل هديته بنفسه إلى منزلها ليتجنب رفضها
إن كان هناك رفض

ويتفد مهمته دون أن يرها . ويعود إلى غرفته هل ...؟ وفيما إذا ؟
ولو أن ؟ وربما ؟ ولعل ؟ ... أسئلة لأجواب لها .

وأثناء سيره ينعلق بعصره بإحدى عربات النقل من تلك التى كان
يقودها حسن أو كان يركبها هو في سفره إلى قريته . ويتذكر وعده
لفاطمة بالاستفسار عن التعويض والمساكفة وخلافه

ويذهب إلى مقر الشركة ويقابل الموظف المختص الذى يجيبه ، وعموماً
الحقيقى خلص ويثبت أن الفرامل فوتت وده سبب الحادثه »

— أقدر أعرف التعويض كام جنيه

— حوالى ٧٠٠ جنيه

— طيب متشكر

- له يا أخ... فيه كان معاش إتناشر جنبه لأولاده
 — نس ده كان له متجوز ومعدوش أولاد
 — بقى مراته تاخذ منه جنبه والبقاق لاورثه
 — متشكر قري يا أستاذ .
 وفى غرفته يحد فاطمة وفد أسندت رأسها بيدها « مالك تعبانة ؟
 — زعلانة منك علشان سافرت من غير ما نقول ...
 — كنت مستمجل
 — أنا كنت ح أخلى أبوى يسافرلك البلد
 — للدرجة دى
 — أيوه... أصاك غالى عندنا قري
 — متشكر ... وعلى فكرة رحمت الشركة وعرفت لك كل حاجة
 — صحيح ... طمنى وحيانك
 — أولا لكى معاش سته جنبه ثانيا يخصك من التعويض متين جنبه
 — حاوين ... أفدر أشرى الدرل وشوية صوف وابتدى اشتغل
 — ، غير رخصة ؟ .. تاخدى مخالفة
 — البركة فيك تمك كل المخالفات دى
 — طيب مش يمكن اشتغل فى بلد ثانية تعمل ليه فى الحالة دى ؟
 — بلد ثانية ؟ .. ازاي ؟ .. وتسيبني
 — كل شيء نصيب والمقدر يكون
 وتصدم فاطمة بهذا التجاهل لمشاعرها والإجحاف بمواطنها
 فتعصب وتقول « وأنا .. أنا مقدرى فين ... خلاص ماليش أهمية
 عندك ، وتنفجر باكية ثم تردد « أنا عارفه إن قلبك مادنش لى »

وتجري مبرولة تاركة الغرفة ومن فيها .
ويؤخذ محمود هذا الغضب الذي لم يتوقعه بل يهب فجأة . ويسارع
خلفها يناديها « فاطمة .. استنى .. مش قصدى »
لكن خطواتها كانت أسرع من ملاحقته وغضبها أشد من أن
يسترقها نفاقه .

وفي غرفتها تزيل الدموع من عيها وتشرع في التفكير وبحث
أمرها منه وتذكر أنه يأنس لها ولجلستها ولكنه لم يحبها بعد . ربما
يكون هناك من تشاغله وتمنعه حباً كاملاً يرضى شبابها وفقرته لكنها
لا تستطيع أن تتأذى منه إلى هذا العمق . وما ذلك عن تمنع أو تعفف
بمقدار ما هو تخوف من إنسيانها إلى متاهات العشق ثم ابتعادها عن
شاطئ الأمان والأحلام . قد تناله ويصبح أسير فتنتها وسحرها
لكنها لن تكون زوجته وأم أولاده .

وتسأل ما الذى ينقصها عن الفتيات الأخريات ؟ آهو الجمال ؟ آهو
المال ؟ آهو التعليم والشهادات ؟ ويتركز تفكيرها على المال ذلك الشيء
الذى لم ينبثق لها أن تمتلك منه القليل أو الكثير لكنها تسمى بذكائها
الفطري أنه يمكنها من أحلامها ويقربها إلى هدفها فينولها ما تريد .
وتتندى إلى أن عليها أن ترقى بنفسها ليقنع بها ولن ترقى إلا إذا تبسر
لها المال ، وحتى ذلك الحين عليها أن تشغله بأمرها وبشؤونها وترعاه
وتلاحظه وتنمى ارتباطه بها وحاجته إليها .

وعند هذا الحد من التفكير تكون قد هدأت وأرتاحت وتقدم
إلى المرأة ترى صورتها فتمسح وجهها المبتل وتمتدح ملابسها وتهذب
شكلها لتستعد لنضال جديد وسمى جديد .

أما محمود فينتهم سر غضبها ويتضح له أنها تكن له حبا وودا
وما تلك الإهتمامات الا نمير عن عاطفتها المشبوبة . لكنه لا
يستطيع أن يبادلها الحب فإن قلبه لفائزة ولا يملك من أمره شيئا .
ويدرك خطأ تشجيع فاطمة في بناء الآمان وأن عليه تقايل فرص لقائها
ومحادثتها . وإذا أمكن فلينتقل إلى منزل آخر . لكن انى له ذلك وهو
يكاد أن يكون مدمما ثم أن الإمتحانات لإقربت وأصبح في حاجة
للمفرغ للذاكرة وليس للبحث عن سكن جديد . ثم من أين له أن يتحصل
على تلك المساعدات التي تقدمها أسرة عم عبد الله . ثم ينظر إلى
اللبة الكهربائية ويرى فيها استحاله تغيير اقامته أو حتى يفكر فيه

وفي الصباح يذهب محمود إلى الكلية متلهنا ومتخوفا لقاء فائزة .
ويحرص على أن يصل الكلية متأخرا ليضمن وجودها يلحقا في شلة
من الطالبة والطالبات يميزها شعرها المقصوص الخلف : ويغير مساره
ويدور دورة واسعة ليواجهها تماما وليقدر حسابا يبدو من ملاحظها
أقبل أم يدبر . وتراه ويفتر ثقرها عن إلتسامه مرحلة وتضعك
عبثاها تستدعيه فيطايب نفسا وترتد إليه ففته . ويقرب يحيى الجميع ثم
فائزة التي تمس له « مرسى »

— جيت أفكرك بالى فات

— كانت مناجاه جبلة

— ما هانش على آكلها لوحدى

— مرسى ويا ترى له عاوز محاضرات الكيميا

لو سمحت

وتخرج الكراسية من حقيبتها وتعطيها له ثم يسيران جنباً إلى جنب
في اتجاه المدرج... وقد انفصلا عن المجموعة وهما هرفقان في حديثهما
ثم تسأله «والدك عامل إيه مع الفول ؟»

— زى ما أنتى عارفه راح منه وزرع لفت بداله

— لفت... واشتمنى ؟

— زراعته ماتكافش ومدته فى الأرض بسيطة

— استئجار قصير الاجل

— طبعا هو ما عندوش فكرة عن النظريات دى

— بس عارفها بالبحرة والممارسة

ويقفان أمام المدرج وتقول فائزة «لسه ست دقائق...» بينما

يسك عمود بكرامة الكيمياء يقلب صفحاتها ويستوقف نظره خط

غريب يختلف عن خطها الذى يعرفه جيداً. ويقرأ تلك الكلمات

الدخيلة...

لا تذهب بعيداً واقرب

فى القرب ألفة وألس

وامسك بأفكارك الشاردة

وتعال بأمانيك المراودة

لنا يوم ولقاء

نلقى فيه الكلام والأسماء

حقى الهواء

إلا ما يدخل الصدور ويمتزج بالدماء

لا تذهب بعيداً واقرب

وتزحف على وجهه انفعالات الغضب، الغيرة، الإضطراب

ويسألها « مين صاحب الخيال ده »
 — (بارتباك) الدكتور سمير
 — الظاهر إن عنده مواهب شاعرية وعاطفية
 — كانت عنده الذوق وكتب الكلمتين دول
 — باين إنك معجبه بمواهبه
 — ذى اعجابك بمواهب سهر ورسمها
 ويتوقف التلاحم بينهما ويسود النور . هو فى غاية النضج وهى
 فى غياب الخبرة . تحرك يديها وأصابعها بمصيبة ظاهرة وفجأة يمد إليها
 الكراسة قائلاً « لافضللى كراستك ... ما بقدرتش ألزمنى »
 ويمضى فى سرعة تزيد فائزته حيرة . لا تدرك أبعادها حتى بعد أن
 تراه يخرج من الكلية إلى الطريق العام .

— ٢١ —

يقلل محمود من ذهابه إلى الكلية ويقتصر حضوره على المحاضرات
 الهامة . ويتمدد أن يدخل المدرج متأخراً ويكون أول من يقادره . تنحاشياً
 لقاء فائزة بعد أن قرأ تلك الكلمات الشاعرية . وتلاحظ فائزة هذا التجافى
 والتناثر وتتألم تود لو فتاح لها فرصة لشرح له تلك الكلمات البريئة .
 لكنه يربأ بنفسه أن يدخل فى منافسه ضد الدكتور سمير الذى قد تفضله
 عليه . لذلك فهو يهرب ولا يواجه ويتلافى ولا يتصدى .
 تتأثر فائزة بسلوكه تريده أن يستمع لها ليفعل ما يحلو بعد ذلك .
 ويرددها التفكير وتلبس الفرصة وأصبحت قلقة مضطربة . لا تستقر على
 حال ولا تأثير على عمل . ملوله مسؤولية . تمام من الليل قليلاً وتتوسد فراشها

في النهار كثيراً . تمل الوحدة فتلجأ إلى صاحباتها ثم لا تلبث إلا قليلاً وتفادرهن . لا تشعر بيناعة الأشجار أو بسمه الأزهار أو بحلاوة الربيع .

ويسرى قلقها إلى من معها في منزلها ويسألها أبوها « مالك يا بنتي إنني عيانة ... ولا فيه حاجة شغلاكي ؟ » وتمقب الأم « لازم تاخذها للدكتور دي وشها أصفر وهفتانة »

فايزة — الإمتحانات قربت يا بابا
الآب — إنني عمرك ماخفتي من الإمتحانات
فايزة — يا بابا ده بكالوريوس ... لازم أقلق

ويشعرها ذلك الحديث بأقرب الإمتحانات وضرورة الاستعداد وتمسك بطريقتها الحسابية وتمسك بالقلم والورق تحسب عدد الساعات اللازمة لمراجعة المواد وعدد الساعات اللازمة للاستذكار فتجد أنها تحتاج إلى مائة وخمسين ساعة أخرى . فتعيد تقديراتها وتقلل ساعات الراحة والنوم حتى تدبر المائة وخمسين ساعة المطلوبة

وتنحى عواطفها جانباً . وتنهج إلى الكتب والعلم تتزود منها وتدرأ بها عن نفسها تلك الانقباضات العاطفية . وبعزيمتها ووضوح رؤيتها تتجتاز مرحلة الانفعالات وتنموا قابليتها للاطلاع والمذاكرة وتشعر بالراحة خاصة كلما طورت هلياً من علومها .

يمر محمود بنفس الازمة العاطفية بل أن معاناته اشد فهو مشدت الفكر بين فايزة المعجبة بالدكتور سمير وفاطمة التي تمارس عليه نشاطاً يومياً . ف رغم حاله التفاضب البادية منذ أن بارحته باكية لا تظهر ولا

سمع لها صوتاً لكنها مستمرة في رعايتها له تنظف غرفته وتواليه بأطباق الحلوى والمأكولات ترسلها مع أحد أشقائها .

والواقع أن فاطمة تتابع حركاته وسكناته ومواعيد خروجه وعودته ومتى يذكره وهو ينام وتلاحظ كثرة خروجه وعزوفه عن المذاكرة بينما التوافد حولها مفتحة تريبها الفتية منكبين على كتبهم يستعدون الامتحانات التي قربت مواعيدها . ونود لو تصمد تنصحه وتحذره لكنها ما زالت تفاضيه ولا تريد أن يبادمه بالوصال . وتأتي بحركة ذكية تحقق لها غرضها .

ويعود محمود ليلاً ويوقد اللبنة الكهربائية فيجد النور أسطع وأقوى مما كان ويفهم أنها قد وضعت له لبنة جديدة ليضاعف جهده والاستعداد للامتحان . وتشغل فيه هذه اللبنة الخامس وتوعيه بتبعاته ويتغير حاله من عزوف إلى طاقة متوقدة . فينكب على كتبه ومراجعة يستزيد منها ويستعيد ما بها . وتسمع فاطمة خطواته يذرع الغرفة حتى ساعة متأخرة من الليل . ويرق قلبها وتحن للصمود اليه ولولد قاتق قليلة . لكن كرامتها الانثوية تمنعها .

ولا يتأخر محمود كثيراً عنها فعندما يعلم بأحواله عم عبده إلى المعاش يعزم على زيارته ويتذكر الاستشارات الخاصة بمعاش فاطمة التي كان قد أحضرها وما زالت عنده .

ويهيئ ويقدم الأوراق إلى عم عبده الذي يقول : والله إنك ابن حلال من يومين قالت فاطمة عليهم وكنت عاوز أسألك ، ثم ينادي الرجل لابنته . فتحضر الأم التي تحبه « أهلاً... فينك »

— المذاكرة شغلاى خالص

أما فاطمة التي تزينت وتجملت بصورة لم يعهدا فقد حضرت بعد

قبرة صغيرة وحيته ثم جلست صامته . ويخاطبها أبوها د شوقي محمود
تعب نفسه وجاب الإستشارات

محمود — لقيتك مش بتسأل قلت أجيهم وانزل
سنية — ما اتحرش منك

محمود — الأوراق ده بعد ما تتكتب ومعها اعلام الورثة
والشهادات الادارية تسلموها للشركة

عيد الله — بس أنا ما عرفش حد هناك . مايجي معانا

محمود — حاضر

سنية — يحضر كلك الخير يابنى

وفى الموعد المحدد يذهب الثلاثة الى مقر الشركة وتكون هذه المرة
الأولى التى تخرج فيها فاطمة فى صحبة محمود . ويستشير ذلك فضول
المجيران فيطالون من الثوافذ . ويلبهم محمود ويضيق بهم . وتمام فاطمة
فتمناً وتسعد لما سيطلقونه من أقاريل واشاعات تضمنها ومحمود فى
سيره واحدة

ويركبون (الأتوبيس) ويشق محمود طريقه به حتى يجد فرجة
صغيرة تكاد تنسج له وحده وتقف فاطمة الى جواره وقد أمسكت
بمسند مقعد أما محمود فأمسك بيده الساند المطبق المثبت فى سقف
العربة . وتسكن فاطمة برأسها الى كتفه ويتقبلها هو فى هدوء وحذر .
وتتهز العربة وتهزهما معها . وتحدث ملامسات وتضاغطات لينة تلهب
مشاعر فاطمة فتتمن فى ملامسته وضمغله بجسدها اللدن وتنقل اليه فى
صمت عواطفها وأحاسيسها ثم ترنو اليه بنظرها تريد أن تسقيه عسلا
مصقياً ويقيم لها فى انفعال حاول أن يخفيه ولكن عين الانثى اللافتة

تدرك رغبة المستلبة فتزداد به التصاقاً شديداً كوامته وتحرك شبابه وهكذا
يذهب بينهما حديث صامت حتى يطلبها من العربية .

يستلم الموظف المختص الأوراق ويعد مراجعتها يصرح . بعد أسبوعين
تكون شطبنا الورق واللجنة تعتمد الإجراءات ونبحثه بعد كده إلى هيئة
التأمينات الإجتماعية . تسألو على المماش والمكافأة هناك .

ويعود الموكب عم عبد الله راضيا عن مسعاه وفاطمة سعيدة بذلك
التجاوب الحني الذي سرى بينها وبين محمود وتيقنت أنه بات قريبا منها .
يؤثر محمود المروء منها خشية التصاقه أخرى في أتوبيس مزدحم
ويعتذر لها . . . ويسلك طريقاً آخر وأقرب لذلك الطريق وهي تتفانى في
خدمته . تلحظه بكل جوارحها . تقدم له الوجبات في مواعيدها وتعد له
الشاي في الصباح والمساء وقد ترفه عنه بكوب لبنون مثاجة وقد تجلس أمامه
صامتة أثناء استذكاره تشبّع نفسها برؤياه وتنسجم وجوده . ويمتاد وجودها
واهتمامها ويفتقدتها إذا تخلفت عن مواعيدها . ويحدث ألا تحضر له
شاي الصباح فيضطر إلى اعداده بنفسه متضرراً متبرماً . ويصمم على
معاتبتها لكنه بمجرد رؤيتها وهي تعترض طريقه وقد وضعت على
السلم ساقها البضة تهزها في تحد يأخذه شياها وحيويتها . ويفتنه نغمها الباسم
بسمة الزهر في الربيع يدعو النحل لينهل الرحيق . ونخبة الغائنة الملعب
« صباح الخير »

— صباح الخير —

وعندما لا ترفع ساقها عن طريقه يردف « بلاش تروح الكاية
النهاردة ؟ »

— أحسن... علشان تستريح شوية . . انت طولى الليل سهران

— حمل إليه الإمتحان قرب

— طيب ح ترجع من الكلية امق ؟

— مش ح أتاخر

— تعمل حسابك تسكون هنا الغدا .. فيه النهاردة بط وكشك .

ثم تسحب قدمها لتدعه يمر ويذهب إلى وجهته . وتدلف إلى شقتها

وفي مشاركة والحاح تفرع له كل يوم طبولها حتى يالسر إيقاعها ودقاتها
وأناغمها .

الفصل الخامس

الصيف المشحون

— ٢٢ —

اليوم هو أول أيام الامتحانات . يربض النخيم الكبير في فناء الكلية . يراه البعض شبحاً رهيباً في انتظار العديد من الفريس . و يراه البعض الآخر معبداً من المعابد القديمة حيث يقدمون القرابين ليخالوا البركات . و يراه آخرون خطوطاً من المقاعد والنضد صفت كأنها حشود جند جهزت للفرار والقتال . ومهما اختلفت رؤياهم فهم يتجمعون في فناء الكلية شراذم وجماعات : وفي إحدى تلك الجماعات يقف عمود منصتاً لمناقشة حامية بين زملائه عن الكيمياء الزراعية اتى هي مادة امتحان هذا اليوم .

على (زميل) — مش ممكن تيجي أسئلة عن الاسمدة الصناعية .

زميل آخر — دى أم حاجة في المقرر

على — الدكتور عباس لا يمكن يكرر أسئلة السنة الى فانت

زميل ثالث — يمكن الدكتور حسام هو اللى يكون وضع الامتحان

زميل رابع — الدكتور حسام حط الامتحان مرة واحدة بس

لان بنت الدكتور عباس كانت سنيتها في البكالوريوس

الزميل الثالث — ما تقول رأيك يا محمود ... ساكت ايه .

ويصمت محمود قليلا لا من تفكير لكن لمشاهدة فائزة . يريد أن
يستقدمها بعد هذه القطيعة الطويلة دون أن يكون هو الداعي . فيقترح
« أحسن حاجة فائزة جايه هناك ... لسألوها »

ويلوح أحدهم إلى فائزة منادياً « فائزة.. فائزة تما لي عاوزينك »
وتنهض إليهم وقد شحِب وجهها وان كسته ابتسامة أكسبته بعضاً
من الدهر . وتقف يمسحها على محمود للحظة قصيرة ثم تندمج مع
الآخرين قائلة « إيه الميصة دي ... انتم لازم تهديوا علشان تعرفوا
تجاوبوا » .

على — فتسكري مين اللي واضح أسئلة الكيمياء .
فائزة — الدكتور عباس طبعاً... لأنه مدرس المادة ورئيس القسم
على — طيب ومعقول نيجي أسئلة عن الأسمدة الصناعية ؟
فائزة — أنا فاكرة كريس كلام الدكتور عباس . كان دائماً يؤكد
في محاضراته إن أرضنا بقي لها أكثر من سبعة آلاف سنة بتزرع
يعني أقدم أرض مزروعة في العالم .
الزميل الآخر — أحسن حاجة تعتمد على الصناعة وزرع نفسها
من الأرض شويه .

محمود — مش معقول نسيب أرضنا الخصبة وخبرة أهالينا
الزراعية ... دي ثروة كبيرة .
الزميل الآخر — لما نتحول للصناعة تقدر المصانع تقدم الآلات
والأسمدة والمبيدات ببساطة .

محمود — بالعكس المفروض إن الزراعة تقدم للصناعة المواد
الحام والاموال لغاية الصناعة ماتقف على رجلها فتخدم الزراعة .

هلى — يا جماعة إحننا فى إيه ولا فى إيه . . . إنكلمى يا فائزة .
فائزة — يعنى تخصيب الأرض عقيدة عند الدكتور عباس
على — خشى فى المهم يا فائزة . . . بقى
فائزة — باختصار الأسئلة ح تكون عن طرق تخصيب الأرض
بالأسمدة الصناعية والأسمدة الطبيعية كان .
عمود — ده الكلام المطلوب .

يحين موعد بدء الامتحان وتتحرك الشراذم والجماعات إلى الخيم
الكبير ويتمل عمود فى خطاه الله واجد فرصة يحدث فائزة . وتتمل
هى الأخرى عندما تلاحظ تخافه عن الجمع وياتفق كل للآخر وتتصافح
العيون وتتصافى القلوب ويتقاربان حتى يتجاورا وتتمالك الأيدي لعدة
خطوات تملن عودة الوثام ثم تسحب فائزة يدها برفق ويمس عمود
« حمد الله على السلامة » .

— الله يسلمك .

— ذا كرتى كويس .

— مش بطال .

— أنا مرت على أيام كنت ذى التايه وبعدين شديت حبلى .

— يعنى ناوى تحبيب تقدير كويس .

— كله بتاع ربنا .

— مبروك مقدماً .

— سوى إن شاء الله .

ويفترقان أمام باب الخيم الكبير ويدخلان ويمجلس كل فى مقعده .
وينهمك كل فى تدوين بياناته على الأوراق التى أمامه . وتشخص

الابصار إلى منحة اللجنة ويظهر الدكتور عباس حاملاً مظروفاً كبيراً يقدمه إلى رئيس اللجنة . وعندئذ يتبادل محمود وفايزة الابتسام على مدى المسافة التي بينهما لصواب الخدس والتخمين .

وتمضى أيام الامتحان ثقيلة مرهقة يتقابل فيها محمود وفايزة وقد ابتعدا بحديثهما عن المسائل الشخصية ودارت حول المتظر والمحتمل من الأسئلة ويحدث في اليوم الأخير أن يفادر محمود النخم مبكراً عن فائزة . ويلقى ببصره نحوها فيجدها جالسة منكبة على أوراقها تسكب فيها كل ما في جعبتها .

وينظروها حتى تخرج لعلها بعد انتهاء الامتحانات بأياها المشحونة بالتوتر . . . لعلها تكون أكثر إشرافاً وأصفى بالاً ليسجل منها أمرها خلال عطلة الصيف الطويلة .

ويلقاها باسمها ويسألها « يا ترى جابقي كويس النهاردة »
— أكثر مما كنت أتوقع .

— خلاص الإجازة ح تبتدى . . .

— أنا فعلاً محتاجة لإجازة أريح فيها أعصابي شويه .

— الواحد بعد الراحة يحس بالملل ويزهق من الإجازة

— لشغل نفسك بأى حاجة .

ويحاصرهما بنظراته وتعليقه « ما اتق عارفه إيه اللي شاغلنى »
وتدرك ما يقصده ويتخرج وجهاً للحظة ثم تهيمه « عندك الزراعة بتاعة والدك تستوعب وقتك كله . »

— طيب وافق ح تعمل إيه ؟

— أقرأ . . . أساعد ماما في البيت ويمكن أسافر أسكندرية عند أخويا

- يا بختك عندك أخ في اسكندرية تروحي له
 — وكان تقدر تبجي مصر ولا اسكندرية
 — ولو جيت ح أقدر أشوفك ؟
 وتؤخذ بهذا السؤال فتخلد لإطراقة بسيطة ثم تقول وأنا مش ضامنة
 ظروفى لكن على أى حال ح نشوف بعض يوم لإعلان النتيجة ولما لستلم
 أوراقنا من الكلية
 ووجه سؤال آخر د إفرضى إننا تقابلنا صدقة فى أى مكان
 ح أكلك والا لا ؟
 — طبعا ضرورى .
 — يبقى ليه الفرق إنى أكلك صدقة أو بميعاد .
 — أنا ح أكون سعيدة لو قابلتك بس يعنى ... ؟
 — بس ليه ؟
 — إننا عارف إن مجتمعنا فضولى وكلامه كثير
 — طيب والإمالة والصدقة الى بيتنا خلاص تنتهى .
 — وليه تنتهى ؟
 — ح نواصلها لزاى ؟
 — (بعد تردد) فى الحقيقة مش عارفة أعمل إيه ؟
 ونصمت حائرة وأصابها تشايبك وتنفرج فى حركة عصبية ظاهرة
 لا هى قادرة عل إجابته ولا هو راغب فى تكرار السؤال .
 ولا يسهه إلا أن يودعها والاسى يتقطر من عبارته « طيب أمنى
 لك أجازة ... أجازة سعيدة »

ويرق قلبها له وتهفو نفسها لتواضعه وتستمر وشائجهما نابضة بالحياة لسكنها تعجز وتقول « مع السلامة ... يا محمود »
 ويذهب بينما تظل في مكانها آسفة حزينة ثم تتحرك عائدة إلى منزلها يتنازعها الرضا والسخط . فهي راضية ومقتنعة أنها سلكت معه بما يتوافق وخصالها وأفكارها عندما رفضت تحويل زما لهما العاطفية إلى نوع من الملاقة الثنائية المستورة الخافية . لا معالم ولا أبعاد لها . كما أنها ساخطة لأنها آلمته وهي الحريصة على وده وموافقه .

أما محمود فهو يفكر في سلوكها ويفهم أنها انطوائية متخفية لديها المقدرة أن تعيش بأسلوبها متمتعة بذاتها أكثر من تمتعها بالحياة مع الناس . ورغم اعتقاده الجازم بودها وربما حبها بناء على تصرفات وأحداث صغيرة بدت منها خلال العام المنصرم . ورغم كل ذلك فهو غير مقتنع بسلوكها فهي لا زالت تتمسك بإعتبارات ترسبت في المجتمع وأصبحت لا تصلح ولا تلائم فتاه الجيل وهي تشق سبيلها في حياة جديدة أكثر إنفتاحاً وأرحب مجالاً . ويفسر له ذلك التحليل سر توقفها بل وتجمدها أحياناً في خط علاقتهما العاطفية عند نقطة معينة لا تتعداها ولا تتخطاها .

— ٢٢ —

قد يكون لصيق محمود بفائزة وانجاساتها السلوكية تأثير في تصميمه على مفادرة القاهرة فوراً رغم معرفته بمقدار الفراغ والملل الذي يحتويه بالقرية . وينشط في غرفته لجمع حاجياته في حقيبته وعندئذ يخشى . وتأخذ من تلك العملية بعضاً من الوقت . وكثيراً من الجهد حتى إذا أتمها

أصبحت محتويات الغرفة مبعثرة وهنطربا حالها .

ويهبط إلى عم عبد الله وأسرته ليخطرهم بفيته وليسكرم « في الحقيقة أنتم غمروتوني بجهال مالهاش أول ولا آخر » ثم يلتفت إلى فاطمة قائلاً « وخصوصاً فاطمة تعبت كثير . ربنا يقدرنى لرد بعض أفضالكم . »

وتصمت فاطمة التي هزها عزمه على الرحيل وهي من كانت تطمع في عدة أيام بعد الإمتحانات يتفرغ لها وتتفرغ له . وتزحف على وجهها علامات من الغضب والغيظ وتهز ساقتها في عصبية واضحة . وترى الأم ما أعزى لابتها وتدرك أسبابه وتحاول أن تثنيه عن عزمه وتقول « إنت لازم زعقت منا وما صدقت إنك خاكت الإمتحان »

عمود — وده معقول برضه . . المسألة إني عاوز أباشر الأرض

مع رى

عم عبد الله — دى حتى المواصلات زحمة الأيام دى . كل التلامذة راجعين لآهالهم .

وأخيراً تتدخل فاطمة في الحديث وتوجهه إلى أمها . هو إحن يا أم مش كناح ننزل بكره الأزهر نشوف بتوع السجاد .

وينظر الأب والأم في دهشة إليها لإنحرافها بالحديث إلى شىء غريب لكنهما دون أن تبالي بهشتما تستمره أيوه هلشان نشترى النول ، ثم تردف بعد وقفة قصيرة « وكنت باقول لوسى عمود يحى معانا .. بيتقى أحسن . وأخيراً تظن الأم إلى مناورة لابتها فتؤيدها « أيوه يا بنى عمك عبد الله مالوش فى الحاجات دى . »

عمود — وهو يعنى أنا إلى بأفهم .

سنية — على الأقل ح تعرف تتفاهم مع التجار أحسن منا
 ويستجيب محمود لهذا الطلب البسيط فلهم عليه فضل كبير ويقول
 « أنا في خدمتكم واللى عاوزينه أعمله » .
 ويتركهم وهو على موعد معهم . وتساءل الام لابنتها « قولى لى إيه
 خلاكى تخرعى حكاية مشوار بكره ده ! »

— دى مش حكاية ... ده رسم أنا رسماه .

— طيب مش ترسمينا معاكى .

— مانقى فاهمه كل حاجة يا أم

— (ضاحكة) عليكى ملاعيب تدوخ العفاريات .

وفى الفترة ينشغل محمود فى فرز كتبه إلى ما يحتاجها وإلى ما هو فى غنى
 عنها ويحمل الأخيرة إلى سور الأزبكية — حيث ينشر باعة ومشترو
 الكتب القديمة . وهناك يقدم بضاعته ويتحصل بدلها على مجموعة من
 الكتب المنوعة . كتب دينية عن الفقه والسير الإسلامية من تلك التى يجب
 أبوه وزائروه أن يتلوها عليهم ثم لا تنقضى لنفسه بعض كتب عن الأدب
 المعاصر والقديم وبعضها من التراجم وبعضها يناقش الاشتراكية الندية
 والإشتراكية الغاية والنمازمية وبعضها عن الإقتصاد والأحداث
 والحروب التاريخية ثم يعود بذلك الزاد الأدبى والعلمى ليقفل به الفراغ
 والملل فى قريته .

وفى الموعد المضروب يذهبون إلى حى الأزهر حيث تكثر معارض
 ومصانع السجاد . يستقصون الاسعار ويتعرفون على أنواع الأنوال
 والعرف والخياط وما يلزمها من عدد . ويطول بهم التجوال ويرددون
 على عديد من المصانع حتى الظهيرة ويرهق الاب والام . لكن فاطمة

لا يفتر لها حماس ولا تنقاس لها همه بل وتفرح الغذاء بأحد المطاعم
الشهية ليتأبهوا نحو الهم صغراً . وتهيج الأم المتعبة التي حسبت أن الأمر
هزل وحيلة لاستبقاء محمودا عدة أيام . ولم يدرب بخلافها أن فاطمة جادة
كل الجدة . وتصبح غاضبة . لأنتى مدوخانا معاكى على حاجة لا إليها فائدة
ولا عائدة لما كسرتى رجلى . .

عم عبد الله — ده أنا خلاص دماغى ش دريان بها .

سنية — يا لله ع البيت بلا كلام فارغ

محمود — طيب نأجل المدوار لبكره

سنية — لا بكرة ولا بعده

فاطمة — عاوزانى يا أم أستنى لفاية القرشين الى قبضتهم ما يعايروا

منى ؟

ويفضل محمود أن يعتمد على هذا الإلتحام العائلى فيعتذر . عن إذنتكم
أفوت على واحد صاحبى ساكن هنا ، ثم يذهب وبذلك يصف حماس
فاطمة لمتابعة البحث ولا تجد . ديلا إلا العودة إلى المنزل .

وهناك يتحدث النقاش بين الأم المتساهلة والإبنة الصلبة ويتوتر جو
المنزل لدرجة تدفع عم عبد الله إلى الفرار إلى المقهى . ويلحظ صاحب
المقهى اكتسابه فيداغبه « مالك شايل هم الدنيا . . . إضحك لها
تضحك لك » :

— وأجيبه منهن يا معلم درويش

— ليه كفى الله الشر ؟

— ما خيش عليك يا معلم . مزاقى وبنقى تاعينى . البنت عاوزة تعمل
ميشغل سجاد ومزاقى عاوزة تهوزها .

— معاك حق حاجه تحير . اسكن مشغل السجاد يلزمه عمال وعدة
يعنى شغلانة كبيرة .

— بنتى غرضها تشتري نول وتشغله فى السطح عندنا .

— ده اسمه تسالى مش شغل .

— تسالى . . . دى ح تجيب بنتين وتشغل معاهم كان .

— برضه تسالى . . عاوزه تضى صدمتها فى جوزها الى اتخطف
منها وبعدن ح تفوق وتطالب الجواز بنفسها .

— والله دلالة معقول بس المشكاة إن إحنا ما نعرفش فى

المهنة دى .

— ولا يهيك آخذك للحاج صديق شغلان صاحب مصنع كبير فى

الحى بتاعتنا راجل طيب وخدوم .

ويرحب بهم الحاج صديق فى مهنته . ويستدج من مسكويهم أنه

إزاء عروس تتجهز قيمته بضاعته « إحنا بجادنا بتاع التصدير » .

المعلم درويش — إحنا جايين لشغلانة ثانية .

الحاج — خير ؟

المعلم — خير إن شاء الله . بقى عم عبد الله عاوز يعمل مشغل بسجاد

صغير فى بيته وجايين نشورك .

ويتفرس الحاج فى عم عبد الله ثم يعرج برأيه « الشغلانة دى تقيله وفيها

شقى كبير وعاوزه صحة وعافية وأنا شايف إن عم عبد الله ما يقدرش

عليها ، وتتدخل فاطمة فى الحديث ، ما أنا ح أساعد أبوى راقف معاه . .

ويدهش الحاج أقولها وينأملها مليا ويددك ذقته بيده ثم يقول :

« ماشاء الله . . . ما شاء الله » .

وتستطرد فاطمة : « إنا لنفينا في الأزهر والفورية وشوقنا
أنوال كثيرة » .

الحاج — وطلبناكم إليه ؟

فاطمة — عاوزين حنتين ؟

الحاج — تعالوا لاتفرجوا على الى عندي .

ويقودم الحاج إلى عزن داخل ويمرون بصحية وفتيات وعمال
يعملون في مهارة وسرعة يعقدون الصوف ويقطعون بهسكين حاد وحواسهم
مرصزة على الأنوال التي أمامهم فأجورهم عديدة بمساحة ما يفسجون ،
لذلك فهم أحرص على الوقت أن يضيع ، كحرصهم على القشروش التي
يقتاولونها من الحاج كل أسبوع ، تاركين له بين عوارض الأنوال ما هو
أكثر منها قيمة وأجزل ربحا .

ويعرض الحاج الأنوال المستعملة وتفحصها فاطمة ثم تتكلم ولكن
العوارض دى كبيرة » .

الحاج — علشان السجاد الكبير .

فاطمة — لكن الى ماشى في السوق السجاد الصغير .

الحاج — ما شاء الله . دى إنتو دى الى شاغلين في الكارمن زمان .
وتطربها تلك الكلمات فتبسم للحاج قليلا ثم تقول : « أنا لارمنى
لخوية علام »

الحاج — (بحماس) على العموم أنا في الخدمة .

فاطمة — وما عندكش أنوال صغيرة ؟

الحاج — ده إن ما كانش عندي أشغله لخاصوس علشانك .

وتستشعر فاطمة بفريزتها الإشرية كلفة الحاج بها يستمعها بنظرة

ويستميلها بكلماته ويعدها بمساعداته .

عم عبد الله — ح نعمل إليه دلو قى ؟

الحاج — النجار بتاعى أخليه يشتغل لكم — تتين بالمقاسات الهذير

وبالسعر اللى باشتري بيه ... إيه رأيك بقى ؟

ثم يرى فاطمة بنظره المستعد لبذل ما هو أكثر من ذلك . لكنها
تتمسك بالصمت ولم تحرمه من نظرة مشجعة .

المعلم درويش — دى حاجه عال قوى يا حاج .

فاطمه — طيب مش نعرف الايمان .

الحاج — ومستحيلة ليه كده ؟ هو لى مش جايه علشان تتعلمي

الصنعة ؟

فاطمه — إن شاء الله .

الحاج — يبقى تنفق على مهلنا .

وينادرون المكان . وبمناذراته تنتهى أسباب بقاء محمود بالقاهرة

فيجمع الرحيل إلى قريته .

— ٢٤ —

يصل محمود إلى قريته ليمضى بها أشهر الصيف بين أهله . كان فى السنين

الماضية يأبى مفسر الصدر مشتاقا لها وناسها وحقوقها . لكنه هذا

الصيف فهو على حال مخالفة . فإسسه مثقلة بالذكريات وقلبه ذاخر

بالمواطف . تتوارد على خياله صور أحداث العام الماضى . وأكثر الصور

تردداً عليه فائزة برقتها وبساطتها وشعرها المعقوس الخلف يميزها عن

أترابها . ومن حين تطفو صورة فاطمة بدفتها وقتنها ولفحانها .

ويجئ إلى القاهرة يود لو يقيم بها حيث كانت أولى تنفسياته العاطفية
وخفقاته القلبية ، وليوصل ما انقطع من روابطه بفايزة ، وليستمع
بالمدينة الكبيرة النابضة بالحياة والحركة . لكنه يرى أن لاييه
حقا في علمه وأن لآخره حقا في ماله . وهو ملزم لاجلهم بالاقامة
والعمل قريبا منهم . ورغم ذلك الصراع فإنه يصاحب أباه في
زياراته أو لقضاء مصالحه . بوه فرح به فخور بأبوته له ، بل أن
أهل القرية يرحبون به وينظرون إليه نظرتهم إلى البطل فهو واحد
منهم . لكنه استطاع أن يتخطى حواجز القرية ويصل إلى أعلى مراحل
التعليم . لم يلزم داره وحقله . ولم يستسلم لقدره ويصبح فلاحا مزارعا
مثله . لذلك فهم يحترمونه ويقدمونه في صدارة مجالسهم ويسألونه
المشورة ويتقبلون نصحه . وإذا أرتج عليه القول لا ياجون عليه السؤال
خشية إحراجهم وحتى لا تهتز أو تتخذه صورة البطل في أذهانهم .

وتصبح دار عم عثمان العفيفي مزارا محببا يتردد عليه أهل القرية
يتسامرون فيما هو مهم وفيما لاجدوى منه . يتشوقون لسماح محمود يروى
لهم عن أعاجيب القاهرة وما استحدث فيها من مصانع ومنشآت .
لكنهم يتشككون فيما يحدثهم به عن العلم وقدرته على إنهاء
متاهتهم الزراعية . وكثيرا ما يطالبون أنه أن يقرأ لهم في كتبه بعضا من
القصة الدين والسير الاسلامية يتلمسون فيها الإيمان والأمان
ويتزودون منها بطاقة لتحمل عثرات الأيام .

لا يستطيع محمود مداومة هذا الجهد ويذهب في تلك التندوات ويبحث
إلى الخلوة في غرفته أو بين المروج الخضراء . ويذهب الأب لسلوك
ابنه ويسأله : مالك يا محمود . . . ما تبحث تحب تعمد معانا . له ؟

- عندي شوية زهق .
 — تككنش هاوز تفرح بالعروسة .
 — لسه بدرى ولما أتوظف الأول .
 — آنى وأملك إخترنالك عروسة حارة جوى .
 — (بانزعاج شديد) إوعى يا بابا تكون كلفت حد ولا اتفقت .
 — أنا جلت آخذ رأيك الأول .
 — عموما إصرف نظر عن الموضوع ده .
 — آمال بحى مالك .
 — بأفكر ح اشتغل فىن وإزاي ؟
 — كل حى بياخذ نصيبه .

ويرتاح الاب بعد أن إقتنع بأسباب عزوف إبنته ويتركه لسبيله .
 يتجول عمود بين الحقول . ويمشى بين أحضان الطبيعة المتبسطة أمامه .
 لا يلها بهر ولا تحيط بها عين . وتأخذه رحابة الكون وإتساع
 الأرض وإفتاح السماء . ويستغرق فى نوبات جمالية تستوعب كل أحاسيسه .
 وينصت إلى ترانيم الطبيعة ويستمتع بكل حركة طائر أو فراشة وأهزه
 اللوحات السامية . فيذهب عنه ضيقه ويفرجه سلام وصفاء ويشعر بهفات
 الذسيم على وجهه ويرى لفحاته تضغط الأشجار والأغصان والأعواد
 الخضراء فتقبل وتنحن وكأنها تهلل وتسجد لسيد قدرها تسبح
 بحمده وتجل عظمته . وتأخذه تلك الإشرافه فتزول على نفسه صكينة
 ويرتد إليه نشاطه وكان جسده وعقله وروحه قد تجددت .

ويحدث أثناء تجوله أن يسمع نداءات الفلاحين يتزاعقون ويمجرون
إلى الطريق الزراعى . ويستجلى محمود الأمر ويخبره أحدهم ، الجاموسة
الدسوق ضربتها عريية وهربت ...
— ضربتها فين ؟
— ع الزراعية .

ويذهب محمود حيث تخلق الجمع ويرى بينهم أباه . اختلط الرجال
بالنساء بالصبية إما نجدة وإما فضولا .

النساء تولون والرجال بين ناصح أو صائح ، والجاموسة المصابة
تخور خوارا أليا والدم ينزف منها . يمشو أحد الرجال إليها ويفحصها
ويمسك بآطرافها ليتبين الإصا به ثم يهض والحسرة ترسم على وجهه قائلا
« عليك الصوض يا دسوق ... الجاموسة بتنازع » وما أن تسمع
النسوة تلك المباراة حتى يرفقع صراخهن يندبن المصابة الكبرى . أما
الدسوق نفسه فقد طحنه الحزن .. ويصبح أحد الواقفين ، يا جماعة
دى لازم تندبج حالا ..

يظهر بين الجمع فلاح يحمل السكاكين وأدوات الذبح والنحر ..
ينحنى إلى الجاموسة ويكبر تكبيرا كثيرا وهو يمرر السكين على رقبها
يعاونه آخرون بمسكون برأسها حتى تسكن حركتها .
وتنفل الذبيحة على عربة وقد سار خلفها الجميع فى موكب جنازى
حتى يصلوا إلى ساحة القرية . وتقام أعمدة خشبية ترفع عنها الذبيحة
ويستكمل ذبحها وسلخها وقطع وتعرض للبيع .

يفد كل من القرية ليشتري . يستوى فى ذلك القادر والمدم القادر
يشتري ما وسعه الغراء نقداً .

أما المعلم الذي لا يأكل اللحم إلا في المناسبات، والإعياد وفي مثل هذه
المئات فيشتري لكن يؤجل الدفع حين ميسرة أو يقدم قنحا أو
خزة أو بعضا .

لم تكن تلك الحادثة بالأمر الجديد على محمود، فهو بحكم ريفيته خبير
للكثير منها . كان في الماضي يبتاثر بها تأثيراً عاطفياً . أما اليوم فهو يراها
برؤيا جديدة ، تلى وتدرك يربط ظواهر الأمور بأصولها . فهو يعلم
أن هناك جوانب سلبية تنمشى بين أهل قريته . كل سارب في شتوته
ومعنياته . لكنهم في المئات والخطوب تنفجر منهم طاقات إيجابية تشدهم
إلى بعض وتمكنهم من التصدي للخطير من النوازل والفتن .

ويكاد محمود يلس ذلك النوع الكامن في أعماقهم يرسلهم بحور
واحد في مصير واحد .

ويعد محمود في صحة أبيه بعد أن أعطاء أهله منذ لحظات منى
كبيراً للحياة أو بصورة أدق انجماها أصبلا للحياة . . فكل تلك
المبادرات التلقائية التي بدت منهم للتخفيف عن الدسوق دفعت لأن يناقش
نفسه ويقدر موقفه ويتساءل أين هو من هؤلاء القوم ؟ أين موقعه ؟
أين طريقه ؟ ومن أين يبدأ ؟ من هنا . . من قريته أم من هناك حيث
خفقات القلب وتمع الحياة .

ويشعر بتلك القوة الارتباطية بأهله تجذبه نجوم وتسطع ويدرك
أن مكانه بينهم . أمرهم وشأنهم من شأنه . لا انفصام ولا فكاك عنهم أو
عن مشاكلهم ومتاعهم .

وعندما يستقر إلى هذه النتيجة يعترب من أبيه . يلاحظه كثفا

لكنف ويهيم لاية بعد عبوسه طويلة ظننا الاب حزنا على الدسوق
ولم يدر أنها عبوسة الحيرة والمعاناة .

يعود محمرد إلى نشاطه بين القوم . يستأنف حذر ندراتهم
ويشارك أباه في مباشرة الأرض . . . ويحدث أثناء ذهابه إلى الغيط
أن يسمع من يناديه ويتلفت ويككون خاله . ويتجه إليه في حقله . .
ويستضيفه خاله على بعض مما بالحقل فيصبح دبت يا خضرة هاني كام
فحل خيار من حداكي ،

وتأتي الفتاة ببعض منه وقد حملته في جلبابها كاشفة عن ساقها عمدا
أو غفلا . وتقدمه الى محمرد قائلة « اتفضل .. »

لكن خاله يأخذه منها رينهرها « امشي انجري . . كاك خشم
بوزك ، وبين قضات الخبار الندي يقول الخال « كان الشيخ خليل اشكي
من الخوخ بتاعه وكلمني لاجل تشوفه ،

— الراجل ده ولو اني أجبرش لكن لاجل خاطر ك أروح له معاك .
ويدخلان دار الشيخ خليل بعد الاستئذان . يصادفهما حوش فسيح
على جانبيه تكسية عنب ظليلة . يمرح هنا وهناك بط وأوز ودجاج
كثير وفي ركن قصي توجد حظيرة للدواشي .

ويستقبلهم الشيخ خليل ويذعورهم إلى الجلوس تحت التكمسية . .
ويؤتي بالشاي تحمله فتاة في ربيع عمرها ترفل في ثياب سوداء حريرية
من تلك التي تلبسها الأتراب العذارى . . تحمل صينية الشاي بيد
والأخرى تجذب عصاية رأسها تداري بها وجهها . ويضحك الشيخ
خليل « اني مكسوفة يا حسنية؟ ده محمرد ابن عمك عثمان سألني يابت . .

وتعد يدارخصة مثقلة بالأساور الذهبية اللامعة، وتتايل في دل ريفي
وهي تقول : حمد الله ع السلامة .

عمود — الله يسلك .

الحال — دى بحت شبة .

ويرد للشيخ الأب د أصل بناتنا تمكبر بسرعة .. البت من دول
ما تحصل الخنساشر إلا وتلاجها انخرطت وتبان ولا بنت عشرين .

الحال — فين بجي شجر الخوخ الى بتشكى منه ؟

الشيخ — في الجنة جانا طوالى .

وتحت ظلال أشجار الخوخ يشرح الشيخ الإصابة « شايف البجع
للأسود دى آمى كل سنة في الميعاد ده تظهر ع الخوخ وبمدين يحف
ويجمع لصه جبل ما يطيب . ويسلك عمود بالثمرة يفحصها ويسأله
« إنا عمرت » .

— أيوه بالكبريت .

وينزع عمود بعض الأوراق يدقق فيها النظر وينقل من شجرة
لاخرى ثم يسأل : والجنة دى مساحتها كام ؟

الشيخ — ثلاثين جيرا ط .

عمود — يا ترى خفيت الشجر .

الشيخ — طبعا وجمت ربع الخوخ .

يؤتمكز عمود على الأرض . ويفحص الجذور . بينما الشيخ وخاله
يراقبانه بإهتمام ثم يقول عمود « ده نوع من الفيرس » .

الشيخ — فرس .. فرس إيه ده كان ؟

عمود — ويجوز يكون نوع من القطر .

الشيخ — والله ما آتى قام حاجة .

الحال — ومين سمك .

عمود — بصراحة أنا لازم أرجع للكتب .

الشيخ — وهى الكتب ح تجول حاجة ؟

عمود — (مبتسما لسذاجة) كل حاجة موجودة فى الكتب .

ويمكن نعطّر ناخذ عينة من الخوخ والجذور ونحللها فى المختل .

الشيخ — (منهكاً) ده ولا دكائرة المركر ... كل حاجة عاوزين تحليل .

الحال — وهى يا عمود الإصابة عريضة للدرجة دى ؟

عمود — أنا لسه متخرج جديد ويلزم نروح العمل فى المحافظة عاشان أنا كد .

الحال — جلت ليه يا شيخ خليل ؟

الشيخ — آهو نعمل بشورة عمود يمكن تنفع .

يذهب عمود إلى أبيه فى الحقل متأثراً بسجوره مع أول مواجهة زراعية

ع — مدودة . لم تسعفه ازائها دراسته بالسكية بل وبدا عاريا لا غطاء

يستره . ويتضح حاجته للاستعانة بغيره من المختصين أو لاستخدام الوسائل العلمية الحديثة .

ويلحظ أبوه شروده ويسأله : إناخرت ليه كده ؟ . . .

— كنت فى جنيئة الشيخ خليل باشوف شجر الخوخ بتاده . .

— (بانسراح) ه ... وإيه كان ؟ .

— قلت له لازم تروح العمل فى المحافظة .

— يعنى مجرد قش تعرف ؟

— أيوه .

— كان بودى تعرف وتطول رجيتى .

— مش قادر سبب أفهم اهتمامك وخوفك عليه ؟

— بصراحة يا بنى نفسى تناسبه .

— وما لقيتش إلى الشيخ إلى تناسبه يا بابا ؟

— ماله الشيخ خليل ؟ عنده سبعة وعشرين فدان غير تجارته فى

الفلل راجل مبسوط وما عندوش خاف غير بفتين ..

— وهو يبنى جاب الأرض مئتين .. مش من التجارة الحرام فى الشاى

والسكر والزيت بتاع التموين .

— الناس هى إلى ما كانتش بتاخذ تموينها .. يضطر يبيعه لغيرهم

والا يعنى كنت عاوزه يخسر ؟

— أنا يا بابا ما عنديش نية الجواز دلوقتى .

وبشملهما الصمت ويلفهما السكوت وكل لا يستصوب رأى الآخر .

— ٢٥ —

يلتقى محمود والشيخ خليل والخال بالموظف المختص فى مكافحة

أمراض الفواكه بمديرية الزراعة بمحافظة الشرقية . ويشرح له محمود

الإصابة ويطلب الموظف . د طيب اكتبوا لاستشارة فحص وتطهير .

الشيخ — ولازمته يحى إليه الاستشارة دى ؟

الموظف — علشان نعرف الناحية ونبعث إلى فحص الإصابة .

الشيخ — ولازمته إليه الفحص ... إذا كنا جينا كل حاجه معنا .

محمود — أيوه يا أستاذ معانا عينة من الخوخ والجذور .
الموظف — (بامتعاض) لازم المهندس بتاعنا هو اللي يفحص
بنفسه العينة .

محمود — أنا برضه مهندس زراعى ... زميل لك ومقيش فرق .
الموظف — إجراءات يا أخ ... إجراءات لازم تتم .
محمود — إيه رأيك يا شيخ خليل .
الشيخ — والله آن بخاف من كتابات الحكومة دى .

وبعد فترة تردد يقول الشيخ خليل : طيب إكتبها وآنى أمضى ،
ويعودون إلى القرية ويصبح حديث القوم ذهاب الشيخ خليل
ومحمود إلى المحافظة ومقابلتهم المهندس الكبير . يضيف كل إضافة
جديدة إلى الأقصوصة . و يرويها كل حسبما يهوى . فهذا يصرح بأن
الشيخ خليل رفض التوقيع على الاستمارة لكن محمود طمأنه وأقنعه
وذاك يرجح أن محمودا ما ذهب مع الشيخ خليل إلا تقربا
له حتى يزوجه ابنته . ولا تنقطع القصص إلا بحضور عربية من المحافظة
وعليها عمال وموظفون وآلات وعدد

تقف العربية أمام بستان الشيخ خليل ومعهم أدوات وماكينات
ويسألهم الشيخ منزعجا : إيه ده كله ؟ ..
الموظف — جاينين نشوف الاصابة .

ويدخل الموظف يتبعه الله هال ويمارس عمله بين الفحص والتفتير
فى همة زائده ، ثم يمر بين الأشجار ويصلم سوق بعضها بسكين
حادث ثم لا يلبث أن يقتلعها العمال ويشدونها إلى خارج الحديقة ثم
يشعلون فيها النار . ويثور الشيخ خليل : أنا ما طلبتش من حد

أيعمل حاجة . . . نا حبيت تعرفونا اصابة الحوخ . . لا جلت
عاوز تفيّر ولا تبخير ،

الموظف — انت قدمت طلب بالفحص والعلاج

الشيخ — يا شورتك المهبية يا محمود يا بن عفيفي . . كان
يوم اسود يوم ما اتهندزت على

ويتجمع عدد غفير من أهل القرية في فضول ملح وأبصارهم
عائقة بالنار المشتعلة . في تعليقاتهم شماتة الناقين وحقد الموتورين .
ويتشيع القوم شيئا وأحزابا . منهم من يلوم الشيخ لاستماتته بفق
يافع لا خبرة له بالبساتين . ومنهم من يقف الى جانب عثمان العفيفي
وولده الذي لا ديب له فيما أصاب الشجر

وتعج دار الشيخ خليل بالمواسين والمعاتين والناصرين يقول
أحدهم : يعنى ما لجتش الا ابن عفيفي الى تسأله وتشوره »

رجل آخر — هي المجنينة عاد فيها نفع . ربنا يعوضك
يا شيخ خليل

رجل ثالث — ده لسه جى الحسابات والمصاريف وغيرها .
رجل رابع — ده فيها بالجليل المختصر حاجة كده بتاعة ستين

سبعين جنيه

الشيخ — هم عملوا حاجة دول يمكن عفروا بشوالين يعنى
بالكثير عشرينيات

الرجل الرابع — انت نامى مصاريف الانفاق والموظفين والعربية
والمسكن .

الرجل الثالث — ولا السمعة

رجل خامس — قول كانوا ولا عشر رجاله يستغلوا .
 الشيخ — عشر عفاريت يركبهم هم وعثمان وابنه .
 الرجل الاول — الى ما حد جه منهم ياخذ بخاطرك .
 الرجل الثاني — يحمي يأتيا وش ؟
 ويدخل عثمان وابنه محمود وقد بدا عليهما الامل والسكدر ويقرآن
 الموجودين السلام مكذبين من أساء الظن بهما .
 عثمان — تتعوض يا شيخ خليل في الموسم الى جاي .
 الشيخ — تتعوض لى ذى فيها ولا سبعين جنيه مصاريف .
 عثمان — وده معجول ... هى نبيه ولا نبيهه .
 الشيخ — هى مصيبة .
 أحد الموجودين — جيتك يا عبد المعين تمينى لاجيتك يا عبد المعين
 تمنان .
 عثمان — (بنضب) كلام ليه الى بتجوله . هو لى كان عارف
 الى حيصصل .
 الشيخ — طيب لما هو مش عارف ليه الى حشره .
 محمود — (بانفعال) انت الى طلبتنى . . . وكدت خالى لاجل
 آجى لك .
 الشيخ — وأنا الى جلت تروح المحافظة .
 محمود — مش وافقتى ومضيت الأوراق هناك .
 الشيخ — أنا والله ما وافقتى إلا علشان خاطرك الخايب .
 محمود — أنا الى خاطرى خايب ولا انت القلوس وجعتك ؟

الشيخ — أنا الفلوس توجنى ... ده أنا اشتريك انت
وعشرة زيك .

عمود — طبعا ما هي فلوس حرام نهيها من الفلاحين ومن
التون .

الشيخ — لأخرص يا جليل الحيا . لولاك في دارى كنت عرفتك
لإزاي تتحدث مع الكبار ... لكن الحج مش عليك ، مشيراً بيده
إلى عثمان .

ولا يتحمل عثمان هذا التعريض الجارح فيمنض غاضبا وهوية قول :
« يا لله بينا يابى . إحنا مالناش جعاد هنا ... سلام عليكم
يا رجالة . »

وأقلب حال القرية وأصبح أمرها فرطا وأضادا متعاضدا . والتميت
القرية بالخلاف . وينكر عمود أنه مسبب هذا الخصام وينتابه إحساس
بالذنب يورق ضميره . وينأى عن مجالس الحديث والفقول لعل اختفاه
يهدى النفوس ويبعد الرغام . يرجو السلام لقريته ليعود السلام إلى
نفسه . لكن الصراع محترم والآويل تلاك والاثامات تثار . وتلازمه
الكتابة لأيام عديدة حتى يقع في يده كتاب هن تاريخ المسألة الزراعية
فى مصر . ويعلم منه أن الإقطاع أنشأ غالبة فى هذه البلاد منذ فجر
تاريخها . وكان فرعون صاحب كل الأرض ومالكها ولا مالك غيره .
يهيأ لمن يشاء من الأمراء . وحكام الأقاليم وكهنة المعابد من سدة
ملكه وحماة عرشه . وإن شاء أورثها خلفهم من بعدهم ولم يشأ
استادها لنفسه مره أخرى . أما غيرهم من البشر فهم يفلحون الأرض
نظير أجر معلوم .

وعايش الإقطاع عبود الاحتلال اليونانى والرومانى واقتطعت

مساحات كبيرة منها للزراعة ثم جاء الفتح الإسلامى فآات أرض
الزراعة إلى بيت المال يمنح بعضا منها لأمراء الجيش والجنود والقبائل
التي انتقلت إلى مصر وعاشت فيها .

وأستشرى الإقطاع قروناً طويلاً إبان الحكم المملوكى والتركى
تم خلال حكم محمد على ومن بعده وأثناء الاحتلال الإنجليزي حتى جاءت
ثورة الثالث والعشرون من يولييه ومعها قوانين الإصلاح الزراعى فقصت
على الإقطاع وملكت بعض الفلاحين أنصبة من الأرض فالتب شوق
بأقيهم وابتدت أمالهم تبرز وتنمو بعد أن ظلت حبيسة فى أغوارهم
جيلاً بعد جيل تحت ضغط الطغیان والإقطاع الذى ما أن دال وزال حتى
طفئت أحلامهم على السطح وأصبح المستحيل ممكناً والعسير يسيراً . فاستمر
الصراع حول الأرض بين صغار الملاك والأجراء .

وينحى عمود الكتاب جانباً ويتأمل حال القرية وقد أطل على فكره
شعاع من مصباح التاريخ . ينسر له جوانب مما يحدث أمامه من صدام
وخضام . فتذهب عنه عائلته وتبرأ نفسه ويدرك أنه لم يكن من جبر الخلفاء
الموجود أصلاً . لكن عبارته التى قذف بها الشيخ خليل أزاحت النقاب
عن واقع تعصف به تيارات من الحرمان القديم الشوق المارر للأرض .

لم تتمكك فائزة بالقاهرة بعد انتهاء الامتحان الا قليلا . وسافرت إلى الاسكندرية حيث يعمل شقيقها فهي في إحدى شركات التأمين وحيث تزوج بجوى زميلته .

الحى كليوبا نره . الشقة ذات أربع غرف . الطابع الثابت لمبانى الاحياء المتوسطة . هكذا صممها المهندسون واستثمرها المالكون وتقبلها المستأجرون . الاثاث عبارة عن صالون وغرفة مائدة وغرفة نوم وغرفة الابناء . نمط يسمد به تجار الاثاث . تقاليد أو عرف يتولد عنها سلوك واحتياجات تتطلب اشباعا ثم تتكفل به امتارات وصناعات وتجارات . لا يعنى فائزة من هذا كله إلا طارق الطفل ذى الأربعة سنوات . رفيقها اليومى إلى الشاطئ . هو فى يمينها والكتاب فى يسارها . وتجلس تحت مظلة فى مكان اختارته . يطل على البحر وابتعد عن الزحام تأقى فى وقت محدد وتفادى فى وقت معين . لا تشذ عن المسكن والزمان إلا إذا كانت فى صحبة أخيها وزوجته .

ولم تخرج فائزة عن بساطتها فى المظهر ولا عن سلوكها المقنن . لا تلبس المايوه وتكتفى ببنتالون أسود وقمص يكشف عن ذراعيها الدقيقتين . ويستر نحرها ، ويشد منة عنق طويل . يملؤه رأس صغيرة بشعرها المقفوض الخفاف . كل تلك البساطة لم تحف قوامها الرشيق . تتبعها العيون فتجمل وتلاحقها النظرات فترتبك حتى تمتد الأمر فتوازن خطواتها وتشد مشيتها وأصمت ، لا تشر إلا بطارق تركز عليه اهتمامها وتمارس به أمومة مدخرة جاهزة لأن تمنح . تراقبه أحيانا وتضحك

الهوة وتأمل إشاراته وحركاته أحيانا وقد تلجأ إلى كتابها في غير حماس
 ملح ، أو تستسلم لسطحات فكرية أو لذكريات أخرى أو تستقبل نسمة
 رطبة تقدم لها وجهها . وتبرز لها صدرها لتنتشى بها ، أو ترتاح ببصرها
 على زرقة البحر . ويعطفو على أمواج الذكريات محمود وما كان لها معه
 من أحداث صغيرة أو كبيرة . ولا يوقفها من تلك السطحات إلا رذاذ
 الموج يتناثر على قدميها العاريتين يدغدغها فتلبها في رجفة مشيرة .
 وتمر بها الأيام بطيئة ويتناها الملل من رقابة النهار والليل ، لكنها
 بطاقتها المنظمة تبتكر لنفسها لعبة ذهنية عاطفية تربط بين الأمس
 واليوم . تقارن محمود بغيره من تلك النماذج البشرية التي تحوم حولها .
 تخصص لكل رجل أو شاب درجة للمظهر والصورة والشخصية
 ودرجة للسلوك الاجتماعي . وتسمى كل باسم معين . هذا المتفوق وذاك
 أنطونيو وآخر تطلق عليه المهم ورابع تدعوه الفيلسوف وخامس
 تسميه مرشد القطامية وسادس تسخر منه فتسميه خنفس . وكلما
 بدرت من أحدم بادرة أو فعلا يدخل ضمن المقاييس التي حددتها
 تدون درجته . . . وهكذا حتى تتجمع لها الدرجات ويبرز التقدير
 النهائي ومن الطبيعي أن يتفوق عليهم محمود سواء عن عدالة
 أو عن غرض في نفسها

تعود إلى المنزل ويخبرها أخوها بأن النتيجة ستعلن الأسبوع
 القادم وأنه أوصى مدير العلاقات العامة للشركة بالقاهرة أن يخطره
 بزيارتها . وتذكر فائزة وعدها لمحمود فتقول على غير وعى
 « ومحمود . . . »

ويتعجب أخوما قائلا «ومين محمود ده؟»
ترد فائزة وقد احمر وجهها «ده زميل لى كنا .. كنا بنتبادل
المذكرات»

ويسأل فهمى بلهجة ماكرة «مذكرات ... مذكرات إيه؟»
ثم يلتفت إلى زوجته ويفغر لها بعطف عيته معقبا «مذكرات يانجوى
واخده بالك»

وتنفجر نجوى فى ضحك متواصل لا يلبث أن تسرى عدواه إلى
فهمى . تنظر فائزة إليهما فى حيرة تتحول إلى غيظ شديد ، فتصبح فى
عصبية تسمح تقول لى بضحكك على إيه انت وهى ؟

فهمى — أصل أنا ونجوى كنا بنتبادل المذكرات برضه .

فائزة — (بفضب) مذكرات عن مذكرات تفترق .

نجوى — انتى زعلتى يا فائزة . مالكيش حق احنا بنضحك .

فهمى — أصل نجوى كانت عوزانى أخلاص البكالوريوس بأى
شكل كانت مستعجلة على .

نجوى — أنا اللى كنت مستعجلة ؟

فهمى — أيوه ... فاكدة لما طلعت بعلم وفصلتى طول السنة عاملة
حجتك تساعدينى لغاية ما

وتهجم عليه نجوى تسكهم فديدها تمنه من الاسترسال ، وكلما حاول
التخلص منها إزدادت ضغطا عليه حتى يستسلم قائلا «طيب خلاص
خ أسكت» وتدعه لشأنه بينما فائزة ترقب هذا المزاح بدهشة وذ هول .
لا تكاد تصدق أن كل هذه المداعبات تصدر عن نجوى . وأخيرا يصبح
فهمى «عاوز آكل» .

وعندما تخلو فائزة بنفسها ولغير سبب مفهوم تقارن نفسها بنجوى
ثم يسير زميلتها . تستعيد حركاتها ولقاتها السريعة وطريقة لإخراجها
لنفسها والوان ملابسها وتصفيقة شعرها . والضحكات المرحية . وتعجب
لإقحام سفير خيالها بعد أن رأت تلك المداعبات الزوجية بين أخوها
ونجوى . وتمزها تلك الصور ونشعر بطلاسم في أعماقها وزهق في صدرها .
وتساءل هل هي متحفظة في سلوكها ؟ هل هي متخلفة عاطفيا عن جيلها ؟
وتفرقها تلك الأسئلة في دوامة لا تجد منجاة منها إلا البحر والرمال الصغراء
فتمدد عليها ، وتطلق بصرها إلى ذلك المسطح المائي غير المحدود . تعب من
هوائه النقي عبا . لعلها تجلو نفسها وقلوبها وتوقف ذلك الزوال العكسرى
المحتم في رأسها .

وأملها طارق يلب كما اعتاد . تراه بعيدا ولا تلاحظه بإنذارها .
وتبت لما تراه يحدث أمامها . تجده يزاق إلى البحر تحمله موجة عالية بعد
أن ضربت الشاطئ وخلصات الرمال من تحته ثم سحبته معها إلى البحر .
وتندفع دون وعى تخوض الماء غير هياية ولا مدرك أنها جاهلة بالسباحة .
تضربها الأمواج وتلفحها برذاذها وهي لا ترى إلا طارق الذي يطفو مرة
ويختفي أخرى . وتصرخ صراخا متواصلا هلما وجزعا وتتقدم نحوه
حتى تمسك يده فتشدنها بعنف وشراسة والطفل نفسه لا يبكي ولا يصرخ ،
بل يحامد لسمه هواء . وتثبت بالطفل وتستدير عائدة إلى الشاطئ غير
أنها تكبر وتسقط في الماء وتظل متمسكة به بين ذراعيها وتحاول النهوض ،
وتبتلع الماء ، وتجمط عيناها ، ويختلط في ناظريها الماء على السماء حتى تشعر
بيد قوية تنشلها . وتخوض في الماء مستندة إلى تلك الذراع القوية حاملة
طارق حتى تخرج من الماء . وترتمى على الرمال الصغراء ، ويوق لها بفوارة .

حمام تندثر بها وتجفف بها طارق وأطرافها . وتنساب منها الدموع .
وتحتضن طارق ثم تنهض عائدة إلى منزلها وتسير فوق الرمال غير ملتفتة
إلى الجمع الغفير الذى التفت حولها .

وتركب عربة أحمر وتنتظر إلى منقذها القوي فيخيل إليها أنه محمود
فتحملق فيه بشدة . وتذكر أخيراً أنه ذلك الفتى الذى أطلقت عليه
« أنطونيو » .

وفي المنزل تغير ملابس طارق بأخرى جافة ثم تهم بنفسها تخلع
ملابسها المبتلة . وتلحح صورتها بالمرآة فتأخذها الدهشق والنجل . تفصيل
جسدها واضعاً . أطبق القميص على صدرها الناهد يفضح استدارته
ويبرز نتوءات الصدر الصغيرتين وينظونها الاسود يحدد في خطوط إنسيابية
كل شيء كل شيء ظلت تخفيه وتستره حتى عن محمود . وكان كل
ذلك مباحاً للعيون التى تجمعت حولها .

ولا ترضى عن نفسها وتقرر ألا تذهب إلا الشاطئ مرة أخرى
بعد أن بدت لرواده أكثر من عارية . بل إن تذهب إلى أى شاطئ آخر
واتعد إلى القاهرة لتكن في انتظار النتيجة وأصحاب النتيجة .

— ٢٧ —

الإشاعات . التنبؤات . التوقعات . التخمينات تمرى بين الطلبة
والطالبات . يقطع البض بالناجحين ويحدد الآخر بالراسبين . بينما
الكثير يترنح بين حافة الأمل وهوة اليأس . وعمودلاه عن هالك وذلك .
يبحث عن فائزة . يلف ويدور ويسأل كل من يصادفه عنها حتى يجدها عند

حديقة المدخل بين زميلاتها. و تراه وتطل الفرحة من عينها ويحملق هو فيها
بكل شوق ويبادرها بالتحية « لزيك يا فايزة ... لكى وحشة كبيرة »

— مرسى ... لانت هنا من بدرى .

— وعمال أدور عليكى .

— عملت ليه فى البلد .

— فكر ومشغولية ومشاكل .

— أنا بقى كنت ح أغرق .

— (بانزعاج) سلامتك .

— (باسمه) طارق ابن أخوى . الموجة سحبت دخلت وراه من غير

ما أفكر لاني ما أعرفش أعوم .

— وبمدين ؟

— ربنا ستر ... وأدينى قدامك .

— حمد الله على السلامة .

وتلفت حولها فلا تجد أحدا فتقول « الله كلهم مشيوا ؟ »

— الظاهر النتيجة اتملقت ... بالله بينا .

وفى صالة كبيرة علقت النتيجة . وكل يبحث عن مصيره . الناجح يفرز
ويهلل والراسب ينسحب منكسا رأسه ويتطوع أحد الناجحين ليخطر
البمدين عن نتيجتهم وينادى أحدهم « يا على .. يا على .. » وحيانك
نمرق ١٣٦ ،

على — مبروك .. مقبول .

عمود — يا على ١٤٥٠٠ .

على — مبروك جيد جدا .

ويلتفت محمود إلى فائزة فرحا «مبروك يا فائزة» ثم ينادى
٢٣٧ يا على .

— مبروك يا محمود ... إمتياز .

ويفيض وجهه بشراً وسروراً ويقول له فائزة «مبروك يا محمود .
الف مبروك .

محمود — متشكر . متشكر :

ويتكاثر الطلبة حول محمود يزجونته تهنئتهم . وتصيح سهر من الخلف
«محمود . شوف نمرق ٨٧» .

محمود — على ... يا على ٨٧ ...

على — مبروك . . مقبول .

محمود — مبروك يا سهر :

ويخرجون جميعا وقد أمسك محمود بيد فائزة بقوة يذبها الأشواق
والفرحة والأمل . وهى هائنة سعيدة لا تمانع ولا ترفض . ثم تلتحق بهما
سهر ويدركهم على معترضا طريقهم وقائلا لمحمود «هى المسألة فوضى ؟
ده إنت إمتياز ... فين الحاجة الحلاوة ؟

محمود — يناع الكافتر يا .

على — قديمة . قافله طبعما .

سهر — بالله على عمر الحيام وأنا الى عزما كم .

على — الامتياز هو الى يعزم .

محمود — أمرك يا على .

فائزة — بس أنا ما أقدرش أروح إلاها كن دى :

على — إنتى كان حقتك تعيشى مع جندى .

أسهير — قولكم . تعالوا عندى فى البيت .

على — أظن دى بقه مافيهاش لآ .

فايزة — طيب .

وفى منزل سهير يلاحظ على أن محمودا وفايزة يتبادلان حوارا

هامسا .

فيماق : نحن هنا ، ونخرجل فابزه وينظر لإليه محمود متضجرا .

وتدخل سهير حاملة أكواب الشرابات ويدور الحديث .

محمود — حكاية الامتياز دى هزانى .

سهير — المفروض أنك فرحان جدا .

محمود — كنت مقدر لنعمى بالسكتير جديد جدآ .

على — خلاص يا سيدى إبعث تلفراف وإطعن فى النتيجة .

سهير — حد فيكم فكر حيثغل فن .

فايزة — أنا كان نغنى أشغفل معيدة بالكلية . لكن مفيش فايدة

على — ده حوالى إقتاشر واحد لامتياز . يعنى معيد دى فيها شك .

سهير — أنا بقى... رئيس مؤسسة الإبتان الزراعى صديق بابى

وكان وعده إنه يشغلق فى قسم جديد عنده إسمه .. إسمه ..

على — (يغنى) إسمه الهوى .. إسمه .. إسمه الهوى .

سهير — إسمه قسم المتابعة الفنية .

على — أنا قتيل المتابعة الفنية .. أنا محسوب المتابعة الفنية

سهير — أترجاني شوية .

على — (يغنى) أسمر يا أسمرانى .. مين قضاك على ..

فايزة — وأنت يا محمود ناوى تعمل إيه ؟

محمود — ناوى اشتغل فى جمعية زراعية نواحيننا فى الشرقية .
 على — يا قوة الله .. معاك امتياز وتختار الوظيفة دى .
 محمود — علشان أبقى قريب من أهلى .. محتاجين لى .
 فائزة — فىن طموحك وأمالك .. فىن الدكتوراه والبعثات .
 محمود — أنا بحس بمعنى الحياه بن أهلى .
 سهير — حد يسبب وظيفة معيد ويدور عل شغلانة فى جمعية
 زراعية ؟

محمود — يبرز كلامى غير مقنع لكن الإختيار ده يوصلنى إلى نقطة
 بداية صحيحة لحياتى . فيها ارتباط وتوافق بين إحساساتى وبين الواقع
 القائم إلى عشته وإلى ح أعيشه .
 وبيننا محمود يتكلم تتعلق أنظار فائزة به تسترعب كلماته ويستحوذ
 عليها بذلك الوفاء والاخلاص ، بيننا تعلق سهير ، أنت أفكارك غريبة جداً
 يا محمود ... ولا إليه يا فائزة ؟

فائزة — أنا شخصياً بأعتبر العمل أو الوظيفة مش هدف
 فى حد ذاته . لكن السعادة اللى يحققها الإنسان للجمع بعمله هى
 الهدف الصحيح .

على — الكلام ده مستواه على قوى ... أنا مروح ...
 قايم يا محمود ؟

ويتردد محمود قليلاً ناظراً إلى فائزة ثم إلى على الذى نهض فعلاً ،
 فلا يسمه إلا أن يقول لفائزة : بكركم ح أستلم أوراقى من
 الكلية .

فايزه — ح أكون هناك الساعة عشرة .
ويذمبان . وفي الطريق يقترح على إيه رأيك تتمشى شويه وبعدين
نا كل كام ساندوتش . »

— ما تيجي عندي أغديك غدوة فلاحى .
— وجب .

يفاجأ على بوجود فاطمه فى الغرفة ويرى محمود بتظرة ذات مغزى
وتخرج فاطمه بذلك الزائر الغريب لكنها تكون أول من يترك دائرة
الصمت . وتنفض إليهما وفى ابتسامة تبادل محمود بالسؤال « أقول
مبروك ؟ » .

على — قول ألف مبروك .
وننظر إلى محمود بابتسامة عريضة عرض أملها فيه « ألف
مبروك » .

محمود — متشكر ... وباركى كان لعلى .
فاطمه — ألف مبروك .

على — كفاية واحده بس .

ولا تفهم فاطمة ما يعنيه ذلك المناكس، فتلفتت الى محمود مستفسرة .
فيعقب « أصله يدوبك ناجح ... يعنى بالعافية » وتردف فاطمه
« طيب أنزل أجيب الشرابات » ثم تخرج تتأيل فتنة وجورا وعلى
يتبعها بعينين تتأيل معها حتى تخفى فيسأل : « إيه الحنة دى
يا بوحنى ؟ »

— دى مرات ابن عمى اللي مات من قريب ..
— أرملة ؟ ... الأرملة الصغيرة ؟

— غلبانة ... حظها وحش .

— (يغنى) يا قاي كفايه دق ... مادام حبيبك رق ... عيني
بتقول أبوه ... وانت بتقول لا ...
— دى ذى أختى بالظبط .

— (يغنى) ياغال على يا حبيبي ياخويا .
يا أجل هدية من أمى وأبويا .

وية مع الغناء دخول فاطمة بأكواب الشرابات . تقدم الى على
حداها فيعرضه العريس الأول ، وتقبل فاطمة لهذا القبول وتنظر الى
محمود بقلق والاكواب تتخبط عنده ريناعذراً لا يهدأ ، حتى يردف
على « عريس النتيجة » وعندئذ تعود الإشرافة الى وجهها وتوجه
بالاكواب الى محمود وهي تهمس له « صاحبك خفضنى قوى » ثم تسكن
الى جواره ترشف الشرابات وعيناها عليه تهمس أملاً فيه .

يلحظ على تلك النظرات فيغنى « قدما نحكى عن العشاق الى انضنو
بنار الاشواق

وتجذل فاطمة لهذا الغناء فنستزيده كان والنبي كان ،

على — (يغنى) ولما طان الكلام بينك وبينى .

فاطمة — أبوه الكلام طال قوى .

محمود — صوتك مزعج .

فاطمة — لكن كلامه حلو .

على — انت ما بتقدرش الفن .

فاطمة — لا يقدر ولا يسابر .

على — (يغنى) الحلو ليه تفلان قوى ... تفلان قوى ... ما أحنا
كان حلوين قوى .

فاطمه — (تغنى) حلوين قوى .

ويقذف محمود فاطمة بنظرة غاضبة تسكتها وتقطع ضحكها ، فتدرك
ما ألم به من حنق وتشرع فى الإنصراف وهى تعرض خدماتها « مش
عاوزين حاجة قبل ما أنزل ؟ » .

على — متشكرين ... الشربات كان لذيذ ... وطعم .

فاطمه — ده من ذوقك .

وتمضى وهى ترشق محمودا بنظرة أخيرة لا تخلو من الفرح لغيرته
عليها . وتخطر فى خاطرها فى دل وطراوة مثيرة تجعل على يغنى « يا أمه
انقمسرع الباب ... يا أمه أرد الباب ... ولا أنا دي له
يا أمه ... أمه .

— يا على مش طريقه دى ... أنا هنا بقى لى أربع سنين ما حدش
مسنى بكلمة ... جاي انت النهاردة تلمح وتغنى ... دى
ذى خنى .

— خليك مقفل لغاية ما تطير منك .

— دى بتاعة جواز ... مش بتاعة لعب .

— اللعب ياسيدى وبعدين اتجوز على ممالك .

— وما تنساش أنها كانت مرأة ابن عمى .

— وما تنساش أنها حطت عينها عليك .

— أحسن حاجه حط عينك مع الفطير والجبنه وتنغدى .

ويخرج محمود مافى السلة ويضعه على المائدة وينهمك الاثنان فى

الا كل في صمت لا يكمره إلا بضغ تعليقات يستعليب بها على الفطير
حتى إذا أتيا عليه يقول على « حنة أكلة عاوزه عشرة كيلو مشى »
— من هنا لغاية بيتك كام كيلو .

— يطلع سته كده .

— لهضم يوم .

— عاوز توزعنى ... طيب السلام عليكم .

— وعليكم مثل ما قاتم أيها المهندس المطرب .

وبذهاب على يهدأ كل شئ وينشط محمود فى إعادة ترتيب المكان
ثم بعد نفسه كوب شاي . ويظل واقفا وقد أسند يديه على حافة
المائدة يرقب لهب الموقد وهو يتراقص كما تراقص أفكاره بين فائز
وفاطمه . ثم يسمع خطوات فاطمه قادمة . وتدخل وتقترب حتى تقف
خلفه تماما وهو ثابت لا تتم عنه حركة أو لفظة وتقول بصوت يقطر
همسا : انت لسه زعلان منى ؟

— وأزعل ليه ؟

— علشان خدت وإديت مع صاحبك .

ولا يجيبها فترداد اقترابا حتى يشعر بأنفاسها تلفح رقبتة ثم تضع
يديها على كتفيه، وتساند برأسها على ظهره، وصدرها الناهد يلمسه مع
كل شهقة . وتستمر قطرات الهمس « أنا ما ليش غيرك » وتنتاج يداها
ويتشبث بالمائدة لينجو من بحرها اللجب . وتعلق عيناه بلهب الموقد
المتراقص . وتهجم فاطمه بكل جسدها إلى ظهره . وتتحرك فيها الأنثى
الكامنة . وبنابجها شأوا تطرح منه كل روية وتقدير وكل بصيرة ومصير،
لا تروم من لحظتها إلاه . ويستشعر محمود أنات يديها وإرتجافات

أناملها . وتنتقل مشاعرها إليه ويسرى فيه ديب حبها العارم . ويقشاه
 بخار لافح كذلك البخار المتصاعد من لأريق الشاي . ويرفع يده
 ليضعها على يدها التي ارتاحت على كتفه منذ لحظات . وتطبق أصابعها
 وتحكم قبضتها عليها تنصهرها ، وتذوقها ثم تلفته إليها فيستدير
 نحوها طائه أوراغياً حتى يتواجهان صدرا لصدر وعينا لعين .
 وتهم به فاطمة تريد فيه وقد إنبلج ثغرها عن فرجه
 صغيرة مهيأة له ، ويميل رأسه نحوها ويهم باحتوائها بذراعيه . .
 محاولة لم تتم . . إذ يغلي ماء الأبريق ويفور محدثاً صدراً مزعجاً يبتس
 أنفعالاتها ويمحق صبرتها وينتكس بعواطفها الملتهبة إلى نقطة
 الصفرة .

يضطر محمود الى ترك فاطمة ليطفيء الموقد ويجنف الماء الذي
 انسكب من الأبريق وقاض على المائدة والأرض . وتحطم الصدمة
 فاطمة . وتلفها بحسرة عن أمل كاد أن يخترق شفاف قلبها ويضع نهاية
 لجرها ورعها ولها . وتجلس الى أقرب كرسي منهاره منها لكة
 وتسمع طرقات خفيفة على الباب ويظهر أحد أشقائها ويقول
 «الحاج دسوقي جه ويسأل عليكى علشان ماروح حيش المصنع النهاردة»
 فتتمض تتبع أخاها . تجر أقدامها في ثقال وسام دون أن تنبس
 بكلمة أو تأنى بإشارة

ويفكر محمود فيما كان محتملاً أن يحدث . ويدرك أنه لا طاقة
 له بهيات فاطمة الجائعة . وأنها ستجرقه بمدى ثم تسجبه بجورها الى
 القاع حيث لن يستطيع أن يطفئ على السطح مرة أخرى . ويستقر
 رأيه على الذهاب إلى قريته بمجرد أن يتسلم أوراقه من الكلية .

ينتظر محمود فائزة ببناء الكلية . ويلج د . سلطان قادما فيجبه ويقول د . سلطان « ه ... محمود المصنف ... مبروك ورقتك أحسن ورقة في المادة بتاعتي » .

— ده بفضل سيادتك .

— ناوى تعمل إيه بعد كده .

— ح أقدم فى الجمعية الزراعية نواحيننا .

ويزج د . سلطان غليونه وينفك دخانا كثيفا ثم يقول بلهجة المستاء « أنا رشحتك معيد عندى بالقسم والعميد وافق . إيه رأيك ؟ »

— أشكرك يا دكتور بس أهلى عاوزينى .

— أظنك ح تحكى موضوع الفول تانى .

— تقريبا .

— وتفكر إنك ح تقدر تعمل حاجة لوحدهك .. فين أرض

التجارب ؟ فين المعامل ؟

ويقف محمود مترددا وحاراً لا يدري كيف يجيب . وعند ما يرى د . سلطان حالته يحسم الأمر « قدم طلبك لمسجل الكلية وقول له إنى موافق .. وأشوفك أن شاء الله فى العام القادم ومبروك » ويذهب د . سلطان تاركا محمودا فى حيرة شديدة لا يشمره بما حوله حتى تقترب منه فائزة وتسأله « مالك يا محمود واقف كده ليه » .

فيضعك ضحكك جوفاء « أبدأ .. أبدأ .. منيش حاجة » .

— ده إنت ما دريتش بي لما وقفت جنبك .. لازم فيه حاجة .

- أصل الدكتور سلطان قال إنه مرشحني معيد عنده .
- صحيح ؟ مبروك . . . دى حاجه جميله .
- بس أنا مختار مش عارف أعمل إيه . أوافق ولا لا ؟
- طبعا لازم توافق . . . والا عاوز تشتغل فى بلدكم ؟
- أصلك بعيدة عن الأرياف وما تعرفيش حاجة عنها .
- كان مش معقول نرفض وظيفة معيد وإذا كان على أهلك ساعدهم
- بأى طريقة ثانية .

- المساعدة إني أكون قريب منهم وأحل مشا كلمهم .
- لبقى سافر كل أسبوع .
- مش كمايه أنا لو جنبهم أضمن إن أخوى صابر واسماعيل يتعلموا
- ألفاية الجامعة ، وأضمن أن أبوى ياخذ حقه من الجمعية الزراعية ،
- والعيان منهم يلاقى مرير فى المستشفى ، وأبوى يقدر يشتري الكسب
- بالسميرة ويربى بهايه ويكسب قرشين يعيش الناس إلى حواليه .
- لكن الإهتمامات دى تخليك تسيب فرصة ومستقبل كبير ؟
- مستقبل وراحتي مع أهلى .
- والفول غذاء الملايين ؟
- لما أكون قريب منهم أقدر أساعدهم شوية فى الفول .
- لازم تكون ضمن جهاز على يقدر يساعدك بنجبرته .
- لوحدهك مستحيل .

- نفس الكلام ده قاله الدكتور سلطان .
- قدم الطلب أولا . . . وبمدين فكر على مهلك .
- ما يضرض برضه .

ويذهبان إلى المسجل . فائزة لإستلام أوراقها ومحمود ليحرر طلبا
لوظيفة هعيد . ويسأل المسجل والآمنة فائزة جاءت تقدير جيد جداً ..
يمكن تعيين معيدة ؟

المسجل — ما أظنش .. لكن المركز القومى للبحوث يقبل
التقدير ده .

ويتحركان إلى المركز القومى للبحوث وتسال فائزة الموظف المختص
« ح تعينوا احد من المهندسين الزراعيين السنة دى ؟ »
— إحنا طالبين فى الميزانية الجديدة ويا عالم ؟

— طيب تعرف إزاي ؟

— شوف بقى ياستى ... عندك شهرين لما توصلنا الميزانية وخدى
شهر لإعلان فى الجرايد وعليهم ثلاثة أربعة لإجراءات لجان وخلافه .
— يعنى أسأل بعد شهرين ... ثلاثة .

— على الأقل

وفى طريق العودة يسألها محمود « ح تعمل إيه لنهاية ما تظهروا وظائف
المركز . »

— ح أعمل إيه يعنى ... أشقتل مريكو وأتفرج على التلفزيون .
— عمروما الراحة مفيدة حالياً .

— وانت ح تسافر ولا ح تقعد يومين ؟
ويتذكر محمود موقفه من فاطمة فيقول متلعثما « لازم ... لازم
أسافر على طول » .

— وليه السرعة دى ؟

— فيه شوية اشكالات . . . في البلد .
 — وأنا يمكن أمضى الصيف في اسكندرية .
 — وبعد الصيف ؟
 — يحى الحريف .
 — بتهربى كالعادة .
 — أنا الى بأهرب وإلا أنت . . . الى مش قادر تستنى يومين
 لغاية ما أسافر اسكندرية .
 — وإيه فائدة إني أقعد من غير ما أشوفك .
 — ومين قال كده ؟
 — مش ده كلامك المرة الى فاتت .
 — الظروف اتغيرت .
 — إزاي ؟
 — فيه محاضرات في نقابة المهندسين الزراعيين . . . تقدر تسمعها
 سوى .

— وهى دى الظروف الى اتغيرت ؟
 — ولو ما كانش فيه محاضرات . . . كان مستحيل أقابلك .
 — تبقى تعرف أنا فين وتيجى .
 — وأعرف إزاي ؟
 — بأى طريقة .
 — أضرب رمل يعنى ؟
 وتضيق فائزة بهذا الجدل العقيم فتصيح غاضبة « المفروض إنك
 تدور على . . . وتيجى لغاية عندى فى مكانى ،

— وهو أنا أعرف وما جئت .

— تعرفه وسبق جيته .

— وكان جيته .

— أيوه . . . إنت اللى مش عاوز تفهم . . . عن إذلك

أنا ماشيه .

وتركة وديب خطراتها يعلن مقدار غضبها وغيظها لجهله أو لتجاهله .

يذهل محمود لهذه الثورة المفاجأة . ويسترجع كلماتها وأخيراً يدرك أنها

تعنى أن يذهب إليها في منزلها . وعندما يدرك هذه الخلاصة يجرى خلفها

ليلاحق بها . لكنها تكون قد ذهبت واختفت في إحدى عربات

الأتوبيس .

— ٢٩ —

يحمل مختار إلى أبيه مفروفاً وجده تحت الباب . يقرأه عم عبد الله

بصوت مسموع وقد أخاطت به زوجته وفاطمة « لأسباب عاجلة

تعجلت العودة إلى بلدتي دون أن أستطيع إخطارك بنفسي . وإني أشكركم

كثيراً خاصة فاطمة . ومهما قلت فلن أستطع الوفاء فقد أشعرتوني بأني

واحد منكم . تمنياتي لكم بالسعادة حق لقاء قريب » .

سنية — لقاء ؟ . . . لقاء إليه تاني ؟ . . . وحده يعمل كده ؟

وتهرع فاطمة إلى غرفتها شاحبة الوجه مصدومة العاطفة خائبة الرجاء .

وتلحق بها أمها في غضب شديد وتردف « مش قلت لك ونصحتك

ما تجريش وراءه »

—

— ده ذى ابن عمه عجينة واحدة .

—

— حد يسافر سكىتى كده من غير ما يسلم ؟

—

— ياما نصفى وغسلتى وطبختى .

—

— عمل لك ليه ده كله ؟

—

— الملى ما تمر ولا نفع .

وتهب فاطمة فجأة ترتدى ملابسها استعدادا للخروج . وتسالها الام

« رايحه فين كده ؟ ... مش سفلانة السجاد والمصنع خلعت ؟ »

— أيوه ... بس النجار ممطل النولين عنده وكان أشوف بنتين

علشان ابتدى .

وفى الاسكندرية يشور جدل بين فائزة وأسرتها .

فهمى — واشمعى يعنى المركز القومى ؟

فائزة — فيه أبحاث واستقرار ومجال علمى مفتوح .

فهمى — يعنى تقعدى كده على فيض الكريم ... ويا ترى ؟

فائزة — وعاوزنى أعمل ليه ؟

فهمى — تشتغلى فى أى وظيفة ... مش لازم المركز القومى .

فايزة — أنا مصممة على المركز القومى .
الآب — أنا عندى فكرة .. تشوفى وظيفة مؤقتة لغاية ما تبان
حكاية المركز .
فهى — وأنا مشتعلة أخلق لها وظيفة فى أى شركة هنا .
فايزة — أنا عاوزة أشتغل فى مصر .
الآب — دورى فى مصر ... وفهى فى اسكندرية واللى تظهر
الأول اشتغلى فيها لغاية ما يبان موضوع المركز القومى .
فايزة — معقول برضه .

وفى القسربة يصبح نجاح محمود الحبر الأول وتدوى الوعاريه
ويوزع الماء المحلى بالسكر ويفرح الآب بإبنه ، تكاد الدنيا لا تقسع
لفرحه .. إلا أنه عندما يلحظ سكوت ابنه ووجوهه يسأله : مالك
يا بنى ... زعلان ؟

— أيدا ... مفيش زعل ولا حاجة .
— أنا أبوك وعارفك ... بالك مشغول .. إتكلم ... اتحدث
— دى حكاية صغيرة ... مش مهمة .
— صغيرة ولا كبيرة لازم تهولها .
— الاستاذ بناعى فى الكلية طلبنى أشتغل معاه .
— يعنى تبجى خوجه ذيه ؟
— أيوه .
— ودى حاجة تخيبها ... ده شئ بسيط ويفرح .

- أنا لازم أبقي جنبك . . . انت كبرت ولازم ترتاح .
 — آنى تافى عنك .
 — إانت يا بابا عملت اللى عليك . . . وجه دورى أريحك .
 — آنى لازم اشتغل ولازم أنزل الغيط كل يوم . . . دى حاجة بحت
 فى دى . . . ومن غيرها يمكن أموت .
 — يا بابا وجودى معاك ينفعك خصوصاً فى الفول .
 — إياك عاوز تجرب علامك حدادى ؟
 — وفيها إيه ؟
 — يفتح الله . . . أنا مش حمل تجارب حد .
 — ما تخافش يا بابا .
 — بصراحه يا بنى أنا مش عاوزك تجمعد فى الكفر هنا .
 — ليه عامل خاطر للشبع خليل والحنافة اللى حصلت ؟
 — وتفكر أبوك يخاف من حد ؟
 — أمالى مش عاوزنى هنا ليه ؟
 — لو جمعت هنا تنزل الأرض وتعشجها ذى وما تجدرش
 تسبها .
 — وفيها إيه ؟
 — انت عارف إن اخواتك واجواز إخواتك ناظرين للأرض
 جوى لأنها حياتهم وعيشتهم . وأنا سبج وجلت لك زمان اللى يتوظف
 ما يتلفتش نواحي الأرض وانت والجت . . . وألا ناسي ؟
 ويصمت محمود لحظة يتمعن فى كلام أبيه الذى يريد أن يبتعد عن

الأرض تجنباً لصراع قد ينشب بين الأشقاء والشقيقات بسببها . إن القضية وعناصرها تتكرر أمام عينيه كما حدثت بين أهل القرية . تكاد الآن أن تقتحم محيط الأسرة .

ويزراعه وقد استوعب قول أبيه ويردف « أمرك يا بابا . »
ويضحك الأب داعياً لابنه « الله يفتح عليك يا بني »

— يعني لو سافرت مش ح تشتكى من حاجة .
— آنى عمرى ما اشتكى ... لكن حاجة واحدة هى اللى تعبانى .
— ليه هى ؟

— البرد والفرل .
— ربنا يقدرنى وأساعدك .
— وعد يا بني ا
— وعد يا بابا
— روح ... والله شهيدك .

الجزء الثانى

الفصل السادس

بين المدرسة والكلية والمثفل

— ٣٠ —

يعثر فهمى لشقيقته على وظيفة إذ يتفق مع الأستاذ بهجت صادق صاحب مدارس محرم بك الخاصة للبنات على تعيينها فيها . وتقبل فائزة ذلك للعمل بصفة مؤقتة ولا يصرفها ذلك عن أهلها في المركز القومى للبحوث . ويقودها الساعى إلى غرفة الناظرة . تدخل حجرة متوسطة جلست فيها سيدة فى الحلقة الخامسة من العمر تميل إلى البدانة وتضع على عينيها نظارة سميكه . وتلقى بتلميحات إلى المدرسات والمدرسين ويقطع دخول فائزة حديثها ، فتتظسر إليها شذراً . وتقول فائزة بصوت متردد « أنا فائزة ... جايه علشان أشتغل مدرسة هنا » .

— معنديش وظائف فاضية .

وتميل سيدة مجاورة إلى الناظرة وتهمس لها « دى اللي كلك عنها صادق بك » . وفى الحال تتبدل لهجة الناظرة وتعبيرات وجهها فتحل الإبتسامة محل الضجر وتقول « مش تقولى يا حبيبتي إن صادق بك باعتك ؟ ... إنفضى أفعدى معانا ده أول إجتماع بنعمله علشان العام الدراسى الجديد » وتجلس فائزة وتستأنف الناظرة « ذى ما قلت إحنا لازم نستفيد من الكتب اللي عندنا من العام الدراسى الماضى » مدرس — ما ينفعش ... الماسح إنغيرت

الناظرة — لطبع التعديلات على ورقه (الاستنسل) وتوزع مع الكتاب .

مدرس آخر — مادة الحساب زاد عليها حاجات كثيرة للصف الثاني ومشحون الطريقة دى .

الناظرة — زاد نقص عاوزنا نرى الكتب اللى فى المخزن ؟
وتدخل إلى الاجتماع إحدى المشرفات وتبلغ الناظرة « أنا مررت على الفصول وعديت الإجازة المكسر والتخت اللى لازمها تصليح »
وتقدم ورقة وهى تردف « وأدى البيان » .
وتقرأ الناظرة ثم تسأل الوكيله الجالسه إلى جوارها « إحنا مش جمعنا فى آخر السنة اللى هات عشرين قرش من كل بنت فمن تصليح الحاجات دى » .

الوكيلة — أيوه

الناظرة — المبلغ كام كله ؟

الوكيلة — ٧٦ جنيه ، ٤٠٠ مليم

الناظرة — أظنه يقضى التصليح

الوكيلة — صادق بك استلم المبلغ كله

الناظرة — آه ... طيب نكمل . وبالنسبة للنشاط المدرسى كل بنت لازم تدفع خمسين قرش للمكتبة وجنيه للنشاط الرياضى .

مدرسة — والموسيقى ؟

مدرسة أخرى — والفلاحة والزراعة ؟

الناظرة — لازم تعرفوا إن النشاط بيكلف كثير وصاحق بك اشتكى من الحكاية دى .

وتتابع فائزة هذه المناقشات بدهشة بالغة في هذه التجربة الجديدة
حتى ينفض الاجتماع وتستبقها الناظرة « فائزة أنا هوزاكي »
وتقترب فائزه إلى تلك الكتلة البشرية التي تقول « أنتي تدرسي
علوم الصف الثالث الاعدادي وكان إختارتك المشرقة عليها »
— حاضر .

— ح تتعبي شوية لكن انتي لسه صغيره .
وتبدأ الدراسة وتواجه فائزة التليذات لأول مرة . الفصل
مكتظ بهن يزيد عددهن عن خمسين فتاة كبيرات الحجم والسن إلا
قله بسيطة . جريئات كثيرات الحركة والغمز واللمز ، عشن خليع
وجدهن قليل .

تتهز فائزة عدم صرف الكتب فتسأل كل طالبة عن اسمها .
وتقف واحدة « عاسن توفيق »

صوت من الصفوف الخلفية — عاسن شفروليه

ويضع الفضل بالضمك والصخب ويظهر الامتعاض على فائزه
وتسأل « البنت التي اتكلمت دلوقتي تقف »

ولا يقف أحد بل يتبادلن نظرات عابثة لاهية . تكرر فائزه
السؤال « التي اتكلمت طبعا خايفه من العقاب لكن أوعدها بانى
مش ح أعمل أى حاجه لها ، ولا تجمد استجابة لطلبها . فتستمر الفتاة
في قولها « والدى متوفى . . . أسكن بالشاطي
أصوات عديدة « فى الأنفوشى يا أبله »

وتلتفت الفتاة إلى زميلاتها وقد أخرجت لسانها لمن قاطلة « مش
أحسن من غيط العنب »

وتصيح فايژه بأعلى صرر « بس ولا كلة ... أقعدى يا حمان »
ويهدأ لتفصل قليلا وتتجول فايژه بين الصفوف والمقاعد تدق النظر
فيهن فى محاولة لاستكشاف الفاعلة ، دون جدوى . ولا ينقذ فايژه
من هذا الجمجم إلا دقات الجرس .

وتستمر المناوشات بين فايژه والطالبات . وتتهدى إلى فكرة جديدة
لتغلب بها على مشاكساتهن . تقسمهن إلى قسمين . الراغبسات فى
التعليم تجلسهن فى الصفوف الأولى . والباقى تخصص لهن
الصفوف الأخيرة . وتبنى فكرتها هذه على أساس إعطاء التعليم لمن
تستحقه منهن ، إلا أن ذلك يكتل مجموعة كبيرة ضدها .

ويحدث أن تنهر إحداهن على إهمالها فى التحصيل « لانتى فاكرة ننسك
صغيرة .. عندك كام سنة ؟ »

الفتاة — سيمناشر

فايژه — هارزه تسقطى ثاتى ؟

الفتاة — وأنجح ليه ؟

فايژه — أعال جايه المدرسة ليه ؟

الفتاة — علشان أبعد عن البيت .. ما حدش علوزنى .

وتقترب فايژه من الفتاة وترمقها بإيمان لا تعرف كيف تتصرف
إزاء هذه اللامبالاة . ويتراخى بهر الفتاة فى حزن يحرك قلب فايژه
فتضع يدها على كتفها فى عاطفة مواسيه وتقول « لكن أنا
عوزاكى تنجى »

ويتساقط الدمع من الفتاة ويخرج منها لشيجا مقهورا تميسا يمس
شفاف القلب . وتنتج فايژه بها إلى النافذة حيث الهواء ، تنمشا به

وتربت عليها في حنان « طيب أسكتي بقى ... اسكتي » لكن الفتاة ازداد بكاء ويعلمون نحيبها . تتأثر فائزة بالفتاة وتفرورق عينها فتخرج منديلها تمسحها به وقد أولت الفصل ظهرها ثم تقدمه للفتاة لتزيل به دموعها . ويطبق على الطالبات صمت لهذه الاستجابة الانسانية التي جمعت زميلتين . بتلك المدرسة الصغيرة . وتخرج فائزة مشغلا من حقيبتها تعطيه للعناية وتقول لها « روحى مسرحى شعرك ... شعرك حلو . ليه دائما ناكشاه ؟ »

وتعود الفتاة أكثر انشراحا والابتسامة على وجهها وتحاول أن تميد المشط إلى فائزه التي ترفضه وتقول « خليه . هدية منى عاشان مسرحى شعرك دائما »
— مرمى يا أبلة .

ويذوب الجليد بين فائزة والطالبات . وتذكر فائزة أن التعليم ليس هو التحصيل وحشد الرؤى بالعلوم والنظريات . التعليم هو الحب أو بمعنى آخر غرس الحب والعطف في نفوس النشء .

ويترسب في عقلها أن أشد الفتيات مشاكسة من أحوجهن إلى الحنان وأنها تستطيع أن تحولن بالحنان والرعاية إلى فتيات لمن طموح وأمل

وتستحدث فائزة عادة جديدة . هي اصطحاب فتاة منهن ، بعد انتهاء الدراسة ، في طريق الذهاب والعودة من وإلى المدرسة . وتنشئ بذلك علاقة جديدة . وتزداد معرفة بهن وبمشاكلهن . وتتنافس الفتيات على تلك الرفقة . وتصبح فائزة مدرستهن المفضلة المحببة ويعرن أكثر

طواعيه . ويكفي أن تبس لإحداها أو تمنأضبها لنظف الفئاة آسفة
حزينة حتى تبس لها فائزة أو تقبل عذرها .

وتأجاً فائزة بإحدى طالباتها تقدم لها علية بها لأنى عشر مشطاً
وتسألها فائزة « وليه ده ياهدى ؟ »

— علشان حضرتك توزعها علينا ذى ما إدينى سلوى .

— ومش كثير تشتري كل ده .

— أنا ما اشتريتش ... أنا خدتهم من الدكان .

— دكان مين ؟

— دكان عمى .

— وهو عارف ؟

وتهدى رأسها فى إرتباك أنفيا فتقول فائزة « وفتكرى إنى أرضى
لكى بحاجة ذى كده ... لازم ترجعهم تانى . »

وتفزع الفتاة وترد وهى تسكاد تبكى « والنبي يا أبلة بلاش ...
أحسن عمى يموتنى . »

— طيب أنا أودهم .

— مش ممكن ... ح يضربنى ... ويمنعنى عن المدرسة .

— طيب إبقى النهاردة تروحي معاى .

وفى الطريق بين عزم بك إلى عطة الرمل تحدث فائزة طالبها هدى

« وليه عملى كده ؟ »

— عمى ده مش عمى ولا أعرفه .

— يعنى إيه ؟

— عمى ده جوز أمى ... بأكرهه ... عاوزة أموته ...

بيضربنى ويشتمنى .

— وما منك ؟

— أمى غلبانة مش قادرة تعمل حاجة .

وتتوقف الفتاة فى الطريق وقد اكسى وجهها ذعرا « حضرتك

موديانى فين ... ؟ »

— لازم نرجع الامشاط .

— (فى رعب) مش ممكن أرجع ... أنا أروح أى حته ...

أمى فى الشوارع أحسن

وتستمر فى التراجع باكية ناحبة « لا يمكن أروح عنده ... لا يمكن »

وتؤخذ فائزة بذية الفتاة وتصميمها . وتخشى أن تفلت منها فلا

تسجدها إطلاقا وتصبح مسئولة عنها . وتحاول ان تهدى الفتاة

فتقول لها « تفكركى يا مدى أنا عاوزة آخذك له .. لانتى عارفة لنى

باحبك حتى وآخر جواب بعتيه لى شايلاه معاى فى الشنطة » .

وتبزع وسط دموعها لبسامة عندما ترى ورقة تلوح بها فائزة

وهى تقول لها « اهر جوابك ... تعالى شوفيه » .

وتمسح الفتاة دموعها بيدها وتقرب من مدرستها التى تسجها من

يدها وتسير بها وتساأل الفتاة « فين الجواب » .

— تعالى الأولى نشرب حاجة صافعة .

وبين رشقات الليمون المثلج تسأل فائزة « ليه الفصل مسمى عاسن

شفرولىه ؟ »

— أخلاقها وحشة وبتركب العربيات .

— عاوزانى أقول عليكى وحشة ؟

— (بانزعاج) لا يا أبه .. ده أنا باحبك قوى .
— يبقى ترجع الإمشاط من غير ما عملك يحس .
— مش معقول ... جيعرف .
— لا ... أنا ح اشترى منه أى حاجة ... وألحظه خالص لغاية
ما تحطى الإمشاط فى مكانها .

— ولو شافنى ؟
— مستحيل .. أنا ح كله وألحظه عنك لغاية ما ترجعهم .
ويتم لها الأمر كما رسمناه ودبرناه . وعند ما تودع هدى مدرستها
تظل تمسك بيدها بين راحتيها كأنها تمسك بأمل كبير فى حياتها .
وهكذا تتوغل العلاقة بين فاييزة وفتياتها بل وتحرر هى نفسها
عاطفيا وتمارس هذا التحرر عمليا . تمنح الفتيات الحنان فتتال منهن الحب
وتبهن العطف فتحصل على الوفاء . وتتكشف خصالها الانشوية الرقيقة .
ويذهب عنها ذلك الغلاف الجاف الذى كان يحيط بها وبسلوكها .
ويتغير منورها عن العلاقات الإنسانية وتنصهر فى بوتقة التجربة
البشرية .

إلا أن هذه الإيدفاعة نحو الفتيات لم تنسها أمرين ، المركز القومى
للبحوث ومحمود . فكثيراً ما تخلوا بنفسها تفكر وتخشى أن تضيق بين
هذه التعاطفات اليومية فتلها عن غدها ، أو يحرفها واقعها وعن أملاها ؛
تخاف أن تمتد ذلك الأسلوب من العلاقات مع الفتيات الصغيرات ،
ويصبحن الرحيق الذى تستمد منه حياتها ويقل حماسها ويفتر طنوحها
رويدا رويدا إلى أن تراجع كلية وبالتالي تعيش كزهرة عباد الشمس تفتح
مع بزوغ الشمس ثم تدور متعلقة بها حتى إذا أفلت إنكشفت إلى

أن يأتى نهار جديد . وهكذا تمضى حياتها يوما بيوم . هذا ما كانت
تخشاه وهذا ما كان يؤرقها ويسلبها النوم ليالى طويلة .

— ٣١ —

تودع الأسرة محمدا كالم تودعه من قبل . إنه يفادرم لأول
مره وهو ذو وظيفة ومركز مرموق . وهو لم يتغير في شيء . لكن
بمجرد حمله لقب مهندس أضفى عليه فى خيال القوم هالة من القوة
والرفعة . ارتقوا به درجة وزادوه احتراما . ويدير له أهله عن
صادق مشاعرهم بأسلوب ماذى نابع عن واقعيتهم فى فهم متطلبات
الحياة . فالأب يخرج له من حافظته عشرين جنيهًا ويعطيها له قائلا
« خذ ... الشيخ خليل يحذر يستق شويه »

أما الأم فتحمله زادا طيبا فى سله كبيرة بما اعتادت أن تزوده
به . حتى جدته العجوز عندما يجلس إلى جوارها يودعها تخرج من
صدرها منديلا باليا تفتحه وتستخلص منه عقدا ذهبيا تمنحه إياه
وهى تنلثم « الكر ... الكردان ده تقضى به ... ييه
مشاريفك (مصاريفك) »

يرافقه حتى الطريق الزراعى جمع غفير من الأسرة والاقارب
والأصدقاء يتصدمهم أبوه . يحملون عنه حقيبة والسله الكبيرة
حتى موقف العربة التى تاتى بعد فترة وجيزة . ويسود المهرج
والمرح وتعليل الصيحات وتوالى على محمود السلاطات ، ويفتحهم
العربة وهم من ورائه يدفعون بجأته إليه

وتتحرك العربة تلاحقه نحيباتهم ودعواتهم . وتمضى به إلى

القاهرة وهو بين مفرق بفيض العواطف التي أبدتها نحو أهله وأقاربه،
وبين تواق مشتاق للقاهرة وناس القاهرة، وبين وجل هياب لحياهه
القادمة وعمله الجديد .

ويصل إلى مـ نزله العتيد . ويصعد السطح ويصدم بصره
نولان منتصبان وأمامهما فتاتان تهملان وفاطمة تراقب وتشرف .
صورة جديدة . المكان نفس المكان . كان مرثيا لمواطف فاطمة
ثم أصبح مجال عملها ومحط طموحها .

ولتلتفت إليه فاطمة وتنظر إليه غير مصدقة عينها . وتبتسم ثم
تضحك ثم تدفع إليه تسلم عليه بقوة وتود أن تحتضنه لكنها تنظر
إلى الفتاتين في خجل لم يستطع أن يؤثر على فرحتها بعودته . وتقول
« حمد الله على السلامة . مصر نورت »

— الله يسلمك يا فاطمة .

وتماونه في حل بعض متاعه وتتقدمه إلى الغرفة ويتخففا من
أحاملها، وتقف أمامه وقد فاض وجهها بالبشر وتعقب « وحشيتي قوى »

— واتي كان ... شكلك اتغير خالص

تنظر إلى نفسها لتبين ما استجد عليها ثم تسأله « إيه اللى اتغير في ؟ »

— واتي واقفه مع البنين حسيت اذك بقيش حاجه تانيه .

— لازم أقف وأخد بالي من شغل البنات والال السجاد يخسر .

ويشرح محمود في تفريغ حقايبه وفاطمة تساعدو الحديث لا يتوقف
ويقول محمود « وعامله إيه في السجاد ؟ »

— عال، أول سجادتين ع النول وبعتهم والحمد لله ،

— دهي حاجه عظيمة ... ويتخلصي السجاده في كام يرم ؟

— في شهرين أخلص لثنتين .
 — وليه ما تعمليش معنا ف شعبية .
 — ما تنفمش معايا لأن الحكاية نولين . لازم أجيب مصاريفهم
 بالسجاد العالي .

— ده لانتى بقيت معلمة كبيرة .
 — وإنه اتوظفت وإلا لسه ؟
 — أيوه بقيت مدرس في الكلية .
 — (بفرحه) يعنى في مصر ... معانا على طول ؟
 — بس لازم أعزل .
 — (في إستكثار شديد) ليه بقينا مش قد المقام .
 — وتظنى في كده ... بس أنا بقيت مدرس بالجامعة ولازم أظهر
 بمظهر مناسب .

— يعنى طلعتا فوق جبتين .
 — لا فوق ولا تحت ... الوظيفة لها أحكامها .
 — وعاوز تسكن في شقة ولا في لوكاندة .
 — لا ده ... ولاده ... عاوز أوده مفروشة عند أى حد .
 — طيب سيب المسألة دى على .

ثم يخرج العقد الذهبي الذي أعطته له جدته ويقدمه إلى فاطمة
 « محرفي تشوفي بيعة كويسة السكردان ده » . تأخذه منه وتأمله ثم
 تضعه على صدرها ، وتلفت إلى المرأة . يسط نظره على صورتها بالمرآة ،
 ويتطلع إليها بشغف وأفتان . ولم يدرك أنها نفذت إلى أعماقه بصورتها
 الراضية الخلافة وتوقفه فاطمة من إستغراقه « ليه رأيك ؟ »

— جميل لا تفضل .

— مش ممكن .

— بس خليه عليكي شوية ... خليكي لابساء .

— مستعمل على بيمه .

— أصل لازمى شوية قصان وبدلة ... لازم أظهر كوينى قدام

الطلبة .

— لو تعبير شوية اشتغلك بتمنه سجادة وتكسب لك عشرين جنيه

— أنا ماليش فى مسألة التجارة ... ومحتاج لقمه .

— أنا بس حببت أخدمك .

— طول عمرك فيكى الخير .

وتنهض تغادره قائلة « لما أقوم بقى أشوف البنيتين » . ثم تمضى

تتموج وتنثنى بجسدها اللدن تشيره وتستفز شبابها . وعند ما تم بفاق

الباب تمشك بعينيه متلبسة ترنوان لإياها فى شوق . ويرتبك محمود خجلا

أو غيظا .

يذهب محمود إلى الكلية ويستقبله د . سلطان ويشكره على

اختياره معيدا بالقسم . ثم يتجه إلى سجل الكلية الذى يقدم له كشفا

طويلا بلاوراق والشهادات التى عليه أن يستخرجها من الوزارات

والمصالح . ويمانى محمود من هذه المهمة . يتردد على المكاتب كثيرا

ويعرف الدمغات المقررة على كل ورقة ويلم بالتوقيعات والأختام التى

يجب أن تذيّل كل شهادة ويتعلم الجمالة والملاينة والاستطراف ليسر

مهمته . ويشتري علبه سجائر من النزع الفاخر المستورد ليفتح بها

الطريق أمام أوراقه التي نسيت أو أنسيت أو ليتعجل توقيما عليها .
تعلم وتمرس كثيراً حتى أنجز أوراقه .

وخلال ذلك تكون فاطمة قد دثرت على سكن جديد له . وما كان
سعيها إلا لغرض في نفسها ، ليبقى على مقربة منها وعلى صلة بها وتغبره بأمر
الغرفة الجديدة ويسألها « مين صاحب الشقة دي ؟ »

— ألسن نازك فريد .

— متجورة وإلا بتشغل ؟

— كانت ممثلة من زمان . وعابشة لوحدها .

— وهو زاني أسكن عند ممثلة ؟

— دي ست عجوزة ووحداينة .. مالهاش حد .

— يعني طمنهاها .

— تعالى اتفرج وإن ما عجبتكش تشوف غيرها .

ويكون يوم انتقال محمود من منزله القديم إلى سكنه الجديد يوماً
عصياً . فرغم إقتناعه بضرورة ذلك إلا أنه يشعر أنه يودع جزءاً من
عمره . وتتضارب في نفسه الانفعالات وهو يحزم حاجياته ، وتنتاب فاطمة
لوعة شديدة تمسك يديها أن تمتد لتهد أو تنقل أى قطعة مما في الغرفة .
ويتساقط الدمع من عينيها ويسمع محمود نسيجهما فيتجه نحوها قائلاً ومش
كده يا فاطمه ... كفاية ... انتي بتخليني أحسن إني مجرم .

— ده شيء لازم يحصل .

— أنا برضه ح أكون جنبك .. بينى وبينك . عشر دقائق مشى .

— العشر دقائق دول على نالي ذى عشر ساعات . كنت بأسمعك في

في الرايحة والجايه . كنت مونس حياتي وعايهه بك .

- طيب بلاش أعزل .
- وده معقول ... لازم أنعمل وأتعود .
- وتبقى تيجى تطللى على برضه .
- وانت كيان لازم تيجى وتسال .
- وهى العشرة تهن؟

وتمسكون لحظات الوداع ملتبهه . تماسك الأيدي وتلاقى العيون وتلوذ فاطمة بصدرة وتلفعه بأنفاسها فيتنبه إلى المنزلق القريب ، فيقطع ذلك الاسرسل العاطفى ويدعوها لمساعدته فى الحزم والربط وإعداد أمتعة النفل .

يحدد د. سلطان محمود عمله الجديد فى المعمل والمحاضرات . يتهيب محمود الأمر ، ويحرص على أن يستمع لمحاضرات الاساتذة خاصة د. سلطان . ويتابع المعيدىن القدامى فى المعمل . يراقبهم ويكتسب بعضا من خبراتهم بل ويصاحب المحضرين ايشعرف منهم على الاجهزة والادوات الموجودة بالمعمل . ينمى خبرته بكل الوسائل ريتلص طريقه فى هذه البيئة الجديدة كما يتلص الفلاح الخطوط فى حقله بهجر ومثابة .

وفى أول لقاء له مع الطلبة لاحظ ميلهم إلى الممازحه أو إثارة الاسئلة الجانبيه والخروج عن موضوع الدرس ، لكنه ينجح فى تجنب هذه الاعاييب الطلابية ، ويتمسك فى شرحه بالموضوع يساعد فى ذلك حسن إعداده له . ويتغلب فى الطلبة جديده العلم على الميل للممازحه . ينتهى اللقاء الأول وهو راضى عن نفسه وقد أزاح عنه وهما كبيراً كان يؤرقه .

وعندما يأوى إلى سكنه الجديد يقابل المرأة المعجوز ويرى فيها شيئا

جديداً مثيراً ألا وهو شغفها وتعلقها بالمسرح . تحدثه عن التمثيل حديث الفنانة ، وتحكى له عن أجادها السابقة . وهو يجد في حديثها متعة ذهنية تكشف له عن جوانب جميلة في الحياة لم يسبق له بها عهد ، بل وتدفعه لمشاهدة بعض المسرحيات وتحمله ليزور بعض المعارض الفنية والمتاحف وهكذا يكنسب ثقافة جديدة وخبرة جديدة .

— ٣٢ —

إذا كان انتقال محمود إلى سكته الجديد قد أصاب فاطمه في موجد فقد فرغها ذلك لعملها . استملاك فيه وقتها الذي كانت تخصصه لمحمود ترى الفنانين وتلاحظهما . وتطابق الذبيح على الرسم المصمم لها . وتنحص المقد وتكتشف الخطأ . وتقع عنها على انكسارات في خطوط إحدى السجادين . فتصيح في الفتاة « انتى مش تخلى بالك .. هاتى الشنكل » وتناولها الفتاة شنكلا حديديا صغيرا . تمسكه فاطمه وتنزع به المقد المعبية واحده تلوا الاخرى ثم تبدأ فى عقد أخرى بالطريقة الصحيحة . تطلب المقص ، وتمسك ب سطح المقد الجديدة وتمرر يدها على السجادة وكأنها تحنو على وليدها ثم تقول « تعالى يا بت كملى ... وفتحى عينكى »

وكثيرا ما تبقى بعد انصراف الفنانين لتعمل وحدها خاصة عندما يحافياها النوم أو يسودها الفكر . تنفض أن تقف أمام النول تعمل وتكد من أن تستسلم للأرق والقلق . وأحيانا تصعد إليها أمها وتقول « مش كفاية شغل ؟ .. من الصبح ولانق فى الهم ده »

- أخلص ده وأحملك .
- أنا قاعده معاكي لغاية ما تنزلى معاى وتتعشى .
- فول برضه ؟
- هو فيه غيره .
- بكره يامه أوكلك باسطرمة وجبنة رومى وجاتوه كمان .
- فى بيتك إن شاء الله .
- أنا يا أم مش ح اتجوز إلا لما أقف على رجلى ويبقى تشدى
- مصنع صغير .
- ساعتها يفوتك قطر المرسا .
- طيب إيه رأيك فى السجادةين دول ؟
- فشر الحاج صديق وشغله .
- عارفه يا أم أنا ناوريه آخذ أوده السطح وأحط فيها النولين
- وأشغل أربع بنات كل اثنين ورديه .
- ولازمته إيه المصاريفدى ؟
- أبداً . . . ده أنا فى الحالةدى أخلص سجادة كل خمسة أشهر يوم .
- بس خايفه عليكى تعمى .
- يبقى حد من اخواتى يطلع شويه يساعدنى .
- وليه ما يطلعش أبوكى بدل ما هو قاعد ع القهوة ؟
- ويت لفاطمة ما أرادت وتستأجر الغرفة وتزيد عدد العاملات إلى أربعة ويردد ربحها . تستثمر بعضه فى تشغيل نولاً ثالثاً فى مصنع الحاج صديق لحسابها والباقي تدخره أو تساعد به أباهما لإعالة الأسرة الكبيرة

ومزداد سيطرتها على أخوتها بعد أن اعتادوا الجوء إليها لقضاء مطالبهم، بل وتغيرت علاقة أمها بها ، فأصبحت أقرب إلى الصداقة والندية .

ولم تلبث تلك الإنيما كانت عن محمود . فهي من حين لآخر تزوره وقد يسعددها الحظ فتلقاه . وإذا جلست تجده مستغرقا في حديث مع المرأة المعجوز عن التمثيل والمرح وشتون الحياة . ولا تستسيغ فاطمة تلك الأحاديث لأنها تحرمها من الأفراد به . لكنها مع الإصغاء والإنصات تتعلم وتستوعب وتلتقط كلمة من هنا وعبرة من هناك . وتشجع وتدلى بدلوها فرة تصيب وأخرى تخطيء . وتلاحظ المرأة المعجوز ذلك الإهتمام فتجذبها إليها ، وتوثق علاقتها بها وترتاح فاطمة لما وتسألها المعجوز : بتحبيه يا فاطمه ؟

— قوي يا خالة نازك . . ومهذبني .

— وهو يلاقى زيك ؟

— أنا خايفة تسكون واحد شغلاه عنى .

— الرك على الجبال والخفسه بس . . . لازمك شوية شياكة

ولأكسوار .

— أنا قدامك آهو . . . واللى تقوله ح عمله .

— ليكى على أدورك وأهندهك لما أخليه يحفى وراكى .

— (بفرحة) بالذمة يا خاله نازك ؟ . . . ولكى الحلاوة .

ولا تأل المعجوز جهداً في تعليم فاطمة فنون السحر والجمال ، وحنكة الكلام ، وإطلاق اللسان ، ومعاملة الرجال . توجهها إلى المظهر الأنيق والمسلك الرقيق وتنفهم فاطمة كل ما يقال . وتتطور وتنشكّل إلى صورة

جديدة أقرب الى سيدة مهذبة منها إلى فتاة غضة طموحة :
لا يشعر محمود بهذا التغير في لغائه القليلة بها . فهو قد وسخت في
ذهنه بصورة محددة وسكنت خياله بمعالم ثابتة . وأصبح لا يرى غير
ما بطن في عقله ، وكان على عينيه غشاوة الماضي تحجب عنه الحاضر
المتغير .

وتدعوه العجوز إلى عيد ميلادها وتوصيه « أوعى تأخر عن خمسة
أنا عازمه ناس قرايبي .. ما تسكسفنيش مهمام . »
— حاضره .

وفي الموعد المحدد يدخل محمود ومعه عابدة صغيرة هديته إلى العجوز .
يقدمها لها قائلا « عقبال ميت سنة . »
— في حياتك يا بنى .

ويلمح في غرفتها سيدة أنيقة جالسة وقد أوائته ظهرها ويسألها محمود
بالإشارة عنها . فتجيبه « إيه مش عارفها ؟ .. وهز محمود رأسه نفياً .
وتقول العجوز « بص كويس وأنت تعرفها »

ويحذرهما محمود بأصبعه ألا ترفع صوتها فتخرجها . لكن العجوز تدفعه
إلى غرفتها حيث أعدت مائدة الشاي . ويقرب محمود من السيدة يسترق
النظر وفجأة يفتح فيه دهشة وذهولاً قائلا « فاطمه ؟ .. مش معقول »
وتقف فاطمه متراشقة والعجوز من الخلف تشير لها ألا تقف وأن تبادله
التحية وهي جالسة . هكذا عادت سلوك سيدات المجتمع . لكن فاطمة
لا تستطيع أن تتخلى عن طبيعتها أو أن تكبت عواطفها وانفعالاتها .

وتفرح فاطمة لدهشة محمود وتناول له يدا رخصة فاعمة تقلم عليه .

ويظل محمود ممسكا بها يتأملها بإمعان شديد. يبحث فيها عن فاطمة البسيطة التي عاينها سنوات طويلة . ويتذكر آخر صورة لها عندما تزينت بعقد جدته (الكردان) كانت لحفلتها قريبة من قلبه . أحس بها وكأنها أخته أو قريبته أو جارته أو إحدى قتيات قرنته . إنسان أليفة له . أما تلك التي أمامه فهي شيء آخر لا عهد له بها . وأخيراً يمسك كتفها بيديه ويقول لها « إلهي إلى عملتيه ده ؟ ... إني مش فاطمة » ثم يهزها بشدة « إني مجنونة وسعق كلام الولية المجنونة دي »

ويجلس إلى الكرسي والعرق يتساقط من وجهه . وتبتلع فاطمة صدمتها وتهدأ . وتفكر وتفهم سر غضبه وتقبل ثورته . إنه يريد ما كان هي وكما عرفها . وترتاح لهذا الخطأ بل وينشرح صدرها لمجرد أن صورتها هالقه بذمته . لا يرغب تغييرها . وتبسم وتقترب منه وتمتص رأسه في صدرها وتقول له هامة وأنا غلطانة ... سامحنى ... كنت فأكراك عاوزنى أبقي ذى البنات اللى ممالك فى الكلية لكن خلاص يا حييى ... خ أفضل ذى ما أنا ... فاطمة اللى عرفتها من زمان »

ثم تركه لحظة وتعود وقد أزالى زينتها وأرسلت شعرها وخلعت حلها . عادت إليه كما اعتاد أن يراها . وتسرع إليه فى أذنه ذى ما انت عاوزنى ح أكون لك على طول .

ويرفع بصره إليها وهم باحتوائها لكن المعجوز الواقعة — تنظر إليه شذرا وقد غاظها ضياع جهدها — تذهب بصوته وتمجد عواطفه .

الفصل السابع

فاق جديدة

— ٣٣ —

يجلس محمود في مكتب د . سلطان ينتظره . ويصل يتابعه كالمتتبع
جميع من الطلبة والطالبات في حوار وحديث وتعليق أثناء سيره حتى يجلس
إلى مكتبه . وبمباراة بسيطة يوجهها لهم ينصرفون .

ويبدأ محمود الحديث « أنا جيت حسب الميعاد » .

— فكرت في حاجة علشان الما جستير بتاعتك .

— أنا عندي فكرة من زمان .

— ح تكلمني عن الفول ... طبعاً .

— أصله التزام بيني وبين أهلي .

— وانت عاوز تبحث فيه إيه ؟

— أبحث أمراضه في مرحلة التزهير .

— الموضوع جميل وراقي لكنه واسع قوى وعاوز تجارب كثيرة

حاجة مش سهلة أبداً .

— البركة فيك يا دكتور تسهل لي كل الامكانيات . وأنا بأعتبره

ببحث القسم لأنه موضوع مهم قطاع كبير من الفلاحين .

— شوف يا محمود أنا أستاذ جامعة بقى لي أكتر من عشر سنين

وسابق زمايل بأربع خمس سنين ، تقتكرليه ؟

— لأن ميادتك ركزت كل وقتك للدراسة والبحث العلمي .

— أهم من ده كله إني اخترت موضوعات بسيطة للماجستير والدكتوراه . تجاربها سهلة ومراجعتها موجودة . بعد الدكتوراه بدأت أهتم بالأبحاث العلمية العامة .

— يعني سيادتك عاوزني أشوف موضوع ثاني .
— طبعا وإلا زمايلك يسبقوك . وتلاقى نفسك متأخر في التعيين مدرس وبعدين في استاذ مساعد .
— بس أنا بأعتبر نجاحي في موضوع الفول أحسن من تمييزي مدرس .

— ده كلام عاطفي . . . من غير لقب دكتور ما ليكش وزن في الحقل الجامعي .

— بس يا دكتور أنا شايف إني أقدر . .
— (مقاطعا في حدة) أنا بصفتي رئيس القسم بأقولك إصرف نظرك عن الموضوع ده وشوف حاجة ثانية أسهل .

وتنزل هذه العبارة أو هذا الأمر على محمود نزول الساعة . فيلزم الصمت وتحيطه خيبة الأمل ثم يردف د . سلطان د وقبل ما أنس عاوزك ثروح لرفقي بك تشوف حديقته . هو كان اشتكى لي زهرة الجلاد يولاس . »

ويخرج من سترته بطاقة يدون عليها العنوان وكلية تعارف ثم يعقب ويأدى كرت بالعنوان . . . رفقي بك يمني جدا وأنا لو فاضى كنت ساعدته بنفسى . وإذا لقيت حاجة صعبة قولى »

ويأخذ محمود البطاقة ثم يخرج . البطاقة بين أصابعه كجمرة نار .

لا يدري ما يفعله بها هل يذهب أو لا يذهب إلى ذلك الرقى بك ؟
ماذا يحدث إذا تجاهل طلب د . سلطان ؟ ولماذا يرفض موضوع
القول ؟

أسئلة تلاحقه حتى المساء عندما يدخل غرفته . ويشعر بحاجته لشخص
ما . شخص يفهمه ويدرك أبعاد المشكلة، يستطيع أن يسأله المشورة .
وترد فائزه على خاطره . إنها من يستطيع الإعتماد على رأيها، لكنها هناك
بالاسكندرية . يفكر في أبيه الذي قد يؤول الأمر على أنه محاولة للتصل
من وعده ؟ ولا شك أنه سيخفيه منه . ثم يفكر في فاطمة فيراها دون مستوى
المشكلة . ثم يتذكر العجوز التي لا تصلح إلا للحديث عن الفن والمسرح .
فلا يجد مناصاً من السفر إلى الاسكندرية وما أن تطأ قدماه أرضها حتى
يتجه فوراً إلى فائزة في مدرستها .

وتأتى بوجهها البسام وشعرها المعقوص للخلف . وينسى محمود كل
شيء إلا إنها أمامه يستقبلها بشوق مكتوم وتبادره فائزه وأهلاً محمود ..
انت عرفت مكانى إزاي ؟

— الى يدور ما يتوهش .

— جيت في رحلة مع الكلية ؟

— خدت أجازة وجيت لك مخصوص .

— مرمى .

— عاوز آخذ رأيك في موضوع مهم .

ثم ي تلفت حوله باحثاً عن مكان لجديته الهام فتدرك غرضه

وتقول « دبققة واحدة أدخل حد يحضر حصتي وآجى » .
وتعود ضاحكة « يا لله بينا »

— على فين على نادى النقابة ؟

— هنا مفيش نقابة ... هنا البحر والهواء والإنطلاق .
وفي مكان منزوى بصالة أتينوس يجلسان وأمامهما البحر تمرح أمواجه
من خلف النافذة الزجاجية . الحديث هامس والشاي ساخن وتطلع
الحلوى شبيهة وكل شيء جميل . لا يمران انتباهها لأوائك الشيوخ
وأصحاب المعاشات والأجناد السابقة المنتشرين حولها لا عمل لهم إلا
الجلوس والفضول .

ويدور الحديث يبدؤه محدود « أظنك هاوזה تعرفي جيت ليه »
— طبعا .

— انتى أكثر واحد فاهمانى وعارته ظروفى .
ويندفع الدم إلى وجهها هذه المقدمة المحملة بالتقدير والتي تنبئ عن
شيء مثير .

— ودائما باحس لى محتاج لرأيك . وبصراحة انتى أول واحد
جيت على فكرى .

وينزداد إندفاع الدم إلى وجهها . وضربات قلبها تدق في عنف .
— فاكرة موضوع القول ومشكلته في الكفر عندنا . وعدت أبوى
لنى أساعده فيه . وحسنت فاكرا إن السكينة بحال طبيعى أبحث فيه
أمراض القول .

—

— لكن الدكتور سلطان رفض وقال لي شوف حاجة ثانية
أسهل .

—

— وفي آخر مقابلة معاه إداني كرت لواحد اسمه رفقى بك علشان
أساعده في الجلاديو لاس .

—

— مالك يا فايزه ساكنه ليه ؟
ونجيبه في صرت مهتز وبه باره مقتضية و أبدا أبدا
بأسمع .

— ودلوقت أنا مختار ... مش عارف أعمل ليه ؟
— ولله الى يحبك ؟
— (بانفعال) لاني مش فاعمه موقفي ؟ ... لا قادر أرفض ولا
قادر أقبل .

— لازم طبعا تصر على موقفك .
— يعني أرفض موضوع رفقى بك ؟
— قصدي تروح لرفقى بك وتشوف طلباته وفي نفس الوقت
تصر على موضوع الفول .
— بنت وبعدين ؟

— قدم ورقة للدكتور سلطان واطرح فيها بالبيانات والأحصائيات
الحساسة الى بتحصل من تساقط أزهار الفول في البرد .
بسططت يعني الورقة سخ فكون أقوى من الكلام الى قلته .

— العلماء مادة ، الأرقام تهز تفكيرهم أكثر من الحواس
والمواطن .

— وإذا أصر على رأيه أعمل إليه ؟

— أنت بلاش تسبق الحوادث .

— وإذا رفض يبقى وجودي في الكلية ذى عدمه .

— مهما كان الوضع . وجودك في وسط علمي أفيد لك وأفيد

لأهلك .

— دوشتك بمشا كلي .

— أبداً .

— وعامله إليه هنا ؟

— في انتظار إعلان الوظائف بتاعة المركز القومي .

— يعنى ما غير تيش رأيك .

— طبعا لا . . . أنا غير طريقتى لكن ما أغيرش رأى .

— له شغالة بطريقة عسكري المرور .

وتسرح فائزة إلى شيء بعيد وذكريات خالية وتقول بنبرات حالة

ج انت له فاكرك . . . ؟

— طبعا فاكرك .

— الواحد لما بتحتك بالحياه بتحمس إن أمانها الى كانت متصورة

لأنها في إيدها بقت بعيدة وصعبة .

— بكره تبقى باحثه عظيمة في المركز .

— تعرف بيعايت الواقع اليومي والبنات واندهما جى معاهم يفسين

موضوع المركز القوى .

— لما تيجى أجازة الصيف ح تنسى البنات والمدرسة .

— أنا خايفه أحب البنات وأحب التدريس ومع الوقت أضحي

بكل حاجة علشانهم .

— (بقلن) ... لا ... أوعى تعبلى كده .

— البنات بتدينى أشباع ذهنى وعاطفى .

— أشباع لا قول تعمى معلىش .

— يجوز ؟

— أنا شايف إن إحنا لازم نرود اتصالنا ببعض علشان ما نبعدش

عن بعض ونتوه فى الدنيا الواسعة .

— ابقى تمالى على قد ما تقدر .

— تيجى لى آجى أنا . آه الى يحس بحاجة لثنائى

يتحرك .

— وهو يعنى لازم يكون فيه حاجة علشان تيجى أو أنا أروح لك ؟

— أنا مش عاوز أوجد إطارات نعيش جواها . أنا أحب الإنطلاق

والحرية . يعنى متضايق آجى لك . فرحان أشاركك فى فرجى .

— يعنى فيه مشاركتك فى كل حاجة ؟

— إحنا بينا مشاركة فى الفهم وفى التخصص وفى الآراء ، وباحس

إنك أقرب لإنسان لى .

— وأنا كان أحب أعرفك بميلتى علشان تبقى عارفنى بشكل سليم .

— وأنا أكون سعيد لو عرفتني بأهلك .

— طيب ح تعمل إيه النهارده ؟

- على فيض الكريم .
- ما ينجى عندنا البيت أعرفك بأخوى :
- ما عنديش مانع .
- فهمى ح يعجبك ... أ كبر منى لكن روحه شباب عنى .
- انتى مكبره نفسك قوى .
- عيى إنى بأفكر كثير فى الصغيرة والكبيرة .
- مشكلة الإنسان المرهف .
- و تكتب فائزة على ورقة العنوان ورقم التليفون وتعطيها له وتمقب
- د ولو تهت اضرب لى تليفون آجى آخذك من مكانك .

— ٣٤ —

يرف محمود أمام باب حديدى ضخم لقصر شاهخ وفى يده بطاقة ،
يراجع فيها العنوان . ويعبر المدخل ، وتدهشه الحديدية بمساحتها الكبيرة
و شجارها الباسقة التى تحيط بالقصر تكاد تخفيه عن العيون . القصر
أبيض جميل .
يدهشه ضمنا ذلك العدد الكبير من النوافذ المختلفة . وكأن القصر
مهجور أو أن أصحابه يتحاشون النور والهواء و ناس .
هذه الصورة الثابتة لا تأخذ بمجامع نفسه كما أخذتم صورة أخرى
متحركة نابضة بالحياة . إذ يلوح فتاة كأنزال . تلبس بنطلون أسود
وقيصا أزرق وتربط شعرها بشريط ذهبى ، تدل طرفاه ، يتداعبان . وتقبل
فى خطو سريع ، وتلمس الأرض بقدمين صغيرتين تريدان أن تطيراه .

وتصبح وهي مسرعة « آتندى شيرى » (انتظر يا عزيزى) .
 هذه هى الصورة التى لم تلبث إلا قليلا، جعلت محمودا يثبث فى مكانه
 يتابعها برأسه وبعينيه متعجبا مندهشا . ويذهب صوت البواب الاسمر
 « حضرتك آوز حاجة ؟ » (حضرتك عاوز حاجة) .

— رفقى بك موجود ؟

— أيوه اتفضل .

ويتقدمه البواب وهو يتلفت ويتأمل الإتساع والحضرة والاصص
 المتعددة الألوان وأحواض الزهور والأشجار الكثيرة . ويمسك سلما
 عربضا يؤدى إلى ممر يتهى بصالة فخمة . يذهله رياشها وسجادها ونعنها
 وزخارفها . . أشياء لم يشهد لها مثيل من قبل .

ويتوقف أمام لوحة كبيرة تصور رجلا تبدو عليه غايل القوة والسلطة
 مستندا بيده على ماكينه غزل ضخمة وخلفه يظهر بعض العمال .

يسمع صوتا قويا يناديه « الأسـمـاذ محمود . . . أنا رفقى
 بسيونى » .

— تشرفنا . . .

ويتصافحان ويرمق محمود الرجل ويتضح له إنه صاحب الصورة،
 وإن كسا الشعر الأبيض رأسه ويلبس مبرولا أبيض وسترة
 زاهية من الصوف الأبيض . ويمسك بيده عصا صغيرة ثمينة ويقول
 « . . سلطان كهنى عنك وذكاك للعمل معانى فى الحديقة . . . وإنت
 متخصص فى أمراض النباتات ؟ »

— أنا معيد بسيط مع الدكتور سلطان .

— طيب ، بيتنا تلف فى الحديقة شويه .

وبين الأشجار والأحواض يشرح رفقى بك قصة اهتمامه بزراعة الحديقة و طبعاً عندهك فكرة إنى كنت مدير شركة أرباحك للفرز والنسيج وأكبر مساهم فيها . الشركة خدما القطاع العام وبمدها أصبحت بمرض شديد والأطباء نصحوني بممارسة عمل أو هواية بسيطة . وما كانش قدأى إلا حديقة القصر .

— لكن دى كبيرة قوى ... فدأين تقريبا .

— بالضبط سبعة آلاف وخمسميت متر . وشغلت نفسى بهواية الزهور لدرجة إنى فى مسابقة الربيع السنوية خدت الجائزة الثانية .

— حاجة عظيمة .

— وكان للجائزة تأثير على صحى ... خنيت ... خفيت ، فعلا ، وجمالى تجار الزهور واشتروا بعض انتاجى بثمان مريح . لكن فى الموسم التانى لقيت الأزهار ضعيفة و نيجة . والدكتور — لطان نصحنى بالاستعانة بك .

— خدمتك .

— طيب وتقدر لنفسك أتعاب كام ... يكفيك عشرين جنيه

— الموضوع ده مالوش أهمية حالياً ... الاول نصلح الجينة .

— عموما اعتبر المبلغ ده مصاريف مواصلات لفاية ما نتفق على لاتعاب .

وأثناء سيرهما ينحن غمود ويلقط ورقة من أحد الأحواض ويضعها يدها
يردد بصوت خافت « فيوزاريوم »

- (باهتمام) إيه... في حاجة خطيرة؟
- نوع من الفطر يصيب النباتات ويمنع نموها ويخليها اندبل .
- وعلاجه إيه؟
- له طرق كثيرة . لكن لو انتشر يحتاج إلى تطهير ومزق الأرض .

- وإيه ضرره على الجلادبولاس؟
- يخليها ضعيفة ويصغر حجمها .
- ده بقى اللى حصل الموسم اللى فات ، عموما أنا عاوزك تساعدنى علشان أفوز بجائزة الجلادبولاس .
- ربنا يسهل .
- وأنا مستعد لأى تكليف . الجائزة مهمة ، ح تعمل برواجندا فى الصحف وأقدر أبيع الإنتاج بشن كويس .
- طيب تسمح لى أشوف الأرض .
- تحب أكون معاك .

- مالوش لزوم .. بعدما أشوفها آجى لسيادتك وأفولك رأى .
- طيب سالم الجنائش يقولك على كل حاجة .
- ويأتى سالم مهرولا . ويخبره رفقى بك « المهندس محمود ح يشرف على الجنة . عاوزك تساعده وتشرح له كل حاجة عنها . »
- ويتجول محمود وسالم فى عمرات الحديقة وبين الأحواض ليتعرف على ما بها ويسأل محمود « إيه اللى جاب الذبول ده هنا ؟ »
- (بضحكة ساخرة) أمر ربنا .

— أنتم لازم اشتريتوا شتلات غريبة ولا تعبانة .
 — هو إحنا نقدر نتحرك إلا بأسره ... ده لو يسيننا فى حالنا
 كنا وضبنا الجنينة دى تمام ... بس هو ألقى تأعب نفسه وتاعبنا معاه .
 — ما هو لازم يوصل كده ... هو عنده حاجة يشتغلها غيرها !
 — معاك حق يا بيه ... ده كان مشغل الشركة ذى النار . ورديتين
 وتلاثة يومانى ... وكان ينام فى استراحة الشركة وما يجيش إلا السبت
 والحد ومعاه ضيوف من كل ملة وجنس .
 — كانت أيام هبسة .
 — هبسة وقلوس وفرفشة ... مش دلوقتى سكوت هس ...
 (ويشير إلى نوافذ القصر الخلقه)
 — وإيه للى يسكنه فى حته مقطوعه كده ؟
 — القصر ده كان بتاع الخواجه أركاش وبعد المدوان الثلاثى حب
 يهاجر لبلده فباع شركة الفزل والقصر لرفق بك ... شروه لقطعة .
 — وإنت هنا من زمان ؟
 — من أيام الخواجه الكبير وحافظ الجنينه شبر شبر .
 — حال ... يبقى ح نعرف منك كل حاجة عن الجنينه .
 ويستمر محمود فى جولته الاستطلاعية وهو يفحص الأرض وينزل
 بعض الزهور ويمن النظر والتدقيق دون أن يفصح عما يكتشفه .
 ويشير ذلك فضول سالم الذى يسأل « بدمك فيه جنينة أجمل منها ؟ »
 — هى فعلا جميلة بس عاززه شغل كثير ... فيها إصابات كثيرة .
 ويفتح سالم فم يكاد لا يصدق قول محمود ويردد بهمس « عجائب والعجب
 عجائب »

يتردد محمود على القصر في ساعات فراغ من الكلية . يباشر عمله بالحديقة التي يدب فيها النشاط ويزداد عدد العاملين بها يعزقون الأرض ، وينزهون الأزهار والأشجار التي تترس النخيل الجديد . الأحواض تفصل بمزيد من الماء ثم تعالج بالتحليل ، وتقسّم إلى أحواض جديدة . الأشجار الباقية ترش بالمبيدات ، ومحمود لا يهدأ ولا يكل معبرا عن إصائه الزراعية الكامنة في أعماقه منذ صغره . ويستغرقه العمل الجديد ويشده إليه في تعلق حبيب بالأرض . ويمتزج شغفه بالزراعة بذلك القدر من العلم والخبرة التي إكتسبها في الكلية ويلتج عن هذا المزيج عملا متطورا ، يجعل الحديقة تبدو في أوج جديد . قد يكون أقل جمالا وأكثر قسا ، أما بعد أن اقتلعت الأزهار والورد وكشفت الأرض عن لونها الأسود ، لكن رغم كل ذلك فإنها بدت أكثر قوة وأسلح لإنبات بذورا قوية وفقا لأفكار محمود الجديدة .

وإزاء هذا العمل لا يخلد رفقي بك بالمال لإحداث التغيير المنشود ، خاصة عندما يرى ما يبذله محمود من علم وخبرة . ولا يتدخل رفقي بك فيما أصله لا يسأله إلا المحرد الاستفسار وجليا لفهمه وليطمئن قلبه . وإزاء ما يبذله محمود يتركه ، يعمل بقوة إندفاعه الذاتي .

تبدأ بشار البراعم تشق طريقها في التربة توافه إلى النور والهواء . وتتموا الأعواد ومحمود يحنو عليها ويرعاهما ويفرح بها كثيرا . ويشاركه رفقي بك سروره وهو يرى أمله يبرز وينمو .

وفي مكان خاص وعلى خطوط متوازية منتظمة المسافات والأبعاد تظهر أعواد الجلاديبولاس . ويضع محمود بطاقة من البلاستيك على كل

عود . ويرقها بأرقام سلسلة . ويسجل بياناتها في سجل خاص يدون به
تطور كل عود ودرجة نموه وأى تغير يطرأ عليه . ويسجل مواعيد كل
ريه أو معاملة كيميائية .

ويشتمل حاس محمود بالحديقة وريتهم بالجلاد يولاس إهتماما خاصاً .
ليس بسبب الجائزة فقط ولكن ليرضى نفسه ويشبع هوايته الزراعية .
وكانه يستعيد طفولته وصباه بين تلك الأحواض والأشجار . وإذا لمح
نباتاً غريباً أو فرعاً مريضاً سارع ليشترعه ليمىء للباقي بيئة صالحة وليجملها
من الطفيليات التى تتمص رحيق حياتها . وتزهو الحديقة مع لذة تراب الربيع
ومحمود وشددود إليها . يجد فيها هدفاً مباشراً يستهلك فيه طاقته . وكثيراً
ما تصدم عيناه برقيقة عابرة أو جارية راحة من بعيد . وفى كل مرة ترتدى رداء
جديداً يلفت أنظاره ، وفى كل مرة وهى على وشك مبارحة الحديقة تودع
أباها صائحة « باى باى ... دادى » ثم تلوح له بذراعها الماجية . :
ويرد أبوها تحيتها بإبتسامة « باى روفى ... باى » .

لا تميز محمود أى إهتمام . وكان تأثيرها عليه فى هذه الفترة
هو الإنهار . الإنهار برشاقتها وأناقتها وزهوها بنفسها وهى تطيع
بشعرها إلى الخلف . ويراهما محمود دائماً مسرعة . تدخل مجال بصره فجأة .
وتفاديه فى لحظة كعاطرة نفائس تمرق عبر النظر يسبقها ضجيجها المـالى
ويخلفها صوتها الداوى .

ويحدث أثناء إهتمامها بضم الجذور وهو مرتكز على قدميه
أن يجمدها فجأة ولقفسه جوارحه لا يفصلها عنه إلا خطرة . يراها
من قرب لأول مرة . جميلة مثيرة ومن ورائها يبدو القصر بأشجاره الباسقة
كخلفية رائعة تكلل صورتها . ويهض مرحباً « أهلاً وسهلاً »

اتفضل ... افرجى بنعمل إيه ؟ ثم يشير إلى أعواد الجلاد يولاس .
وترد رقيقة بصوت هادئ خافت « مرس » ثم تمضى تنظر أمامه ،
ويشع منها موجات فاتنة تلتقطها عيناه . وأخيرا يفتق لوقفته ريانى بحركة من
كفيه ويديه ويحدث نفسه « ... طيب وجت ليه ؟ » ويعود إلى سابق
عمله يحاول أن ينلّى به عنها .

وتترك هذه الرؤيا القربة أو المعاينة القربة آثارها عليهما . محمود
يعتنى بملابسه ومظهره في حدود التيسرات المالية الجديدة . وهى تكثر من
التجول بالحديقة . يحاول كل منهما أن يخفى ما ألم به من تطور ونداره
عن الآخر .

الفصل الثامن

التحامات واشتباكات

— ٣٦ —

الأيام تمضى والأحداث تجري والالتحامات تترى والانفعالات
بجبال . والرييح ينشر جماله ، ويشيع في النفوس ويحررهم من الشتاء ،
ويطلق المواطف لتتحرك وتتفاعل . بل وتثور أحيانا . ومن اللائق
يشير من الربيع مدرسة من زميلات فائزه . عائس تحطت الحلقة الرابعة
من عمرها ولم يمسها بشره حلالا أو حراما . تنفت هذا الحرمان في
الطالبات خاصة الجميلات أو العذبات . تخرج هذا الكبت الحارق في
قذائف وإهانات وعقوبات تصبها عين .

ويشاء القدر أن تضع في أصبع طالبة جميلة خاتم الخطبة . وتشد
زميلاتها أن تملن وتمرحن وتصرخن حولها . ويشاء طالع يوم امنحوس
أن تكون فيه الآنسة العائس هي القائمة بالإشراف على النظام المدرسى .
تلاحظ ذلك المرح الصاحب . تتحرك فيها جميع عقد الكبت والحرمان .
وتنجه بقوة الضارية ودفعه التفات إلى حيث التفت الفتيات اللائي
ما يلحقها قادمة حتى يهربن . ولا تبقى إلا المروس الصغيرة وتركز عليها
المدرسة بؤرق حدقتها الملتبئين وترى الجريمة الكبرى في بنصرها . الشيء
الذي تمنته لسنوات طوال دون أن تلمسه حتى صار كحلقة نارية تهيج
كوامنها . وتمسك بالفتاة من شعرها وتسحبها إلى الناظرة تتهمها بالاخلاق

بالنظام وتزعم العصيان .

وعرفت الفتاة من المدرسة على أن تفضل ومعا ولي أمرها .
تبكي الفتاة وتلجأ إلى مدرستها الحبيبة تستنقذها . أبوها لا يرحم
وعريسها مقومت لو علم ، قد ينقض عهده . وتبى فائزة للدفاع عنها .

وتتشب معركة أمام الناظرة يدعها وبين المدرسة العانس . وفي
النهاية تصر الناظرة على العقوبة غير مبالية بدفاع فائزة ورجائها .
ولا تدرك فائزة سر انحياز الناظرة إلى جانب زميلتها الطاغية حتى
تعلق إحدى قتياتها ، أصل يا أبله الإثنين عوانس . الفيره
واكله قلوبهم »

وترن الكلمات في أذن فائزة ثم تصرفها من تفكيرها . . غير مهمة
بها . لكن عندما تسترجع نظرات الحقد التي انبعثت من عيني
زميلتها ، يذعها الخوف . وتنتابها رهشة من ذلك الوحش القارى
الذى يحيط بضعيته يحرمها من الزواج والجنس الآخر ويقذف بها
إلى هوة الحرمان ويظل ملتفا حولها ، يمتص من قلبها الرحمة والحنان
ويسلب أعصابها الهدوء ويفقدها الشعور بالأمان والجمال . ويشمل
في أعماقها بركاناً لا يخمد ولا يسكن . نار على نار . . تحرق كل
من تصادفه .

وينتهى الأمر المجرى يدق والقافلة تسير وتصطف
الفتيات قيام جلوس والسبورات السوداء

والأوراق البيضاء . . . والوجوه الصفراء . . . والامتحانات
الجماء . . .

والأيام تمضى . . . بل وتجرى ، والحاتم في أصبح الفتاة لا زال
يرق . . . بريق الأمل . . . بريق عيني محمود وتمزاج على أملها
فيه . إن الحاتم بريقا . . . والاجراس تدق وزميلتها العانس لا زالت
تهدر وتزيد فثير غاؤها وتقلعها . . . أين محمود يطمشنها؟ إنه لم يحضر
منذ شهرين ، بل ثلاثة أشهر . لم يرأسها بكلمة . . . شكر أو عتاب .
وتوجس ويؤرقها صمته . فتصمم على الذهاب إلى القاهرة لتتقصى
الحقيقة . . . حقيقة وظائف المركز القومى للبحوث . هكذا قالت
لنفسها وهذا ما إدعته لأخها . لكن في قرارة نفسها تعلم إنها راحلة
به لتتقصى أمره وسر صمته .

- ٣٧ -

الأيام تمضى والأحداث تجري ، والانتعاشات تترى ، والانفعالات
تجتاح . الربيع ينشر جماله ويشبعه في النفوس . وأعواد الزهر تنمو وتجذب
الطيور والنحل والفراشات ، حتى رفيفه يحركها الربيع ويمنحها إلى
الحديقة حيث أعد لها مكانا تمتد فيه وتسرخى ، تستقبل أشعة الشمس
متقلبة ذات اليمين وذات اليسار ومعهما يقلب محمود بصره مرة إليها
ومرة إلى الأزهار والأعواد التي بين يديه . سعيد بعمله في هذه النواحي
الفتاة . أكثر سعادة مما لو كان يعمل في قريته . هنا الجمال والتميم وهناك
البؤس والشقاء والسيقان المعجفاء وخوار العجول ونهيق الحمار .
هي تستمتع بالشمس وهو يستمتع بها . الشباب يحركهما للتدلق

والمجتمع يفرض الفرقة والتباعد . صراع ينتصر فيه الربيع فيزداد تعلق
رفيعة بالحديقة . تجرى وتلوى وقد البست بنطلون فضيا وقيضا بلون جات
الزمان . ويرزغ منه ذراعان عاريتان ونحر جميل ، وبينما هو يرقب
هذه الصورة الفاتنة يسميها تنادى « تعالى هنا آهى واقفه على
الشجرة » ويظهر عندئذ جنبي أسمر يخلق بميزين مفتوحتين إلى لا شيء
وتشده الفاتنة إلى جوارها وتقرب رأسه من رأسها حتى التلاصق ، وتوجه
نظره إلى مكان بأعلى الشجرة . ويتأمل عمود هذه الصورة ويمجد فيها
التناقض التام فى اللون والجنس والمجتمع .

وتشير رفيعة إلى الصبي النوبي « آهى واقفه هناك »

— شفته ياست هانم دى فرس النبي . بس هرام (حرام) نمسكه
— له ؟

— شوف رافع إيديه إزاي السما . يدعى ربنا ينجيهِ منا بلاش
ياست هانم .

— بس دى شكلها جميل .

— بلاش هسن (أحسن) اللى يمسكه يحمله حاجات وحشه (يحمله
حاجات وحشه) .

وتستجيب رفيعة للصبي فتقول « بلاش يا منصور ، ولا يترك
مجنود تلك الفرقة تمر دون أن يحملها وسيلة لإقتراب . فيحضر فى اليوم
التالى كتابا عن الحشرات الغريبة وبه تفاصيل عن حشرة فرس النبي ،
وعندما يراها بالحديقة يتجه إليها عينا « صباح الخير »
— صباح الخير .

— تسمى لى أقدم لك الكتاب ده ، فيه شرح عن حشرة فرس النبي

وتأخذه منه وتداعب صفحاته ، بينما محمود يستمر في حديثه . أنا
شفتك غاوية صيد الحشرات جبهى الكتاب ده .
— لكن حرام صيدها .

— دى إعتقدات غير صحيحة . الحشرة دى متوحشة . لما ترفع
إيديها بعض الناس تفتكر إنها بتصل لكن فى الحقيقة علشان تفرس
حشرة ثانية وتأكلها .

وتضيق رقيقة بهذا الحديث ويظهر على وجهها التبرم فتقول له
بجفاء « طيب مرسى » ثم تمضى فى خطو سريع تافر تاركة محمودا
يحدس ويخمن هل أساء القول وأثقل عليها . ويقرر أن يتحاشاها .
اليوم عيد ميلادها الحادى والعشرين . تذهب نشاطا غير مألوف .
تصول وتجول فى أرجاء القصر تجهزه لهذا اليوم الموعود . تريد
حفلة يتحدث عنها الجميع . وتلح (الفازات) خالية من الزهور تشعر
ناظرها بالحواء ، فتهدأ إلى الحديقة لتعطف بعض الزهور . وتلتقى من
حوض الجلادى بولاس الأعواد الممتازة وتقطع سوقها بالمقص . ويراهما
محمود ، فيجرى نحوهما ويقول « يامدموزيل الأعواد دى عاشان
المسابقة »

— مسابقة

ويمد يده إلى ماتحملة منها ويقرأ البطاقات التى عليها ويصبح بانفعال
« وكان قطعتى ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، دى أحسن أعواد
عندى ... رقتى بلمح يرحل جدا »

— إيه ١٠٥ ، ١٠٦ ... عموما يا أستاذ أنا ح أقوله لهادى ..
ولأطمئن ..

— الميدان دى كانت تكسبنا الجائزة .
 — اتفضل خدع مادام مهمين كده .
 — بعد إيه .. خلاص مفيش فائدة .
 ويقبل رفقى بك ويشاهد ماتحمله ابنته وانفعال محمود فيدرك ما حدث
 ويسألها : عجبك الجلاد يولاس بتاعتى ؟
 رفيعة — قوى يادادى .. بس الأستاذ زعلان .
 رفقى بك — أصلها بتاعة المسابقة .
 رفيعة — وأنا أعرف منين ؟ مش لازم يقولى بدل ما يقف
 ساكت .

رفقى بك — (مرجها كلامه لى محمود) وليه مانبهتاش ؟
 محمود — أنا فكرى إنها جاية تتفرج ذى ما بتعمل كل مرة .
 رفيعة — وأنا أعرف منين لى ١٠٥ ، ١٠٦ بتوعك مهمين
 للدرجة دى ؟

محمود — الظاهر يامدموزيل لى انك الوحيدة اللى مش عارفه إحنا
 بتعمل إيه ؟

رفيعة — شايف يادادى المزارع بتاعك بيكلمنى لى إزاي ؟
 محمود — (بغيظ) أنا يشرفنى لى أكون مزارع وأحب أعرفك
 لى بدرس لميت واحد ذيك فى الكلية .
 ويشتد غضب رفيعة فترى بالأزهار لى الأرض بعد أن تصوب
 ليه نظرة غاضبة ثم تذهب .

ويتردد رفقى بك فيما هو قاعله . أيتبع ابنته ؟ أم يبقى ليناقش
 محمودا ويتمكلم محدثا نفسه ، الحقيقة كان لازم أقول لها كل حاجة ...

أحكى لها إليه الى بنعمله ... وله ؟ ثم يلتفت إلى محمود : بس إانت
يا أستاذ كتبنا بشدة .

— هي السبب . وإذا كان وجودي يعمل مشاكل فانا أمشي
والدكتور سلطان بيعت حد غيري .

— وهو معقول تمشي بعدا الى عملته في الحديقة . وكان المشروعات
الى فتحها معاي مين ح يشتغلها غيرك ؟

— أنا متشكر لتقديرك ... لكن ...

— (مقاطعا) إسمع بق خليك معانا ، وإعتبر روفي ذى طالبة
عندك بالكلية .

— سيادتلك بتأمرني .

يجمع رفيق بك الأزهار من الأرض ويضيف إليها أعوادا أخرى
ويجعل كل ذلك إلى إبنته الغاضبة في غرفتها . يلح دمرع النيف فيرق
لها ويأخذها بين أحضانها ويناجيها : روفي بنتي حبيتي بتعط ؟ شوفي
أنا جيت لك إليه ؟ قوى رتبها في الفازات ؟

— أنا مش عاوزة حاجة من الراجل الفجري .

— إنتي له زعلانه ؟

— طبعا لأنك له ساكت له . . . عاشان مسابقة مالهش فائدة .

— في الحقيقة عندي حاجات كثيرة لازم أكلك عنها . تأجلها بعد

عيد ميلادك ... ومحمود شاب طيب .

— أنا ماليش دعوة يه إذا كان طيب ولا لا .

ينادى محمود القصر حانقا : متجرا بهذه لقناة المرفهة التى لا تقدر
قيمة العمل ولا تدرك مدى الجهد الذى يبذل فى حديقته والديها . وتهدم
إنتاجه ببساطة وبلا مبالاة وتقطع أحسن الأعواد بل ولا تتورع عن
إتباعه وإدائته وتأعيمه . وعلى هذه الحال يدخل منزله فيجد فاطمة
جالسة فى الصالة تنتظره ويحييها محمود : أهلا فاطمة ... فىنك ...
السجاد خلاص استولى عليكى .

— أبدا إنا أنت التى رفقتى بك استولى عليك .

ويؤخذ بهذه العبارة المفروضة لكنه يكظم غيظه ، دى شغلانه بضيع
فيها وقتى بعد الظهر .

— بتتسلى يعنى ؟

— (بمحبة) لا بأشتغل وباخذ ماهية .

— يقولوا عنده بنت حلوة

— مش بطالة .

— ولانها طالعة فيها قوى .

— شوية .

— يعنى كل الى بيتقال صحيح .

— (بمحبة أشد) إناى دايرة تتجسمى ورايا ؟

— أخبارك بتيجى لغاية عندى ... ولاد الحلال كثير .

— إناى بتدخل فى شئونى ليه ؟

— بتهنى وخايفة عليك .

— (صانحا) مالكيش دعوة يه .

— خلاص نسينا فاطمة الغالية .. وكلامك الحلور اح؟ ... متشكر
يا فاطمه ... ربنا يقدرني على رد جمالك يا فاطمه ...
— بلاش الكلام ده
— نسيت زمان . . . ياما سهرت وعديت خطاويك
رايحه وجاية .

— (صاغا غاضبا) بس بس اسكتي .
— مش ح اسكت ... لازم تعرف اني مش ممكن أسيبك
لبت مفعوسة تلهلك ع الجاهز
— اخرصى واقفل بفك .
— دلوقتي آخرص وأقفل بقى .

ويشور ويدفمها بشدة للخلف فتسقط على أحد المقاعد ويصبح في
هياج شديد كفاية . . . كفاية بطل كلامك اللي ذى السم ،
وتككور فاطمة على نفسها وتبكي وجسمها يهتز اهتزازا عنيفا .
وتدخل آه جوز وتدنو فاطمة ، مش كده يابنى . . . محدش يعمل
كده .. طلعتي الجددع من خلقه ،

ويدخل محمود غرفته ضائقا بنفسه وبالجحيع . . . رفيعة التي
أثارتها وفاطمة التي استغزته وفأيزه التي هجرته والدكتور سلطان
الذي دفعه إلى خضم القصر . لكنه يشعر بأنه تحامل على فاطمه ..
فهي لما أن تغار ولما أن تماتيه بل وتناظ له القول لمزوفه عنها ...
ولكنها أيضا أثارته بكلماتها الموجهة .

ويعود اليها فيجد ما لا تزال تبكي وتنشج بنشيجا مكتوما مقهورا

فيشفق عليها ويقرب منها ويضع يده على كتفها ويلهجة مليئة بالأسف
يعتذر لها : « اتعاليش مني يا فاطمة . . . أنا لمتجملت عليكى غصب
عنى وانتى كان ظلمتى »

وتستمر فى نحيبها وهو يراضئها بكلماته : كفاية بقى والاح أزل
منك . . . ايه ماليش خاطر عندك ؟ ، ويتعنى إليها فى عاولة
ليضع قبلة على رأسها وهى تتلمص منه وأخيرا وبمساعدة المعجوز
يستطيع أن يمسك برأسها ويهمس فى أذنها حقا على . . . كفايه ،
وبقبلها قبلة خفيفة على رأسها يحسب أنها فعل السحر فتهدأ وتسكن
وتنظر إليه نظرة المعاتبة الولهانة .

وتفترح المعجوز : « ما تاخدوا بمضكم وتخرجوا . . . فيه مسرحية
جديدة فى الأزبكية »

عمود — وحده مزاج للحاجات دى . . . إعمل لنا شاي أحسن ،
مش كده يا فاطمة ؟

قامز له رأسها موافقة . وتذهب المعجوز لإعداد الشاي ويمسك
عمود يد فالحة يحتضنها بين يديه فتسند رأسها إلى صدره تريد
مزيدا من الحنان ومزيدا من العطف ومزيدا من الحب .

— ١٧ —

يدخل رفقى بك غرفة أبنته ويجدها تفرش الأرض ومن حولها
الكثير من الهدايا تفحصها وتحببها ويدها مفككة صفيرة وقلم
تداغب به شفقتها ويحبها قائلا : « بنجور دوقى »

— بنجور دادی .

ثم تمهض وتمطيه خدما فيقبله ويربت على كتفها في حنان
ويشير إلى الهدايا المبعثرة قائلا : ايه الى بتعمليه ده ؟

— برتب الهدايا وباكتبها في مفكرتي .

— ومين الى قدم لك الكتاب ده ؟

— الأستاذ محمود ... كتاب عن الحشرات

— حشرات ... حديهادى بكتاب حشرات ؟

— على قد ما يفهم في الذوق .

— ما يهيكيش منه ... إحنا لينا شغله وبس .

— امق تخلص من المسابقة ورحل ؟

— محمود ح يستنى معاى بعد المسابقة . فيه مشروعات فكرت

فيها أنا وهو نستغل بها الحديقة .

— الحديقة ... ليه ؟

— محمود قدم لى مشروع عظيم لاستغلال الحديقة . جزء أزرقه

نباتات الزينة أيهما أو أصدرها لأوروبا حتى السور أشيل شجره وأزرق
مكانه شجر أبو كازيا بتاع عيد الميلاد ... والحديقة للصغيرة دى ح

تجيب دخل عزبه من غير ما ندفع مايم في الأرض .

— ما دام عرفت أفكاره يبقى ما لوش لزوم لوجوده

— هو أنا أقدر على مشروع كبير كده . ده عاوزه شاب قام

شغله .

— أنا عندى فكرة ... أحسن نبيع القصر ونشتري عمارة

نأجرها ونسكن فيها

- (بلهجة حزينة) القصر ده ما نقدرش نبيعه ... مش بتاعنا
 إحنا هنا ساكنين بدون أجرة .
- (بانزعاج وحيرة) مش قاهرة حاجة أبداً .
- القصر ده كان تبع المصنع ولما الحكومة أتمته سابت لنا القصر
 نفقح ييه مدى الحياة .
- (بذهول) مش معقول ؟
- دى الحقيقة ... يعنى لازم أشتغل فى الحديقة ... وإيشى كان
 لازم تشتغلى .
- (بدهشة) أشتغل ؟
- أيوه تشتغل ... ح أفتح لك عل لبيع الزهور .
- (باحتجاج) أنا رفيعة رفيق أقف فى محل وأبيع ورد ...
 مستحيل .
- ليه لا ؟ .. ميرفت هاتم فتحت إيلية ... مدام فيظنى
 فتحت صالون تجميل .
- هـو أنا فى سنهم ... البنات اللى ذى بتمنع بشبابها فى
 الحفلات والحللات والبارتز .
- وهو العمل عيب ؟
- إانت يا دادى ... ابن بيسوى باشا تقول لبنتك الـ كلام ده ؟
- أيوه ... الدنيا لا تغيرت .
- أصحابي يقولوا على ليه ؟ ... ح أبقي بياعة ورد فرجه .
- هدى نفسك شوية ولازم تعرفى الحقيقة ... أنا فعلا ريبتك

وعلمتك غلام بنات القصور مش علشان تشتغلى ... لكن الأيام دى راحت ... النهارده لازم تشتغل ونكسب علشان نعيش .

— إنت يادادى عاوز مضحك النهارده .

... (فى حدة) أنا باتكلم جدد ... لافضل لافرى .

ويخرج من جيبه ورقة هى إخطار بثروته فى البنك ويناولها لها .
وتقرأها رقيقة بصوت مرتفع « الرصيد دائن بمبلغ ٤٧٢٣ جنيه »
وتنص الورقة جانباً ثم تنظر إلى أبيها « بس يادادى ؟ »

— أيوه ... مفيش إيراد وفيه صرف وكان تكاليف علاج المرحومة فى لندن .

وتجالس رقيقة وقد تهدلت أطرافها وصوتها وهى تردد كأنها تعدت نفسها « مش معقول ده يحصل ... مش معقول »

ويأتينا صوت أبيها جامداً كأنه ضاعد من الأعماق السحيقة
فزولها ، عل الزهور ح يكون فى أرقى حى ... ح نتعامل مع
العائلات الكبيرة والأجانب . ح نكسب ، ح يبقى لك إيراد جديد
بدل الأسهم والمصنع اللى راح ، .

— (فى يأس) وهو أنا أفهم فى الشغلانة دى ... أنا عشت
حياتى بدون مسئوليات .

— المسألة ح تيجى بالتدريج وبالصبر والمكسب كل حاجة
تبقى سهلة وجيلة .

— (فى انتباه قليل) لكن أنا ما أعرفش أفرق بين الفل والياسمين
إزاي أعرف أشغل عل زهور .

— أنا أعلمك ومحمود كان يعلمك .

ويشيرها ذكر اسمه فتشتغل غضباً قائلة « ما تجيش سيرته ، . »

— لازم تحسنى علاقتك معاه .
 — مش ح أقدر ... وأرجوك يادادى ما تفضطش على .
 — خليكى عاقلة بقى ... استعملى ذكائك .
 — طيب لما أشوف آخرتها .
 ويتبع رفيق بك برضاء ابنته فيصيح جذلا دح نسميه معرض
 زهور روفى ... فلير روفى ، ويظهر طيف ابتسامة على ثغرها تعلن
 ثقبها فكرة عل يحمل اسمها .

— ٤٠ —

تخوض فائزة الى القاهرة وتذهب الى الكلية بحثا عن محمود وتذهب
 معه الى المركز القومى للبحوث . تصاب بخيبة أمل عندما يخبرها
 أحد زملائه دده يدوبك بيقعد المحاضرات ويمشى ، وتمتريها حالة
 لاكتئاب وتشعر بحاجتها الى المناقشة والحديث مع أى صديق أو زميله
 لتخرج من دائرة الضيق . وتتذكر مهرب وتذهب اليها فى منزلها وترحب
 بها . ازيك يا فائزة ... وحشتينى عامله إيه ؟
 — آهو ... عايشه .

— وبتشوفى محمود

— مرة واحدة فى اسكندرية .

— وتاويه تقابليه .

— حاولت ما لقيتوش فى الكلية ومسافرة بكرة .

— وده معقول تيجى وترجى من غير ما تقابليه

— وإيه الى أعمله ؟

— بطل أفكارك القديمة واعمل ذى

- مش فائمة حاجة ؟
- هو اتقى مش عارفه، أنا وعلى خلاص اتفقنا على الجواز .
- لا معرفش .. مبروك .
- الله يبارك فيكى ... وتعرفى أن برغم بساطته لكن دوخنى
- إزاي ؟
- فضل يطاردنى لثاية ما اشتغل معساي وبعدين هات يازن فى ودائق عن الحب والغرام . ولما أروح ، التليفون يشتغل بالساعات .
- ما وقفتهش عند حده ليه ؟
- إتنى عبيطة ؟ .. واستمر يكلمنى عن الحب المجرد والحب المطلق .
- ذى الحب للحب والفن للفن .
- وقاض فى والآخرا صارحته بأفكارى عن الحب وقالت له إن الحب
- موظيفة إجتماعية بالنسبة لفتاة هى الجواز . وبدونه يبقى حب ناقص .
- كان ردة ليه ؟
- راح منى ، حب ليه الى انت جاي تقول عليه ،
- عملتى ليه بعد كده ؟
- قاطعته . مفيش عشرين يوم كان جاي يخطبنى .
- وعاوزنى أعمل كده مع محمود ؟
- وليه لا ؟ .. الاول تكسبي حبه وبعدين تفهميه إالى
- إتنى عاوزاه .
- ما أقدرش أعمل كده ... وكان مسافرة بكرة .
- أجل صفرك يومين .

— إيه العمادة ؟ .. مش ح أقدر أروح الكلية تاني .
 — ابعث له على ونقعد مع بعض في أى مكان .
 وحول مائدة في كازينو قصر النيل يجلس الأربعة وينتفى على
 « أحب لآتين سوى الميه والهوا ... ياسلام على حبه »
 سهير — مش تبطل غنى .
 على — لما أبطل حب .
 سهير — (ضاحكة) بقى كده .
 محمود — طيب سؤال على الفتوة ، الالم الميه وإلا الهوا ؟
 سهير — الهوا طبعاً .. لأن اللسان يموت إذا فقدته لمدة
 دقيقتين بالكثير .
 على — الهوى الى بأغنيه بيا المقصور وليس بالالف والهمزة وعلى
 ذلك فالهوى أم شيء فى الحياة .
 محمود — شاطر يا سيويه .
 على — (مشيراً إلى محمود وفايزة) مش أحسن من خبيويه .
 وينفجر الجميع فى الضحك عدا فايزة التى تكاد أن تبترنم ، وتلاحظ
 سهير صمتها فتسألها « ساكنه ليه يا فايزة ؟
 فايزة — هو على بينخلى حد غيره يتكلم ؟
 سهير — معاكى حق ... قوم بقى يا على لسبقهم ع السينا
 وانتقابل هناك .
 فايز — أنا ماليش مزاج السينا .
 سهير — طيب خليك وإحنا نروح السينا .

وتجذب سهر عليا من يده الذى يتوقف ليقول لفائزة « فكى شعرك
المربوط ده » وتشده سهر بعنف لثمنه من الاسترسال فى تعليقاته .
وما أن يذهبها حتى يلتفت محمود اليها ويسألها « أخبار تليذاتك
ليه ؟ »

— أنا قاعده هسك ساعه ولا اتتين ما تكلمينش عن
حد تانى .

— طيب أخبارك انتي ؟

— زهقانة وعندى شعور بعدم الاستقرار .

— مش قلاتى إن اسكندرية بتساعدك على التحرر ؟

— فعلا ده حصل . . . لكن بأحسن فيها بعدم الاستقرار .

— فيه حاجة تعبأ كى فى المدرسة ؟

— بالعكس مبسطة . . . بس باعتبارها حاجة مؤقتة . . . يعنى

أياى دى مش محسوبة من عمرى ، لانى ما بدأتش فى طريقى وحياتى
الفعلية .

— وأنا ذيك . . . متهايا لى إنى ماشى فى طريق غير طريقى .

— ليه ؟ . . انت دلوقت معيد وقدامك طريق واضح ومحدد .

— الدكتور سلطان لغاية النهاردة ما وافقش على موضوع

الماجستير .

— وعملت ليه فى المذكرة اللى قلت لك دليها تقدمها له ؟

— فى الحقيقة شغلى مع رفقى بك واخد وقتى كله .

— وعامل ليه معاه ؟

— ماشى الحال ... يمكن نكسب جايزة الجلاد يولاس .

— مجد

— ما ييجى دلوقت أفرجك على الجنينة وتقولى رأيك .

— أروح لزاي لناس ما ليش معرفة بيهم ؟

— ما لناس دعوه بيهم .. ويمكن ما نقاباش حد منهم .

وهناك تتطلع فايزة فيا حولها مأخوذة بما تراه . تلقت هنا وهناك
ثم تعلق دده قصر هائل ... جنينة تطول العمر ... لكن إيه اللى
يخلى رفقى بك يبنى القصر ده فى حته بعيدة ؟

— ده أصله بتاع خواجه وهاجر . وكان ييمضى فيه أجازة
الأسبوع .

— كل ده علشان أجازة الأسبوع .. ده ينفع مدرسه ولا
مستشفى .

— تعالى أوريكى حوض الجلاد يوس .

ويمسك يدها يقودها بين الممرات الضيقة حتى يصلوا إلى
الجلاد يوس .

وتقف فايزة تتأملها عن قرب وتمسك أعوادها بيديها وتمعن النظر
فيها . تريد أن تقبلها أو تسر إليها كلاما خاصا . ويتركها عمود تميم بين
تلك الأزهار ، ويختفى لحظة قصيرة ، ثم يعود ومعه وردة بيضاء
مكتونة ، لم تفتح الربيع بعد . ويقدمها إليها وتأخذها وتشم عبقرها ،
ثم تحسبها بوجهها . وتنظر إليه بعينين مثقلتين بالتعبير الذى لا تستطيع
أن تفصح عنه ، وهو يتأملها وقد ذابت نفسه وتافت لأن يحضنها

في صدره وبين إحجاءه وتردده يأتيهما صرت رفقى بك « محمود . . .
أنت هنا ؟ »

— أيوه يا رفقى بك .

ويقبل فيرى فايژه إلى جواره وتأخذه الدهشة لوجودها ثم يرحب
بها « أهلا وسهلا » ويقوم محمود بمهمة التعارف قائلا « زميلتي فايژه . .
وباحثة بالمركز القومي » .

فايژه — باعتبار ما سيكون .

محمود — رفقى بك من كبار الاقتصاديين .

رفقى بك — (ضاحكا) باعتبار ما كان .

وبعد أن يتأملها يسألها « وحضرتك متخرجة من كلية الزراعة

برضة ؟ »

فايژه — أنا ومحمود تخرجنا مع بعض .

رفقى بك — جه اليوم اللي البنات تنافس فيه الرجال .

فايژه — أنا مش شايفه منافسة . . . أنا بأشعر بالرمالة
والمساواة .

رفقى بك — مساواة !! أوعى تصدق إن الرجال يستقدوا في

المساواة مهما كانت شهادات البنت . دائما يحطوها في المراكز والوظائف
الأصغر .

فايژه — رغم كل ده فيه نوع من المساواة .

رفقى بك — آخر مرة زرت فيها لندن كانت الجمعيات النسائية

بتطالب بمساواة أجور المرأة بأجور الرجل .

عمود — عندنا مفيش فروق في الاجر ... كله ذى بهضه .
ثم يسمعون صوتا ناعما آتيا من بعيد « دادى ... دادى ... »
انت فين ؟ ،

رفقى بك — (ملتفتا إلى مصدر الصوت) — أنا هنا عند
الجلاديو لاس .

وتعمل رفيعة بعد لحظة ، وقد لبست بنطلونا أسوداً وقمصاً أبيضاً
ملائكياً وتركت شعرها ينسدل على كتفها فبدت كحورية من حوريات
الأساطير . ولا يثير دهشتها واهتمامها إلا فائزة ولا يفحص رفيعة بدين
ثاقبه إلا فائزة . كل تعان وتقيم الأخرى . هذه أرسلت شعرها مطلقاً
وتلك شدته الى الخلف . تباين في الشعر بل وفي معالم أخرى .

يقوم رفقى بك بتعريفهما ببعض ، وتبادلان الإيماءة بالرؤوس مع
إبشامة خفيفة . ثم تعلق رفيعة ، يا ترى أنا قطعت كلاهما ؟ ،
عمود — دى مناقشة بين رفقى بك وفائزة عن مركز امرأة
في المجتمع .

رفيعة — يبق مش ح تروحوا الليلة .

ويدعوه رفقى بك إلى تناول الشاي في الشرفة . وهناك حول المائدة
يستأنف الحديث ويقول رفقى بك ، طبيعة المرأة وتقاليده المجتمع
وتكوينه تحد من المساواة بالرجل في الوظائف العامة .

فائزة — عليا ثبت إنه لا يوجد فرق بين ذكاء المرأة والرجل . .
وتقاليده المجتمع هو الذى حطها وهو الذى يقدر يغيرها ويطورها .
رفقى بك — الرجل حياته العمل والمرأة حياتها الحب والزواج

الرجل يقدر يضحى براحته وبخفه فى سبيل عمله ، أما المرأة فاهتمامها
ببيتها وأسررتها أولا .

رفيعة — ينى يا دادى لانت من أنصار المرأة البيت وبس
وما تشتغلش .

رفقى بك — (ضاحكا وقد فهم مرماها) كان زمان المرأة والفتاة
تقدر تأمن نفسها بالأسهم والسندات والعقارات . لكن النهاردة العمل
هو الوسيلة البديلة .

فايزة — طيب سيادتلك عاوز إيه من الفتاة .

رفقى بك — أقصد أنها تشتغل فى أعمال تناسب طبيعة كأم وزوجة .
وعندئذ يحضر الخادم بالشاى وتنهمك رفيعة فى تقديمه وصبه وتعقب
على كلام أبيها « الواحدة مهما اشتغلت لا يمكن تسمى أنوثتها وإلا فقدت
نفسها » .

يعقب رفقى بك « المرأة دائما فى صراع بين عملها وبيتها وده
بيخايبها منفعلة وغير مستقرة »

فايزة — المجتمع هو السبب . لو بيدها حقوقها كاملة تقدر توفى بين
الأتنين .

رفقى بك — المرأة لما تغير تفقد نص تفكيرها .

وتعلق رفيعة وهى تصب الشاى لمحمود « لكن يا دادى الجيله
ما تغيرش . »

عمود — (فى محاولة لتجنب احتدام المناقشة) يبقى لازم تعمل
مقاييس للجمال ضمن شروط الوظيفة .

فايزة — انت عاوز تضحك شوية ؟
محمود — ده جاصل فعلا في تعيين المضيقات والسكرتيرات
وعاملات غلات التجميل والمطور .

فايزة — الجمال في حد ذاته شيء لا وجود له إلا في إحساننا
وشعورنا . وإذا اتغيرت الأذواق اتغيرت النظرة للجمال . والجميلة
التي تارده بكرة تبقى عادية .

رفيقة — أنا أخافك في الكلام ده . . . مقاييس الجمال واحدة في
كل زمان . نفرتين مثلا جميلة من آلاف السنين ولغاية النهارده تتماثلها
يستحب أجمل رأس لإمرأة .

فايزة — وليه ما تقوليش إن إصحابنا هو بفسن المثال وإبداعه مش
برأس نفرتين .

رفيقة — لولا جمالها ماكانش المثال اتحرك وأبداع .
رفقى بك — يعني الرجل هو القادر على الإبداع والخلق والمرأة هي
الحافظ .

محمود — رفقى بك يستغل الانقسام في صفوف الخصم ويكسب
نقطة .

رفقى بك — كان المرأة مها اشتغلت محتاجة للراجل للامان
النفس والمادى .

وتقدم رفيقة طبق الحلوى إلى محمود وتقول « تمام يا دادى الواحدة
بتعجب بالراجل القوى ويمحوز تطف على الرجل الضعيف ، ثم تلتفت
إليه هامة « الكيك عجبك . . . حنة كان ؟ »

وينظر إليها عموداً مأخوذاً مندهماً ويردد ولا ... لا ...
ممشكراً

أما فائزة فتدري لما رضة رفيعة لا ويجوز العكس تحب الضعيف
وتسيب القوي .

رفيقى بك — المرأة دائماً تحب القوي، في البلاد المتقدمة مثلاً تعجب
بالرياضي والفنان والعالم، والغنى وفي البلاد، المتأخرة تحب الصياد الماهر
والمقاتل الشجاع والراقص البارع .

رفيعة — النهارده الراقص البارع والمغنى في أرقى البلاد يجنن
البناات ويموتوا فيه .

فائزه — ده مش تقدم ... ده تخلف .

رفيعة — عاوزه تقولى إن الروك أندرول ، والشاتاشا رقصات
متخلطة .

فائزة — أنا ما أقصدش الرقص نفسه ... أنا أقصد جنون
وهوسة الرقص .

رفيعة — أنا مش معاكى فى الكلام ده .

وتنظر فائزة إلى ساعة معصمها ثم تلتفت إلى عمود « أظن نروح
بقي ... عن اذنكم ، ثم تنهض ويتبعها عمود بينا رفيقى بك يعلق
لله بدرى والحديث تمتع .

رفيعة — (وهي تنهض) لسه بدرى ... والليل طويل .

فائزه — الليل طويل لى نهاره قصير .

رفيقى بك — فرجة سعيدة ونحب نشوفلك مزه ثانية .

فايدة — مرمى .

ويزق رفيق بك آمرا باحتضار العربلة لتقلها إلى منزليهما .
وتتحرك السيارة وينشب حديث بينهما ويقول محمود وأنا شايف ان
رفيقي بك كان معجب بمنافستك .

— كان رفيعة كانت بتخصك باهتمامها .

— دى أول مرة اتكلم معاها حتى أنا استغربت لما
قعدت معاها .

— أمال كانت بتوشوشك ليه ؟

— كانت بتسألني السيك عجبني .

— طبعا هي ما تقصدش السيك !!

— أمال تقصد ليه ؟

— تقصد رأيك فيها .

— (ضاحكا) دى ما حدثش مالى عينا .

— ينى حاولت وصدتك ؟

— طبعا لا ... ده أنا كنت ح أسيب القصر بسببها .

— ليه زعلتك ؟

— جداً ... جت بمناسبة عيد ميلادها وقطعت أحسن أعواد
الجلاد بوس .

— حاجه مشيرة .

— ليه اللي مشير فيها ؟

— طبعا مشيرة بعد اللي شفته التارده .

ما هو طول ما إحتا به من بعض يقي مما كي حق تتصورى أى حاجه.

— ما انت الى ما بتجيش .

— آجى فين ؟

— اسكندرية .

— وليه انتى ما تجيش ؟

— طيب ما أنا جيت آهو .

— علشانى وإلا علشان وظيفتك بالمركز القوى ؟

وتخذ قايرة لإطراقة بسيطة تفكر كيف ترد هذا الاتهام ثم تعيه
« أنا جيت علشانك ... أربع شهور منتظراك ظقت ، عملت حتى
الوظيفة وجيت ، وإزاء هذا التصريح الأمين يلوب محمود ويجول بينيه
على صفحات وجهها ثم يمك يديها يتحمسها بعاطفة جياشة وهى ساكنة
يهرها الشوق من الداخل وتتقبل ملامساته وتمنى مزيدا . ويود هو
لو يطبع على يدها قبلة يهشها به لكنه يخشى رفضها وصدما . يتمنى هو
الآخر ولا يحسر .

وتقف العربة أمام منزلها ويظل قابضاً على يدها لا يريد أنه يتركها
وهى لا تحب أن تناديه ويهيس لها محمود د ح آجى اسكندرية قريب
في أوله فرصة ... مع السلامة يا قايرة ،
فايزه — (وهى تبطن من العربة) ... منتظراك ... مع السلامة

الفصل التاسع

(تردد ثم تردى)

— ٤٣ —

كان شاي الشرفة بداية مرحلة جديدة في العلاقات الإنسانية والمادية بين أناس القصر. فقد أزال كلمات رفيق بك من ابنة غشاوة المجد الزائف واجتازت بها حاجز الضباب . . . ضباب الماضي ، وجعلها ترى الواقع كما هو قائم وليس بما كان . وكان اقترابها من عمود في الشرفة ومبادل الحديث معه وظهور فايزه زميلته سببا آخر لكي تميد رفيعة النظر في عمود وتقيمه تقيما جديدا . وتدأب على ملاحظته وهو يعمل في الحديقة بحماس لا يفتر وهمه لا تنضب ، لكنه يتوقف تماما عندما يسمع صوتها أو عندما تدنو منه ، فيحبها التحية المناسبة. وتتسع لها ابتسامته رويدا رويدا كلما زادت له إقبالا واهتماما .

ويبدأ رفيق بك الدرس الأول لابنته ليؤهلها للعمل الجديد. واختار الورد موضوعا . وأمام أحد أحواض الورد يقول « الورد أنواعه كثيرة وألوانه متعددة وريحته جميلة ويستخدم في الأفراح والآنم »

— (مقاطعة) ياى يا دادى . . . بلاش تتكلم عنه . . . ده صنف شعبي ويتباع على الأرصفة .

— ما كل حاجة بقت على الأرصفة حتى حاجات كريسيان ديور وجان فات واليزبت أردن .

— مفيش عل كبير يبيع الورد .
— أحسن حاجه أندو محمد يفهمك وأستريح أنا منك .
ثم ينادى محمود الذى ما أن يحضر حتى يسأله : قولى يا محمود...
الورد شعبي ؟

محمود — أيوه شعبي
— رفيقه — (مهللة ومصنقة) برافو... شفت كلاى مطبوط .
رفقى بك — قصد رفيقه إن المحلات الراقية ماتبعش الورد .
محمود — شعبي يعنى الناس بتجبه ويشتره الفنى والفقير ... عموما
مفيش تفرقة طبقية بين الزهور .
رفقى بك — أنا عاوزك تديها كام درس عن الأزهار وقيمتها
التجارية ومناسبات استخدامها .

محمود — (مندهشا) المدموزيل رفيقة ... مش معقول ؟
رفقى بك — أصلى ناوى أفتح لما عل زهور .
محمود — (أكثر دهشة) عل زهور ... !!
رفيقه — ليه ... ما أقدرش ؟
محمود — مش قصدى ... أنا شايف أنها عمليه متعبة .
رفقى بك — فى الأول بس وبعدين كل حاجه تبقى بسيطة .
ثم يلتفت ، إلى ابنته ، واثق كان تخطى بالك وتسأليه عن كل حاجه
ثم يغادرهما إلى القصر .

ويبقىان معا لأول مره . هو مرتبك حائر بهذه المهمة المفاجئة .
لكن إبتسامة رفيقة المشجعة وأعواد الورد والايريس والداليا
وجمال الربيع تزيل عنه كل حرج وحذر كان يطبعه سلوكه

نحوها . وتدعوه رفيقه بصوت رقيق عذب ، اتفضل . . . اتفضل أنا
جاهزة للدرس ،

عمود — الورد من أقدم وأشهر الزهور أعواده معمرة .
يزهر طول السنة خاصة في الربيع والخريف ألوانه كثيرة ، ويزرع
في معظم دول العالم .

— رفيعة يعنى دولى .. مالوش وطن .

— وطنه الأرض . . . وطول ما هو فيها تلاقيه قوى .

— لكن بيدبل بسرعة بعد القطاف .

— لأنه انفصل عن موطنه .

— يعنى ضعيف ما يقدرش يتحمل التغيير .

— برضه بيعيش يومين ثلاثة بعد قطفه .

— وعشان كده رخيص .

— لكنه مطلوب وناس كثير بتحبّه .

— تجارته غير مربحة . . . أحسن - حاجه نصرف نظره عنه .

— أحسن حاجه أجيب لك كتاب عن نباتات الزينة تقريره وبعدين

أشرحه لك .

— ذى كتاب الحشرات .

— إيه ما عجيش ؟ . . ده مبسط وفيه معلومات ظريفة .

— أنا رفضت أقرأه . لأن حسيت انك بتستهرض عليك .

— أنا بقى اعتبرته وسيلة تعارف وتقام .

— يجوز ده كان قصدك لكن دى كانت فكرتى عنك .

- وده سبب نفورك ؟
- أبدا . . . ده أنا أحب الناس والمجتمعات .
- باين . . . كنت كل يوم خارجة .
- وأنت كنت واخذ بالك منى ليه ؟
- طيب ، إنى آخد بالى منك .
- طيب - به ؟
- لأنك ملفنة للنظر ومثيرة للاهتمام أولا .
- (بدلال فياح) وثانيا ؟
- دايمما بتجرى أو ماشية بسرعة .
- (بدلال عارم) وثالثا ؟
- وكل يوم بلبس جديد وهدوم جديدة .
- ورابعا ؟
- مالوش لزوم رابعا دى .
- لا . . . لازم أعرفها .
- جميله .
- وهى دى الكلمة الى مش عاوز تقولها .
- فيه حاجات تفهم من غير ما تتقال .
- مش محتمل إن الطرف الآخر ما يقدرش يفهم بالإشارة ؟
- الأذكياء يفهموا بالإشارة وتعبيرات الوجه .
- بلغة العيون ؟
- دى لغة المستقبل . كلام قليل . وتفاهم أكثر بالعيون .

— تبقى مشكلة لأن ما حدث يقدر يحفظ بسر في نفسه .
— الحياة تبقى بسية . . . نوايا سيئه أو اتجاهات هدوانية
المجتمع ح يكون الأخير والسلام . . يبقى مفيش لزوم للاسرار
— لكن كل واحد تحب يكون لها سرها الخاص . . . طبع
لمرأة كدة .

— في عالم المستقبل الندية ح تكون كاملة بين الرجل والمرأة
موفقه في العمل والسلوك . وبالشكل ده فيه حاجات في طباع المرأة
ح تتغير .

— يعنى العواطف ح تتحقى بين الرجل والمرأة ؟
— العواطف والمشاعر الإنسانية مستمرة لكن العلم ح يهذبها
ويرقيها .
— والحب ؟

— الحب باقى بقاء البشرية بس ح يخضع للتفكير والعقل
— يعنى مفيش حب من أول نظره ؟

— الحب ح يكون من النوع المحسوب . يعنى الواحد يدرس
الواحد . يقدر صفاتها وعقلها وشخصيتها وأهدافها في الحياة . وإذا
وجدما تتوافق معاه بيتدى يترك لعواطفه الحرية لتنمو وتتهجه للطرف
الأخر وبالشكل ده يفشأ نوع من الحب المدروس . .
— كلام جميل .

— والأجل منه إننا نرجع للدرس والواقع بتاعنا

— أنا شايته إن وافقنا حلو ومبشر
ويؤخذ محمود بهذه الإشارة اللبقة ويفاجأ بها تفاديه ضاحكاً
وتردعه « باى ... باى ... » ويتابعه — وهى تفر أمامه
حتى تختفى .

— ٤٢ —

يتجول د . سلطان فى أحد حقول التجارب بالكلية ومعه محمود .
وبين الحين والآخر ينحنى ويفحص بعض البراعم ثم يقف ويوجه
سؤالاً إلى محمود « قطاعات الأسبوع اللى فات عملت فيها إيه ؟
— فى الشلابة .

— أنا عاوز أصورها تصوير ميكروسكوبى بالالوان .
— مفيش إلا جهاز المركز القومى اللى يطالع الصور دى .
— وماله أبعت جواب وعندنا اعتماد التجارب جاهز . نصرف منه .
— أروح اتفق معاهم الأول على المواعيد وبعدين الجواب .
— موافق ، بس يمنى السرعة لأنى عاوز أوصل لنتيجه محدده
وكان يلزمنى بعض التحاليل عن التربة .

— دى سهله عندهم قسم أبحاث التربة .
— عاوز أخلص من تجاربى بسرعة واكتب البحث وأبعته

منظمة الأغذية العالميه بروما

— إن شاء الله .

— ولو إتقبل البحث أقدر أحضر المؤتمر السنوى .

- وعندئذ تظل من عيني محمود اسئلهامات عن بحثه . ويلتقط د . سلطان ما يدور برأسه فيسأله « وعملت إليه في موضوعك ؟ »
- أنا سبق قدمت ثلاث موضوعات لسيادتك . . . ورفضتها .
- لازم نشوف حاجه ثانية .
- أنا لازم أكون مقتنع بالموضوع ، اللي ح ادرسه .
- وعامل إليه مع رفيق بك ؟
- عندي أمل نكسب جايزة الجلاديولاس .
- وياترى مسجل بياناتك عن نموه وأمراضه ؟
- (بحماس شديد) أنا عامل شغل نموذجي . بطاقة اكل عود مسجل فيها مراحل النمو ، المعاملة الكيميائية ، الرى ، درجة الرطوبة والحرارة .
- إليه رأيك لو تخليه موضوع الماجستير
- أنا الفول في دى ومستول على فكرى .
- (بفضب شديد) هو أنا كل ما ألكمك تفتح موضوع الفول انت مش عاوز تفهم مصلحتك
- يهمنى سيادتك ما تزعلش منى
- طبعا زعلان لأنى صبرت عليك كثير وفهمتك وانت مش عاوز تفتتح . . . زمايلك سجلوا موضوعاتهم وانت لسه
- ويتردد محمد بين الإجابة والرفض . لا هو قادر أن يقول « نعم » ولا يستطيع أن يلفظ « لا » الضباب والحيرة تلفه تماما . ويلقى إليه د . سلطان كلاما أشبه بأمر أو بتعليمات « تجهز ورقة بالموضوع وتجييها المكتب علشان أوافق عليها . . . وما تنساش

القطاعات والصور ، ثم يذهب لجأة تاركا محمودا غارقا في أفكاره لا يدري ما يفعله وقد أصبح لزاما عليه أن يتخذ قرارا ...
ويخلو بنفسه في غرفته كماهته كلها أحاطه به ضائقه أو عندما تختلط عليه الأمور . ويدخل فيجد فاطمة جالسة مع العجسوز في محاولة لكشف المستور والمكتون بين أوراق (الكوثينة) . وتستقبله فاطمة بابتسامة عريضة وقد بدت في أكل زينة . ويحبها محمود وأهلا فاطمة ... وحشاني .

فاطمة — « صحيح ولا بس كلام » .
محمود — لازم يكون صحيح لأنك من مدة طويلة مش بابتة .
فاطمة — جيت كذا مرة وانت اللى مش موجود .
محمود — هم مرتين بس اللى جيتهم ... مش كده يا سعد نازلى ؟
العجوز — أيوه يابنى ... هى رخرة مش فاضيه . السجاد واكل عقلها .

محمود — فعلا الشغل يلهى .
فاطمة — لكن عمره لمانى عنك .
محمود — فيكى الخير ... العشرة مائره فيكى .
ويجلس الجميع ويقول فاطمة « أنا جاية أشورك في موضوع مهم . »
— خير .
— إانت عارف الحاج صديق . عاوزنى أشاركه في مصنعته .
— تشاركه ... إزاي ؟
— بقيه الأربع أنوال بتوعى ... ومش عارفة أعمل إيه ؟
— وهو عنده كام نول ؟

- سجنائى .
- يبق تفاركيه بالنس .
- وهو مقول يوافق .
- هو إتيقح نقتل في المصنع والا لا ؟
- ذى ذيه ... هو سى ساعات وأنا سى ساعات
- يقى تسمى بالنس .
- ولوروى ... أوافق ؟
- طبعاً .
- بس أنا مش مرعاه له ؟
- ليه ؟ إعمل القعد عند واحد محامى .
- مش قسدى ... أصل الحاج يبيع لى بشكل غريب كده .
- ده راجل كبير ذى أبركى .
- كان نفسى نقولى ما نشتغلش معاه .
- ليه ؟
- نفسى أحس إنك بتغير هل .
- أنا أصل واثق منك .
- أما أنا فتاه يياكلنى من ناحيتك .
- ويضحك محمود دون أن يجيبها ثم يدهرها للقاء « ما تنغدى معايا النهارده » ونجيبه فاطمة « سبقتك ... المرة اللى جاية تنغدى سوى بس أنا اللى أجبر كل حاجة » .
- موافق .
- خلينكم بمافية .

يذهب محمود إلى فائزة بالاسكندرية . باحثاً عندها عن حل لمشاكله .
لعلها تأتية برأى مفيد بعد أن بات على مضض لا يستطيع أن يحزم أى
الأميرين أصلح وأجدى . أيقبل ما طلبه . د . سلطان منه أم
يرفضه ؟

ويدخل المدرسة كما دخلها أول مرة . ويسأل عنها السكرتير الذى
يفيده « دى خرجت من شوية » .

— ح ترجع لمتى ؟

— ما أقدرش أجاوبك ... لكن شفتها خارجة مع الدكتور . .
الدكتور ندا .

ويبهت محمود ويقول « سمير ندا »

— تمام ... حضرتك تعرفه .

— شويه ... لما تيجى الآلة فائزة قولها إن محمود العفيف حضره .

ثم يعود بنفس الطريق والوسيلة التى أتى بها وقد اجتاحت عاصفة مدمرة
من الغيرة والغضب . لم ينتظر لحظة ليسألها عن منافسه الذى عرف
مكان عملها وزاها ... وسعى إليها ... لم يتردد لحظة في ظنه أنها لازالت
تأرجح بينه وبين هذا الدكتور ... ومن يعلم ؟ ... فقد تكون فعلته
أوهى في سبيل ذلك :

ويكون عليه في الصباح التالى أن يبدأ درسه الثانى مع تلميذته الجديدة ،
التي تقف أمامه وقد ارتدت فستانا يحدد المعالم الثورية في جسدها النائن

ويبرز الاستعدادات الانسيابية المنسقة . تمسك بيدها كراسه صغيرة وبالأخرى قلبا تستند طرفه إلى خدها وتذلف هذه اللوحة الزائفة بانتسامة مشعة . ومحمود من ضيقه وما يعاينيه لا يلم بهذا الجمال وهذه الفتنة ويقول بصوت جاد بكل الجسد . النهارده حتتكلم عن الجلاديوس .

ولا تعلق رفيعة على عبوسه وتحفظ بصورتها الجلابية لتحدث تأثيرها فيه . ويستمر محمود « وهى من الأبطال الغالية التى نجحت زراعتها فى مصر بشكل كبير . تستورد أبصالها من هولندية . ولها أسواق تجارية كثيرة فى أوروبا » وتقاطعه رفيعة « مش لازم تقطع لى واحدة علشان تشرح عليها » .

ويفعل محمود ما أرادته ويقدم لها واحدة يانعة مثلها وتأخذها منه ثم تسأله « ودى بقى ١٠٥ ولا ١٠٦ ؟ »
ويبتسم محمود قائلا « لانى لسه فاكرة ؟ »

— طبعا لانى كنت متوقعة منك إنك تختار لى بوكيه جميل بمناسبة عيد ميلادى .

— أنا فعلا إنفعلت قوى . بس لازم تعذرينى لانى اهتمى مركزى على المسابقة والجائزة .

— وإنك يعنى ضامننا ؟

— آسعين فى الميه .

— بأه ... ده إنت عظيم الثقة فى نفسك قوى .

— أنا زرت الجنان والمشاكل المنافسة لنا في المسابقة . لقيت
زرعنا أحسن منهم كثير .

— ومش عيب تتجسسى ؟

— ده مش تجسس... عمية فضول .. عمية دراسة المنافسين .

— لو كسبنا الجائزة دادى ح يعمالك حفلة كبيرة .

— مالوش لزوم .

— ده أبسط تقدير لجهودك .

— الكأس في حد ذاته أ كبر تقدير .

— إيه فائدة إنك تكسب الجائزة من غير ما حد يعرف ؟

— الصحافة ح تكتب وتنتشر عن المسابقة .

— لكن أصحابي وصديقاتي مش ح يعرفوا .

— ما يقرأوا الصحف .

— دول بالسكتير يقرأوا العناوين العكبيرة . وكان مش ح يرضوا

إلا بالحفلة .

— وهى الحفلات سهلة للدرجة دى ؟

— أبدا بتكلف وبتأخذ تمهين كثير لكن المهم المجتمع والميعة

والرقص والمرح .

— إاضينى من الحفلة دى .. ح أكون غريب بين الموجودين .

— أنا وداوى نعرفك بيهم ، مع كأس يظليك تقدمج فيهم بسرعة .

— ما بأشربش .

— أطلقك ذى ما بتعلمنى .

- أنا بأعلمك حاجة مفيدة .
- وأنا أعلمك المرح والإطلاق .
- هما اندمجت معاً ح بفضل يبنى ويبنهم حواجز .
- حواجز ؟ .. حواجز ؟
- حواجز زجاجية تشوف بعض لكن تفصل بيننا .
- أنا مش فهاك ولا فاهمة الحواجز بتاعتك دى .
- الحواجز موجودة بين الناس وبعضهم فى التفاليسد والثقافة والتعايم والمستويات الاجتماعية والمعتقدات السياسية .
- واحد متعلم ذيك مش ممكن يقول الكلام ده ولا يفكر فيه .
- الحواجز فى أعماقنا .. نشأنا لقيناها فينا ومعانا .
- طيب ما تشيلها وتستريح .
- صعب جداً ، لأنها مش مشكلتنا لوحدها ، دى مشكلة الجيل كله .
- وتفيض الإنشراحه والابتسامة من وجهها ويحل مكانها ضيق وزهن وتقول له « أنا مش فادزه أفهمك ، ساعه أحسن بيك قريب منى وفجأة الأليك بعيد » .
- آهوده رد الفعل بتاع الحواجز الى كبتك عنها .
- (فى غضب) انت النهارده بتكلتى بلغة غريبة ... من يومين ما كنتش كده .
- بكلمك بلغة المنطق ... ما نقدرش نوقف عقولنا .
- (بانفعال وضجر) نوقفها شويه .. إذا كانت حتمينا .

— ونعيش ازاي ؟

— بشمورنا باحاسنا الصادق . . كل ده مش كناية ؟
ويتأثر محمود بحمارة كلماتها فيردد متمنيا « ياريت ... ياريت »
ويرين عليهما صمت مرهق مهلك . هي صامته تداعب الزهرة التي في
راحتها وهو يتأملها ويتابع كل لفظة وحركة منها . وأخيرا يصدر
عنها ما لا يتوقعه أو يتخيله . ترفع الزهرة إلى فمها وتقبلها ثم
تقدمها له بكنيتها وترفعها ، وكأنها كأس خمر ، إلى فم . فيميل
بوجهه يلثمها فتزلاها رعدة وانتفاضة تسري إليه تهزه من أحمصه
إلى هامته فيقبل راحتها ورسغها باقتتار . ولجأة تسحب يديها
منه ، وتحتدیر بسرعة جارية في اتجاه القصر ذون أن تعقب بكلمة .
وتكتفي بأن تعبر عن نفسها بالتصرف وبالموقف . ويتجمد محمود
في مكانه ومن حوله كل شيء هادئ ساكن لا حركة ولا صوت
حتى الأشجار والأوراق والأغصان . . . حتى المصافير تطير
طيرانا صامتا .

وفي الصباح يقدم محمود ورقة بموضوع بحثه يقرأها الدكتور
سلطان بصوت مسموع ، أمراض الجلاويدلاس ، ثم يهر رأسه
مراقفاً على نقاط البحث ، ويلتفت إلى محمود قائلاً مبروك ويوقع
على الورقة . . . ويردف ، تبقى تورين شغلك أول بأول »

— حاضر

ليالى الربيع دائماً جميلة . الليلة يحتفل رفقى بك وابنته ومحمود
بجائزة الجلاديو لاس . كأس معدنى لامع يعكس أضواء الشموع
المحيطة به . يهتز لهم راقصا يزف الكأس ويحتفى به . وكا
يلعب الكأس تلمع عينا رفقى بك ببهجة الفوز وأملأى مزيجاً من
الدخل والرخاء يبعد عنه غمه المورد الناضب . وتلمع عينا رفيعة
وتنتقل بهما بين الكأس ومحمود . وتجول على صفحة وجهه . ترى
فيه البطل الذى تبارز وكده وفاز . وتلمع عينا محمود ببريق النصر
فى معركة خاضها بعله وأصائله الزراعية .

ما تفتان لا ثالث لهما وثلاثه جالسون لارابع لهم . المائدة الأولى
عليها الكأس والثانية حفلت بأطيب الأطعمة وأمتع المشروبات .
ويملاً رفقى بك الكزوس الثلاثة من قنيدته جميلة . ويرفع إحداها
إلى فمه وتتبعه رفيعة أما محمود فيلزم الفضيلة . وترجوه رفيعة
بصوت يذيب كل مقاومة . دى ليلتك وحفلتك . . . علشان خاطرى ،

— بس أنا عمرى ما . . .

— أول حاجة أطلبها منك ترفضها .

— بس أنا . . .

وتقدم له الكأس فيقربها إلى أنفه ليشمها ثم يمددها مرددا .
لكنها تدفع يدها حتى شفته ويثجرتها غير مستسيفة مذاقها غير أن
الدفء يسرى فى عروقه والنشاط يدب فيه
ويمب رفقى بك بها ويحتضن الكأس ويقبله بن الحين والآخر
فى حنان وافر وتمتج رفيعة : أنا ح أغير وأزعل . .

— باحبه قوى مش قادر . . . هو النهارده . . . أما انتى لخيشى على طول

عمود — حلالة النجاح تطلق اللسان والعواطف .

رفيعه — طيب وقاعد ساكت ليه ؟

عمود — ظاهريا فقط .

رفقى بك — خذ الكاس ... احبته شويه ... وبوبه كان ...

ده بتاعك .

عمود — المفويا رفقى بك ... انت برضه صرفت وتعبت .

رفيعه — أنا حاسه انى عاوزه أطير ... عاوزه أجرى .

رفقى بك — الدنيا واسعه قدامك ... انفضلى طيرى .

رفيعه — لوحدى .. ؟ تمالوا معايا .

رفقى بك — طيرى انقى وعمود ... أما أنا مش متحرك من

جنب السكاس .

رفيعه — يالله بينا إحنا .

ويسيران جنباً إلى جنب ثم يمرعان الحطلى .. ثم يحريان ...

ويتوغلان فى الحديقة حتى يلفهما الظلام ... ويلهتان ويمشيان ...

ويتقاربان وكلما ازدادت حلكة الظلام كلما انصقت به . وتتلاصق

الأيدي . ولا يديران أيهما الأسبق بها للآخر . وتضع رأسها على كتفه

المريض وتمس له بالسكاس جسد أمل فيك ... أعصاب هديت ..

وقلبى مرتاح .

ويحيطها عمود بذراعه، وتستمر فى قطرات الحمس ، أنا كنت

شارده ... تايمة ... ما ليش بكره ... ولا كان بهمنى أعرفه ...

دلوقت حاسه بنفسى ... بقى لى أمل ... شاعرة بالسلام والأمان

وترفع عينها شبه المغمضتين وقد انبلجت شفتاها عن فتحة صغيرة كانت كافية لأن تعصف بعمود وتذيب حواجزه وتفسيه كل شيء إلا شبابه وهذه الفاتنة اللائذة بصدرة ، يفوح منها عبير الأنوثة يحركه ويستدعيه . ويهبط رأسه عليها وتلمس الشفاه في لين ورقه . . ثم تتعاقب في عنف عارم وشرق حارق ، حتى يجهدهما الوقوف فيجلسان إلى أقرب صخرة وهواطفهما لازالت مشبوبة . القبيلات وسيلتهما للتعبير . والهمس تزيينها المفضلة . وتردد رفيعة « عمود . . . عمود » .

— رفيعة .

— لا . . . روفى .

— روفى . . . إبقى كنت فين من زمان .

— جنبك .

— كنت دائما بنجرى . . ذى الفزالة المربانة .

— بأهرب من الصياد . . لكن الصياد مسكنى أخيرا .

— بس لإمتى ؟

— على طول . . . على طول مش ح أسينك أبدا . . .

— مش معقول .

— له ، أنا متأكدة من عراطنى . . . ومتأكدة من سعادتى

معاك .

— مش أحسن نصبر شوية ونفهم بعض أكثر ونختبر هواطفنا .

— أنا متأكد من نفسي . مقتنعة بـيك شريك عمرى .
 — فيه حاجات لازم تعرفها عنى وعن أهلى قبل ما تقولى الكلام ده .
 — أنا عرفاك ومش عاوزة أعرف حاجة أكثر من كده .
 — الجواز مش سهل لازم تعرفى كل حاجة عن أهلى .
 وتضع ربيعة يدها على فمها تحبس كلماته المندفعة منه وتقول « أنا سعيدة
 بـيك وفرحانة بـيك ودادى مش ممكن يقول لا .
 — بس لازم تعرفى

— (مقاطعة) أنت عاوز تزعلى فى الليلة دى سبب المنطق شوية .
 — وتنهض واقفة وتشده من يده تسحبه جـرياً حتى يصل إلى
 رفقى بك الذى يقول بلسان متلثم « لآتم جيتوا حببى خلاص
 مش قادر يشرب معاً » ، مشيراً إلى كأس الجلادىولاس .
 ربيعة - أنت يادادى شربت كثير خالص .
 رفقى بك - (متلثماً) أبدا . . . دول ست كاسات لى وستة للجائزة
 هاها . . . هاها . . . ها . . .

وتهمس ربيعة لمحمود « مش ممكن أكله الليلة وهو فى الحالة دى »
 ثم يجلسان وتناول ربيعة كأسين تناول محمود أحدهما فيعترض . . لسكتها
 تلج عليه وتصر على أن يشرب قائلة « الليلة دى بقت ليلتى أنا . . .
 ولازم تشاركنى كل حاجة » ويشرب ، وتجرى الدماء حارة فى عروقه
 ويزداد إفتاناً بها وبخطراتها وقبلاتها الخاطفة . وتدير ربيعة راديو
 صغير على موسيقى راقصة ، وتدعوه ليرافصها فيقول لها « ما أعرفش . .

عمرى ما رفعت « ففتح له ذراعها مدعوه إليها قائلة « أعلك ...
ومن هنا ورايح أعلك حاجات كثيرة »

ويقف لا ليرقص ... لكن يحضن ذلك الحصر الدقيق ويدنو منها ...
لا يدري أين هو أين قدميه ... وتحرك وتأثر له حركات الموسيقى ...
وهو شارد عنها ... شارد بشفتيه على خدها وعنقها وكتفها وأى
شئ يطولها منها . وهى تصرخ وتمرح وتماثله .

يستمر الحفل بين الهوى والضحك والرقص حتى يبدو التعب عليه ويقل
كلامه وتثقل رأسه ويشرح بجأته إلى النوم ويسأل « الساعة بقيت كام »
وتنظر إلى معصمها ثم تقول ضاحكة « يا لثنتين يا ثلاثة ... »

محمود - لازم أروح ... ده أنا عندى محاضرات بكره .

رفقى بك - (متلعثا) لهه بدرى يا محمود .

محمود - (أكثر متلعثا) لازم أقرأ المحاضرات وإلا الطالبة
يصفروا لى .

رفقى بك - إيه هو أنت برجيت بردو هاها

محمود - (غاضبا) .. لا أنا محمود العفيفى .

رفيقة - طيب يا محمود .. الحواق يوصلك ..

ويركب وتلوح له رفيقة بيدها البيضاء وهو يكاد يصمونه أن يزيده
لها . وتمضى العربية به وقد فتح نافذتها لينتشر بهواء الليل الرطب ... حتى
تجتاز العربية كوبرى أبو العلا فيطلب من السائق إيقافها ، وينادىها منضلا
قطع باقى المسافة سيرا على قدميه ليفيق ويذهب عنه ذلك الطنين الداوى
فى رأسه .

ويمشى بمحطرات مترنحة ويترنم بأغنية شائعة . وتحمله قدماه دزين
أن يمشى إلى الشارع فضالى أبو الذهب حيث منزله القديم . ويصعد
الدرج بصعوبة لا يسكاد يقين من الظلام موطأ قدمه .

ويصل السطح بعد لآى . ويخطو نحو غرفته السابقة ويولج أحد
المفاتيح فى بابها فى محاولة لفتحها باصرار من عقله اللاوعى ، وكأنه يبحث
عن ماضية . وتحدث محاولاته جأبة توقف فاطمة ثم أباهما وأماها . ويبتدل
كل فى سريريه ، ويظن الجميع أنه لص . ثم يسمعون صوت جسم يسقط على
الأرض ويندفعون إلى الهالة فى خوف ووجل . ويلحق بهم مختار الذى
يقول « ده حرامى نازل بالسجاد فوق »

ولا تحمل فاطمة مزيدا ويتقلب حرصها على ممتلكاتها على كل حين
فتندفع إلى الباب تفتحه وتنير السالم . وتشتق شهقه المذهولة وتصبح
« ده محمود يا أم . . . الحقيقى ، وقدب فيهم الحركة ويذهب عنهم شلل
الخوف ، ويتجمعون برؤسهم فوقه ويحاول مختار أن يشده إلا أن محمودا
يظل على حالته يمددا على الدرج ورأسه إلى أسفل فى أغماة . تقترب منه
سنيه ثم تقول « ده باين عليه سكران ريمته خمرة ، ويرفعونه حتى يعتدل
ويجلس ويردد بصوت متلثم « أنا فين . . . »

سنية - عندنا يا خويا . . . عندنا .

ويهم بالنهوض وتحذله قواه ويتساند على مختار وفاطمة هابطا الدرج
ثم يسقط بعد هذه درجات ويتناول عليهما فى حمية « سيونى . . . سيونى ،

سنية — أسكت . . . الجيران تصحى وتفضحننا ممالك .

وتعاون فاطمة ومختار فى وفه حتى يدخلوا به الشقة ويجلسانه على

الأريكة تقول فاطمة لأمها « عمل شاي وألا قهوة علشان يفوق »

عمود — لا . . . أنا عاوزو-سكى .

عم عبد الله — وسكى . . . ده بيق طينه خالص ،

فاطمة — لما ينام ح يفوق .

عبد الله — ينام . . ؟ . . ينام فبن ده ؟

فاطمة — فى أودق وأنا أناام هنا فى الصالة .

ثم تردف القول بالعمل وتمسك محمودا وتنزل لآخيا ، يا الله
يا مختار إلسنده معاى على أودق، بينما عم عبد الله فى ذهل بما يجرى أمامه .

ويضمانه على السرير ، ويخلعان عنه سترته ورباط عنقه وحذاه . وتأق

سنية بالقهوة وتعلق ، معقول الكلام ده . . أنا غنى ح يطير ،

فاطمة — يعنى نسيبه يمشى علشان يقع ع السلم ولا فى الشارع .

وبعد أن تسقيه فاطمة القهوة يخرجون تاركينه راقدا بمددا لا يدرى

شيئاً عما حوله .

تذهب فاطمة إلى أريكة الصالة لتنام . ويبدأ كل من فى البيت على

فراشة يستدعى النوم ، إلا فاطمة التى لا يغفو لها جفن بعد أن تحركت

كل افكارها وتساءلت عواطفها فى حدة . وتجتاحها تيارات عنيفة من

الاضطراب والحب والشرق والرغبة والحسيرة . وتساءل أين

كان حتى هذه الساعة ؟ ومن الذى أسقاء خمر حتى نمل ؟ وتهتدى بفكرها

الأنشوي إلى المحرصة . . . ابنة رفيق بك ولا أحد غيرها . لكنه جاء

إليها فى النهاية . . لينام عندها . . لياوى إليها . أنه يريد لها . . وينالج

صدرها تلك التنبؤات .

تذهب عنها حيرتها ويبقى الشوق والرغبة وكما يريد لها فى تريده . .

إنه على فراشها وعلى خطورة منها .. تريده لها يستوى أن يتم ذلك جهرًا
في وثيقة مسجلة، أو في روابط مستورة من العشق والهوى، ماذا لو ذهبت
إليه وأخذته لنفسها ، وفي الصباح يجد نفسه قد صار لها وصارت له .
وتبعد عنها شياطينها المربدة . وتضع الوسادة على رأسها تسد أذنيها
عن سماع شقيقه وزفيره . تزداد السلام وأنى لها ذلك وهو يتقلب في
فراشها يزرم ويهر ويتمم بكلبات غير واضحة ..

الجميع نيام وفي سبات عميق. ويفجر هذا السكرن آتون شوقها وتلوى
على الأريكة معذبة . ويصدر عن محمود أصواتا غريبة .. أنات أو غصه
أو حشرجة . وترتعد وتستوى قاعده .. وتستمر الأصوات الغريبة .
وتترك الأريكة ، وتسترق الخطى وتذهب إليه وفي يدها كوب ماء
لتنقذه بها ، وتقرب منه وتنحنى إليه تناديه وتناجيه بصوت خافت
« محمود .. محمود .. » ثم تستيقظه بهزه رقيقه من يدها المرتجئة .
يلتفت إليها برأس غير ثابتة قائلا « أنا فين .. أنا فين ؟ » فتمس له
بشدة « هس وطى صوتك » وترفع رأسه بذراعها العارية لتسويه جرعة
ماء . وتشاغل رأسه على ذراعها فتسندها بصدرها . وما أن يمسا حتى
يضطرم كيانهما وتشتد ضربات قلبها . وتسقيه الماء بيد مرتعشة وهو
ينظر إليها مرددا « أنا فين ؟ »

وتجيبه « هس ... حد يسمعك » وهم بإعادته إلى رقدته ولكنه
في صوت متلهثم يسألها « أنا فين .. أنا فين ؟ » فتضع يدها على فم تسكنه
فيمسك بها ويقبلها ويتلذذها ويلعقها . وتتلأشى كل إرادة لفارقتها .

وتزول عنها كل نازعة خوف ويحتج منها كل تفكير في أيها وأما وما يمكن أن يحدث وما يحتمل أن يكون . لم تعد تدرى إلا بذلك الدم الحار يسرى في عروقها يحرك عواطفها المخزونة وتطلق لها العنان كل العنان . وتسعى إليه عندما يجذبها نحوه وتلاقيه بشفتيها عندما يقترب بغمه منها وتلهث وتتنشئ وهو يدعكها دعكا وحشيا . وتئن أنينا مكتوما وهو يفر بهما فريا . وفجأة بطرق سمها حركة آتية من إحدى الغرف ، وتبتعد عنه في توتر شديد تنصت بكل جارحة وتكتم أنفاسها اللاهث ، تتبين الصوت ومصدره ولا تسمع إلا ضربات قلبها . وما عدا ذلك فالسكون شامل والنوم يفشى الجميع . تهدأ وتطمئن بهذا الصمت المشوق وتلتصق به . ويطويهما الظلام في غلاته المحرقة . تنظر إلى ذلك الرائد جوارها وقد تمرى صدره وظهر شعره وتضع يدها عليه تداعبه ثم ترقح برأسها عليه وجسدها الساخن ينبض نبضات متتابعة . ويتحرك محمود ويفتح عينيه قليلا لا يدرى من هي . . ويحتضنها ، يضمها إليه وينهل منها نهلا غزيرا وخياله المغمور يحاط عليه تلك اللاتجمة به قايزه . . . فاطمة . . . برفعة . . . الثلاثة معا .

وفي الصباح تكون سنية أول من يستيقظ وتمر بابتها النائمة في خدر لذيذ ثم تدخل الغرفة حيث يرقد محمود فلا تجدته وتهرع إلى لبنتها سائلة « فاطمة . . . فاطمة . . . محمود راح فين ؟ »
وتجيبها فاطمة وهي ناعسة والابتسامة تعلو ثغرها « ده بخرج على وش الفجر » .

— من غير ما يقول الحد .

وبنفس الصوت الحالم تقول فاطمة « قالى » .

وتمز الآم رأسها بعد أن أدركها سرايقامة ابتها الهائنة وتنقلب فاطمة تولى أمها ظهرها لتعاود نومه بالجميل لا تدرى بأما ولا يسها أن تدرى .

الشمس تضرب النوافذ في شدة توقظ النيام . لكن رفقى بك لا يزالان في فراشه من أثر حفلة البارحة . وتهل رفيعة نشطة باسمه يانعة وتقبله قبله الصباح وتقول : إئت شربت كثير قوى إمبراح يا دادى ،

— من نفسى مرة ... بقى لى سنين لا شربت ولا ضحكيت .

— كنت هاوزة أقولك على موضوع مهم جدا جدا جدا .

— جدا جدا جدا ... اتفضل جدا .

— خلاص اتفقت أنا ومحمود .

— إيه ... اتفقت على المحل .

— عل إيه يا دادى ... حاجة أحسن .

— إيه ... شركة كبيرة .

— هى شركة ، بس خاصة بينا إحنا الإثنين .

— مش فاهم .

— باختصار اتفقت معاه على الجواز .

وتهمز الكلمة رفقى بك وبزبح الغطاء عنه ويذ—ادر الفراش

ويراجبها « بتقولى إيه ، ... تتجوزى؟ » وتجيبه بإيماءة من رأسها .

— (غاضبا) تتجوزى محمود ؟ ... إلتقى عارفة هو مين ولإين

مين ؟

فتهمز رأسها له مرة أخرى .

— محمود فلاح ولإين فلاح ... ما تتفريش بمنظرة .

— إحنا اتفقنا ... وما أقدرش أرجع فى كلاسى .

- ليه الشبان الكويسين انتھوا من البلد ؟
- أنا ميالة له ... وانت السبب .
- أنا السبب ؟ أنا قلت لك روحى حبيبه ؟
- أيوه ، انت الى خلتي أتناشط معاه وأفهمه ويفهمنى .
- أنا قلت خليكى لطيفة معاه واعرفى منه أنواع الورد والزهور .
- يا دادى لانى متصور إن العلاقة بين الناس بتقف عند حد معين ؟
- كان لازم تاخدى بالك باستمرار انتى ليه وهو ليه ؟
- محمود بأرتاح له . باحسن إن حياى معاه لها معنى ...
- أشغله معاى إزاي دلوقتى ؟ بعد الإلتفاق بتاعك ده .
- ولله الى يمنع مش هو الى جاب لك الكاس وهو الى يقدر ينفذ مشروعاتك .
- مستحيل ... لأن معنى كده لنى موافق على الجرازة دى .
- سوايه أسباب عدم الموافقة ؟
- حسبك ونسبك وأصلك .
- أصلى وحسبى ده الماضى الى أصبح بدون قيمة ... بدون أسهم وعقارات ... لازم أبص للمستقبل .
- لانى يا روفى الى تقولى الكلام ده ؟
- طبعا .. لأنك لانت اللى صحتى من خيال الماضى وأبعاده الضائعة . ولقيتني باشوف محمود بصورة جديدة .
- أمال تاسو الى كتبت مشغولة به ... لميتيه ...
- تاسو كان مرحلة من حياتى وقامت .

- إعتبرى محمود مرحلة وفاتت .
- إنت يا دادى عاوز ملغنى قلبى وتدفن شعورى .
- أبداً . . . أنا عاوزك تفكرى وبشوية مقارنة بينك وبينه
ح تقضى إن الجوازة دى فاشلة.
- إنس الماضى يا دادى . . . الدنيا اتغيرت ومحمود اتغير واحنا
كان لازم نغير .
- التغير الى إنتى شايفاه ده سطحى . لسه فيه الفقير والغنى
والجاهل والمتعلم وابن الأصل والواطى .
- بس محمود حاجة تانية ما تبصش له فى عياله . . . حطه فى
الجامعة بين الاساتذة ومع الدكتور سلطان .
- الدكتور سلطان أستاذ كبير ومن عياله كبيرة .
- محمود برضه ح يكبر ويبقى أستاذ كبير .
- إنتى مش عاوزة تفهمى .
- أنا راضية بمحمود وحاسة إن هو الى ح يسعدنى
- عموماً إنتى حرة . . . واعلى الى هوزاء .
- بس لازم توافق يا دادى
- أوافق بالمافية ينى ؟
- وتقترب منه وتحيطه بذراعاها وتقبله « أنا كبرت يا دادى . . .
وبافكر كويس ومحمود هو الشخص الوحيد الى اقتنعت بيه . . .
ويمكن اعتمد عليه ويريحنى ، وينظر لىها متشككاً ثم يقول « أنا ح
أوافق على فكرة الخطوبة ، وتقبله رفيعة مهله « مرسى . . . مرسى
قوى يا دادى . »

— بس لى شرطين ...

وتجفل قليلا عند سماعها ذلك وتقول « إيه هم ؟ »

— الاول إعلان الخطوبة يكون بعد إفتتاح المحل .

— موافقة :

— والثانى فترة الخطوبة تكون طويلة علشان تفهموا بعض كويس .

— مرسى يا دادى ... يا أجمل دادى فى الدنيا .

وتقبله ثم تدير رأسه إليها وتنظر فى عينيه قائلة « بس أوعى يا وادى

قعامله وحش ولا تزعله منك » .

— تأكدى إنى لازم أعامله كويس .. على الأقل علشان يشتغل

بجمة معاى .

— (بدهشة لهذا التفكير) ... مرسى .

الفصل العاشر

إلى أين؟... بعدما؟

— ٤٦ —

منذ تلك الليلة الياء ومحرد بادى الندم ، مثقل الضمير فى دوامة التأنيب . تدميه حيرته بين تأنيب نفسه واستبرائها . فما سعى إليها وما غوى . لكن هى التى جاءت على غير وعى منه ودلفت إليه وهو غمور وإجتاحته بعواطفها العاتية . وما رغب أن يتردى وما أراد أن يتراق . بل وكثيراً ما انتصر على نفسه معها وأفلت من أعاصير حبها الجارف حتى كانت تلك الليلة .

أفاق فإذا بها بين أحضانها نائمة على ذراعه نوم البريشة . وهى له أنه حالم حتى حركت ساقها العارية تؤكد الحقيقة العارية . ولمح على نور الفجر الخافت ابتسامتها الخفيفة تعلن له أنها بلغت مأربها وأحكمت نطاقها حوله ، وتسربت إلى كيانه واستولت عليه من الداخل حتى طبع بصمات جسده عليها .

لا يذكر كيف ارتدى ملابسه ولا ما قاله لها وهو يفادها هاربا ولا كيف عاد إلى غرفته ولجأ إليها ليتأقن نفسه ويستعيد ما حدث له معها ...

وإذا كانت غرفته منحه الهدوء بضع ساعات فقد أصبحت السكينة الملاذ والملاجأ . يفرق فيها بين الأوراق والكتب والمحاضرات والمعمل

ينغمس فيما يقرأ بأكثر مما يطبقه ذهنه . يدون ويسجل ما يرتبط ببحته
 عن الجلاد ديولاس . وأحيانا يذهب إلى المعمد ليقص قصص قطاعات
 الأوراق والسوق واللحاء والجذور تحت المسكر . يراقب ويضاهى
 خلاياها ويدرس أشكالها وألوانها . وأحيانا يلاحظ بعض الفطريات
 والميكروبات . يرى حركتها ونموها وانقسامها وتكاثرها السريع
 في سبيل الحياة والبقاء أو تقوقعها المثير، تدرأ عن نفسها عوالم فنائها .
 يرى فيها حركة الحياة وتداعى الفناء . أبسط المخلوقات أنشطها دأباً
 للحياة .

لكن فاطمه لا تتحمل غيابه تلك الأيام واختفاء هذه المسدة .
 وتتوجس خيفة من هروبه فتشتد في تعقبه وتجهد نفسها في تتبعه . لكنها
 لا تنثر عليه ، ولا تلقاه أبداً . وتلحظ الأم ابتها وشقوتها فتدق دمس
 قلت لك ونصحتك . . . ده ذى ابن عمه

—

— لا منه فائدة ولا عايده .

—

— مش بتقولى السجاد بقى فى دمك .

—

— آهو جالك صاحب السجاد كله لغاية رجليكى .

—

— نص المصنع حد يطول .

— (فى حصة بالغة) أدى له الأربع أنوال وأشغل المصنع

ويتجوزنى كان علشان نص المصنع .

— النهارده نصه بكره كله يبقى بتاعنا ...

— أنا رايحه لمحمود ... ولازم أرسى معاه على بر الليلة .

ولا تذهب إلا وفق تدبير محكم . تجهز طعاما شهييا مستطابا .
وتزين كما يحبها إن تزين وتمنح المعجوز مبلغا لتذهب إلى أحد المسارح .
وتطالبها أن تنقيب لأطول مدة ممكنة وإن استطاعت تبنت بالخارج .

يصل الفارس الحارب والأمل العازف ... ويفاجأ بها ويتجمد
في مكانه خلف الباب ... لا هو قادر أن يقبل عليها .. أو أن يدبر
ويقات . أحبط به ... وحوصر . ويهيم وزبحر وهو كالمهر القط
الفاضب . وهي واقفة وقد فرشت على ثقرها ابتسامة مغرية . وأرسلت
إليه نظرات هائمة ، وتأمل به بشغف ووله . ويتمعن فيها بدوره ، ويعين
زائمة قلقة وفكر حائر وانفاس مضطربة وصوت نازع يكشف عن
خنايا نفسه الرافضة المتمردة ... ويسقط نظره على المائدة المحملة بأطيب
الطعمة ... أرز ... لحم ... دجاج ... لحم ... لحم ... ثمها هي
واقفة ... وقد كشفت عن نحرها وذراعيها وصدرها ... والآخرود
العميق ... أسخى عرى وأبدل عرض ... وتكون صورته المائدة نهاية
تماسكه وخاتمه صمته . وتعصف بعقله حالة من الرفض والنفرد ... فيصيح
بلا وعى « لا ... لا ... لا »

وتتعجب فاطمة وتسأله بصوت منزعج . مالك يا محمود ... إنك
تعبان ، وتقرب منه لتهدمه فيزداد صياحا . ابعدى عني ... ابعدى عني .
وتقف فاطمة حيث هي مرتاعة خائفة . أنا فاطمة .. أنا فاطمة يا محمود
أنا حبيبتك ...

— انق مش حيلتي ... إنتى عاوزانى .. عاوزة تملكيني ذى
الأنوال والسجاد .

— أنا يا محمود ... ده أنا مستعدة أديك روحى واللى حيلتى .

— أنا فاهمك ... وفاهم حركاتك دى ... أربع سنين بتلنى على .

— أنا يا محمود أعمل كده ؟ أما صابرة ومستتية علشانك .

— تستننى ليه ... سكتى غير ستك ... طريقى غير طريقك ...
سيبيني فى حالى وابدى عنى .

— بعد السنين دى كلها جاي تقولى الكلام ده .

— فقت وعرفتك على أصلك ... ح تشترينى بأكلة ولا بليلة .

— لإشريك ... إانت يا محمود تمان ؟ .. حد وزك من ناحيتى ؟

— كنت سكران ... إانتى اللى جيتى لحد عندى ... عاوزة

تعيدى الحساكية تانى ... تربطينى بيكى ... إمشى ... إمشى اطلعى
بره ... بره .

وبعلو صياحه ويزداد هياجه وهو يندفع نحوها يصرخ « بره ..

بره » وتخاف فاطمة وتفزع وتجرى حول المائدة وهو يلاحقها فى

حركات تشنجية حتى تنفذ من الباب وتخرج وتولى هاربة تكاد تقفز

السلم قفزا . ويرتمى محمود على الكرسي يلهث فى انفعال شديد .

لا يستطيع فاطمة أن تواجه أمها بحالتها اليائسة الموحمة . وتصد

إلى غرفة المطبخ تبكى فى حرارة وحسرة أملها الضائع وجهها الغارب .

وتواجه الأنوال التى ما فكرت فيها إلا بسببه ، وما تحمست لها إلا

لتاحق به ، وترقى إليه ، ليرضى بها شكلا وموضوعا . إنه ذهب وخاع .

وبقيت الأنوال والسجاد ... وتضع يدها عليها تحسبها .. وتستشعر

سطحها الناعم وكأنها تتوامى بها في محبتها . وتربت عليها . . . فتجد بعض
الخيوط متراخية . وبحركة لا شعورية تأتي بالمشط الحديدى تضرب
به السجادة حتى تنضم خيوطها . تضربها بعنف غاضب .

وتسمع خطوات أمها صاعدة ، فتسمع آثار دموعها . تريد أن
تبسو أمامها قوية متجاذة . . . وتسألها الأم « إيه اللى جابك
قوام كده ؟ »

—

أنا كنت عارفه آخره جريك وراه ؟

—

— ده ذى القلع ط تا كل من صاحبها ونخر بشه .

—

— ماله الحاج صديق . . . راجل مليون ومبسوط .

—

— ح يكتب لك نص المصنع وكان خمسميت جنيه مهر ويحزك

من عنده .

—

— قلتنى إيه ؟ . . . إهدى واعقل .

—

— لو كان له غرض فيكى كان اتقدم لك من زمان . . . لكن

ما تمرش فيه .

—

— قلتي إليه بقى ؟

ولا تفوه فاطمة بكلمة ولكن تزداد ضرباتها بالمشط على السجادة
تضم خيوطها المتباعدة ويدها صاعدة هابطة في قبة وتصميم . ثم
تحمس سطحها الأملس بهدوء وتروى وكأنها تتلمس طريقها إلى حياة
جديده .

— ٤٧ —

ذهبت فاطمة وانحسرت عنه أمواجها العاتية، لكنه لا يزال يعاني من
أحداثها معه . لا يزال يتألم ليس بسبب القطيعة بقدر ما هو بسبب
القسوة التي عاملها بها والفظاظة التي طاردها بها . يلوم نفسه على شططه
وكان الأجدر أن يتحمل أقبالها بصبر طويل حتى يدركها اليأس فتبعد
عنه باختيارها . ولا يكون هو القاطع الباتر... هكذا يظن ويفكر . لكنها
كانت تنمى فيه حاجته اليها ورغبته فيها حتى وصلت به إلى نقطة المنتهى .
وكادت أن تمتلك ناصيته وتربطه بها وهذا ما يخشاه منها .

ما رفضنا لذاتها . لكن رفض فيها طاقتها الجاذبة . تشده إلى فلكها
ليدور فيه دورانا أبديا . وما خافها لكن خاف قدرتها الاستحواذية
ونزعتها التملكية ، فكانت غضبته وأورته .

وهو أن أعطى لنفسه بعض الأذى فيما بدر منه فإنه لم يستطع أن
أن يتناسى حبيبها وصفها ورعايتها له وسهرها على راحته ... ومن هنا
كان لومه لنفسه ... ومن ثم كانت معاناته .
ويرداد التصاقا بعمله وبحبه ، ولا يجد في نفسه رغبة في الذهاب إلى

رفقى بك أو مقابلة رفيعة، فهو يشمر في قرارة نفسه أنها مستحولة ضمناً ،
لإثارة انفعالاته وتحريك عواطفه التي فاضت بمجرد أن لامسته فاطمه .
وبستدعيه د . سلطان ويسأله : عامل إيه في بحتك ؟ .

— بجمع فيه له .

— لازم تضمن بحتك أمراض الجلاديولاس في فترة تخزين
الابصال .

— دى إضافة جديدة ؟

— بس ضرورية للبحث ... وبالمناسبة عملت إيه في الصور ؟

— ميعادى أجيبها من المركز القومى الأسبوع القادم .

وتذكره كلمات د . سلطان بموضوع الجلاديولاس وحاجته إلى بعض
البيانات من حديقة القصر . وبالتالي يتذكر آخر مقابلة له مع رفيعة ،
وما دار فيها من تصريحات ووعد حول الزواج، ومداعبات وغراميات
بين الكأس والراح . ويشك في جدية الوعد والاتفاق ويرتاب في صدق
نية رفيعة . ويأول الأمر كله على أنه هزل جاء عفو لحظته . ومهما كان الأمر
هزل أم جد فإن عليه لأصحاب القصر عملاً لينجزه وله فيها عمل يتعلق
ببحثه عن الجلاديولاس .

ويذهب ويقابل رفيقى بك « انت فينك يا محمود ... تجار الزهور .
جم علشان يشتروا الاتاج بتاعى »

وينظر إلى رفيعة فيجدها تعجأله وتكاد لا تشعر بوجوده . (يرتد
إلى رفيقى بك سائلاً وعملت إيه معاهم ؟)

— سفيش حاجة ، مسنى آخذ رأيك فى اللى نبيعه واللى نخليه تقاوى .

— نقدر نبيع كل أحواض الجلاديو لاس ما عدا الحوض الرابع
نخليه للإبدال .

— واحد منهم عرض على مائه وخمسين جنيه للجلاديو لاس .

— سعر قليل قوى ... يعنى عاوز يشتري العود بفقرش ...

وانتا جتنا ينفع لتصدير وسعر التصدير ملين للعود .

— ياه .. يعنى العود يكسب أربعة قروش .

وتؤخذ رفيه بعديك الأرقام فتقول وأربعة صاغ في العود الواحد ..

عمود — بعد خسم تكاليف التعبئة والنقل .

رفيمة — يعنى شغلانة التصدير مريحة .

رفقى بك — جدا جدا .. أكثر من اللى ح نكسبه احنا أصحاب

الحاجة .

عمود — حد عرض تمن للأرجس والأمير بللس والورد ؟

رفقى بك — لا تفرجوا عليها بس .

عمود — من رأى نبيها كلها .. ما تنفعلش بالذور ولا الإيهان

والسنه الى جاية تترى أو نستورد أصناف جديدة .

رفقى بك — وسعر البيع كام تقريبا ؟

عمود — ما عنديش فكرة .. أنزل السوق وأهرق .

رفقى بك — لازم الميلة علشان يمكن حد يحى يشتري بكرة .

عمود — طيب انزل قبل المحلات ما تقفل .

رفقى بك — روفى كانت نازلة تشتوى شوية حاجات .. انزل

مماها بس لازم تعرف الأسعار الميلة

عمود — إن شاء الله

ويجئ إلى جوارها وهي تفود العربية ويحاول اجتياز حاجز
الصلب يدها فيقول أنا متأسف .. كان لازم آجى من مدة لكن ما قدرتش
... وصراحة لا كنت مشغول ولا عيان ... كنت بأفكر فى الاتفاق
الى تم بيننا .. وشايف إن إحنا تسرعنا شوية . »

— أنا قلت لدادى ... ووافق خلاص .

— اتفق متأكدة من شعورك ومن نفسك ؟

— انت لسه عندك شك ؟

— المسافة الكبيرة الى بيئنا بتخلينى عتار .

— لازم يكون عندك معه بنفسك .

— وكان لازم أبص فى مستواى .

وتحتاج ربيعة نوبة غضب فتوقف العربية إلى جانب الطريق ثم تلقت
إليه « انت دائما معلقنى فوق »

— لأن دى الحقيقة .

— أبدا إحنا بينا ميول مشتركة واهداف مشتركة .

— ابيزل والاهداف المشتركة ما تلفيش المسافات الى بينا .

— الى بينا أقرى من المسافات والمعادلات بتاعتك .

— أنا فهمت دادى، وأقمتة وقالت له إنى اتغيرت وبقيت حاجة ثانية

— بقيت حاجة ثانية ؟؟

— ايوه تفكيرى اتغير .. أهدافى اتغيرت وقيمتى اتغيرت ولو فيه

اختلاف بينا فهو شكلى والزمن كفىل إنه يضيقه .

— فعلا الزمن كفىل إنه يلاشى الخلافات والفروق، لكن ح نعتب

ويمكن ما تتحملش التجربة .

— ليه تفترض النتيجة دى ؟

— نظرتنا للحياة مختلفة . طريقة التفكير مختلفة . المواد مختلفة .

لازم يحصل صدام ... وزعل ونشور ...

— الكلام ده بيحصل فى كل بيت وفى كل جوار لكن بالحب تنهى

كل المشاكل .

— واللى بينا ده حب ولا مجرد شروع فى الحب ؟

— لسه مش عارف ؟ لسه مش قادر تحس ؟ الظاهر انا كنت

حسنة الظن بنفسى أكثر من اللازم .

وتغروق عينها بدموع القهر والعجز . وتفعل دهوعها فيه فذل

السحر فيشعر بالحنين وتأخذها الشفقة بتلك الفاتنة الباكية ذات الكبرياء

وعزة النفس . ويةترب منها يتأمل ضمناها الجميل على صفحة وجهها

الحزين ... ثم يخرج مندبيله يمسح دموعها وتلفت رأسها بعينها عنه

تدارى أشجانها ... لكنه يتابعها ... ويعبر لها عن أسفه و ساجنى

يا رفيعة ... أنا عذبتك معاً ، ويربت على رأسها ويمسح شعرها الناعم ،

« أما مختار ياروفى ... خايف أكون باجرى ورى أمل بعيد » .

وتستدير إليه « ليه اليأس والندبيا واسعة وحلوة والأمل قدامك

قريب منك ، وينظر إلى عينها ويردد « فعلاً .. الدنيا واسعة وحلوة . »

ويسك يدها يهددها بين راحتيه ، وهى تنهد تنهيدة حارة تخرج بها

مماناتها ، بينا حركة لإناءله المرتجفة تعزف على يدها الرخصة افتتاحية

فمزوقة غرامية صاخبة .

القصر مزدحم ذهب عنه المظهر الهادئ وشملته حركة وصخب .
الوجوه جديدة غريبة وجوه تنخل القصر لأول مرة . أصوات وضجج
ونداءات . خليط من تجار الزهور . لا تربطهم رابطة إلا الورد والزهور .
يحولون أجمل ما يخرج من الأرض ، إلى جنبات ... مئات ...
وألوف ، لا طعم ولا راحة لها إلا لدى أصحابها .

اليوم يوم المزداد الذي اقترحه محمود بعد الفشل في بيع نتاج الحديقة
بشمن مقبول . التجار منتشرون في كل أرجاء الحديقة . يفحصون ويقيّمون
ما بالحديقة . تظهر بينهم سيده ضخمة في ملابس سوداء تبدو عليها القوة
والسلطة . يقترب منها أحدهم ويقول « إيه رأيك يا حاجة زاهية ؟ »
— ممكن نتفاهم وكل حاجة تمشى عال .

— بأقول كده برضه .

— طيب روح لاتفق مع الحاج سرور والمعلم صالح .
وفي الشرفة يقف الثلاثة يراقبون هذا الجمع النشط المبعثر هنا وهناك .
حيث كل معنى بأمره . ويمبر رفقى بك عن خوفه « أنا ماش مرتاح للزاد ده »
رفيعة — إيه يادادى ؟

رفقى بك — كنا بمنّا وخلصنا .

ويلاحظ محمود تحلق التجار في جماعات صغيرة بعد تشبّثهم ويقول :
« شوفي يارفيعة إتلوا إزاي »

رفيعة — بيتشاوروا دول ولا إيه ؟

رفقى بك — (بانزعاج) دول يبنفقوا علينا وعلى السعر .. إيه
العمل دلوقت ؟

رفيعة — نأجل المزااد .

محمود — مش ممكن . الزهور لو استنتت أكثر من كده تنشف .
رفقى بك — وإيه العمل وهم عارفين إن أحنا لازم نبيع ؟
رفيعة — (قافزة إلى أعلا) عندى فكره ... أ كلم أنسكل حدى
يحمى ومعاها فتحنى وكال ويدخلوا المزااد يرفعوا الاسعار شوية .
رفقى بك — فكره مش بطلاله ... بس إياك تنلح .

وبين حلقات الدخان الذى تنفثه تتطلع رفيعة بين فترة وأخرى
إلى الباب . تترقب قدوم المنقذين ، بينما جماعات التجار تنقسم الغنيمه
بين صيحات المساومات . ويشدد الجدول والنقاش . وتلوح بوادر منازعات
تهدد مخططات الاتفاق . وبشكفل البعض بارضاء الساخطين بمسول الكلام
والاوراق المالية . وكلا أبرمت الاتفاقات كلها إزداد ملح رفقى بك
ويشتد قلق رفيعة . تشمل السيجارة تلوا الأخرى حتى يقبل المنقذون فهجم
تقبل أباهما مرة ومحمودا أخرى وهى تقول : آمم جم .. جم يادادى ،

وتقابلهم رفيعة بعيدا عن أعين التجار وتشرح لهم الدور التمثيل
المكلفين به والأسعار التى يسامون ويزايدون عليها . وتركهم ليندسوا
بين التجار الذين يغلب عليهم التساؤل والحيرة لرؤياهم .

يعان الدلال المزااد دست أحواض جلاديس حسب المعايينه نبتدى
عليهم المزااد ،

تاجر — ١٥٠ جنيه

آخر — ١٦٠ جنيه

ثالث — ١٧٠ جنيه

محدث — ١٨٠ جنيه

فصحى — ٢٠٠ جنيه

تاجر — ٢١٠ جنيه

كامل — ٢٢٠ جنيه

فصحى — ٢٤٠ جنيه

تاجر — ٢٥٠ جنيه

الدلال — ٢٥٠ جنيه .. ٢٥٠ .. مفيش حد يخش .. مفيش حد
يزود .. ٢٥٠ جنيه ومبروك يا معلم .

ويتقدم التاجر ويخرج من جلبابه أوراقا نقدية كثيرة ليدفع
مقدم الثمن . ويكثر التماس ويتحول إلى صيحات احتجاج ويقول
أحدم « بقى ده الاتفاق يا معلم ترك ؟ »

المعلم ترك — أعمل إيه لقيتك وقفت على مايه وسبعين
ومش راضى تخش ... أسيبها للافنديه يلهفوها منا ؟

وتدخل الحاجة زاهية « اسمع يا معلم ترك تتقاسم مع الحاج زغلول
المعلم ترك — هو أنا يبنى منعته يا حاجة ؟

الحاجة زاهية — (بلاهجة حاسمة) قاسمه يا معلم واحنا نموضك
بكرة فى مزاد مشتل القناطر .. إيه رأيك ؟

المعلم ترك — مائى كلامك يا حاجة
ويصيح الدلال « نبتدى المزاد الاهريلا والارجس من ح يخشن ؟
ويستمر المزاد ومعه الصراع ويرتفع الثمن وتفيض السعادة على

رفقى بك ورفيعة . ومحمود يشاهد ما يدور أمامه بإيمان . ومن حين وآخر يتأمل رفيعة التى تتابع المزداد بكل جارحه من جوارحها ، تنسبها نفسها ورشاقها . تفنر حيناً وتصرخ حيناً آخر أو تضع يدها المتوترة على فها عندما تهبط الأثمان عما قدروا لها . وتبدو لمحمود فى صورة جديدة تحت سيطرة دوافع غريبة تعطىها شكلاً لم يهدمها به من قبل .

تطلب الحاجة زاهية لإيقاف المزداد بعض الوقت بعد أن اشعلته المنافسة ، وتذهب إلى الثلاثة الدخلاء ، تعرض عليهم مائة جنيه ليتركوا المزداد ويرفض حمدي . فترفع المبلغ إلى مائة وخمسين ثم إلى مائتين ، فيقبل الإنسحاب مع زميله من المزداد ، الذى يستمر بعد ذلك هادئاً دون منافسة أو صخب .

وينتهى المزداد باكراً عما كان يأمل رفقى بك . ويدعو زواره إلى تناول الغذاء معه . وفى الطريق إلى صالة المائدة ، تتعاقب رفيعة بذراع محمود فرحة جذلة بأحكام تديرها معجبة بنفسها وببتفكيرها وينظر إليها رفقى بك متباهياً بتلك البقية الصغيرة

يجلسون حول المائدة التى صفت عليها أنواع من الصحائف والأطباق وأدوات الطعام بكثرة أربكت محمود . شئ لم يره ولم يعتده . بل أن رهبته هنا أشد وطأة عليه من أول لقاء مع الطلبة . ويحصى السكاكين والمعالق والأشواك المصفوفة أمامه ويتسائل فى نفسه لماذا كل تلك الأدوات ؟ ولماذا كل هذا الإصراف والتعقيد ؟

يدور الخادم بأصناف الطعام ولسوء حظ محمود كانت من الأسماك متعددة الأشكال والطهى والتجهيز . ورفيعة إلى جواره تحته ليأكل

وهو خائف حائر من طريقة معاملة هذه الأنواع من الأطلعمه و ويرقبها خفية ليقلدها في استخدام الأدوات التي أمامه بطريقة صحيحة مثلها .
وتتحدث رفيعة عن نفسها « ايه رأيك يا دادى فى النهارده ؟ »
رفقى بك — إتنى للبريمو النهارده .
حمدي — فى الحقيقة كانت فكره هائلة .

حديث لا يشترك فيه محمود ، المشتبك مع قطعة سمك وكأنها لا زالت حية تلعب فى الماء ، وهو يحاول اصطيادها ، ويفشل معها . تحاوره وتقاتل منه ، وهو يتابعها بأدوات المائدة وأسلحتها دون جدوى .
وتصدر منه حركات شاذة . ويقبض على الشوكه وكأنه مثال يحفر قطعة من الخشب يطرقها الفنه . وتستأنف تلك الحركات نظرو فى بك فينبه أخته وهو يمتعض متأففا الى حيث فارسيها . تسارع رفيعة لإنقاذه من ورطته . تأمر الخادم برفع الطبق وتنقضى له شريحه سهلة القطع والقضم وتسرى عنه قائلة « حد ياخذ الذيل ٢٠٠ ؟ »

محمود — آهو الى طلع فى الشوكه .

رفيعة — لانا كل ديل السمكه ولا رأسها .. دول بيتخطروا فى السرفيس ديكور بس .

ويبادلها محمود الابتسام شاكراً ومقدراً ويزداد حرصه فيما يتناولها من أطعمة . يرفض معظمها ويتردد ازاء الباقي حتى انتهاء الوليه . وترفع المائدة وينتقلون إلى الصالون وينتحي محمود ورفيعة مكانا قصيا .

وتعبر رفيعة عن سعادتها « أنا مبسوط النهارده جداً »
— طبعاً لولا فكرتك كان التجار اشترى بالتمن الى عاوزينه .

— تصور دادی كان راضی بتمنیت جنبه والمزاد وصلنا
لألف وتلتمايه .

— فعلا، حاجة غير متوقفة .

— بس أنا كشت ترفيز خالص .

— ما تاخذى مهدى للأعصاب .

— دلوقتى بقيت كويسه ... المكسب هدى أعصابى .

— ألف جنبه مكسب صافى ... حاجة كويسه جداً .

— يبقى دادى معاه حق نزرع الجنينة كلها ... وكان المحل مهم

قوى ... عاوزه افتحه قبل رأس السنة .

— أم حاجة تدورى على عمل كبير فى شارع تجارى ...

— أم من ده كله ... الحفلة ... حفلة الافتتاح .

— ضرورى ينى ؟

— مش عاوزنى أحتفل بمحل عليه اسمى .

ويلاحظان تحرك الضيوف منصرفين فيقول محمود : دول خلاص

مروحين أمشى أنا كان ... اروفوار روفى ... »

ودون أن تنهض تقول : أرفوار لازم هاماها حاجة هنا » ثم تشير إلى

خدها : فيقبلها حيث أشارت ويمس « اروفوار روفى »

تجيب تحيته وهى ترمقه بنظرة إعجاب « اروفوار »

— ٤٩ —

يدهر عمود عمرات الحديقة بخطى ثابتة حثيثه ويتجه رأسا إلى السلم
يرقاه نهطا خفيفا ويدلف إلى البهو الكبير حيث اعتاد أن يجد رفيعة فى انتظاره

يجالسها ويحادثها قبل أن يبدأ عمله بالحديقة .
ومع ذبوع نباح خطبته يقابله الخدم باعتماد أكثر انخفاضا وابتسامة
أكثر ترحيبا . وتعلمته الخادم « الست منتطراك فى أودتها » . ويذهب
إليها ويعطرق الباب طرقا خفيفا ويسمع صوتها تدعوه للدخول . ويرأها
وقد أعدت نفسها للخروج ويحبها طالبا على خدها قبله سريرة
« بنجور روفى »

— بنجور مودى

— إيه بقى مودى دى

— تعرف اناي سهرت طول الليل أفكر لك فى اسم مودرن
أيه رأيك فيه ؟ ... مش ميوزيكال (موسيقى)

— بس أوعى تنادينى بيه قدام حد ... أحسن يفتشر ويوصل
الكلية ويفضل « اوى اغاية ما أنقى أستاذ رئيس نسيم » .

— انت لسه بتفكر فى الحاجات دى . خليك واقفى . دى بيعة
زهرة واحدة بمائة استاذ لمدة سنة

— خليكي فى تجارتك .. وأنا مبسوط بالملم مع الفقر .

— ح نروح سوى ندور على عمل تأجره ، أصل دادى تعبنا .

— بس أنا كنت ناوى اشتغل فى الجينة شوية .

— بلاش النهاردة .

ويخرجان يطوفان على الصابرة بحثا عن المحلات الشاغرة أو المنتظر
أن تخلو فى الشوارع الهامة .

ويستقر رأيا على عمل بالزمالك تنوهر فيه الشروط ، ويعودان إلى
القصر وقد نال منهما الثعب وانتهكها السير . وتخلع رقيقة حذاءها بقرعة على

الدرج وتصد عارية القدمين تقسند على محمد — ود في تاود فتاك .
ويدخلان غرفة رفقي بك الذي يهال صاحكا لرؤية ابنته ، إيه ياروفي
محمد تعبك ؟

محمد — أبدا .. ده أنا مظلوم ... هي الى فضلت تلف لناية
ما اقينا حاجة مناسبة .

رفيعة — (بحماس) شفت محل هایل في الزمالك بس عاوز ألفين
جنيه خلو .

رفقي بك — (بانزعاج) لا .. ده كثير قوى .
رفيعة — لكن في الآخر رضى بألف وخمماية .. ألف في الاول
وخمماية بعد ست شهور .

رفقي بك — برضه كثير .
رفيعة — مفيش غيره اللي عجبني .
محمد — أنا نازل أشوف الجنيينة شوية .
وبعد أن يخرج تجلس رفيعة إلى جوار أبيها — على فراشه وتسألـه
« مبسوط مني يا دادى ؟ »

— جدا .. بتفكريني بنسى أيام العز .
— ومبسوط من محمد ؟
— من شغله وبس .
— طيب عيش لازم تكافؤه على مجهوده .
— (بهنجر) ما هو بياخذ عشرين جنيه كل شهر قد الى بيقبضها
من الكاية .

- مش كفاية ... خصوصا إنه لازم يشتري هدموم جديدة .
 — يعنى مش عاجبك شكله ؟
 — عاجبنى ... لكن عاوزة أعرفه بأصحابى ولازم مظهره يبقى
 أحسن .
 — هلشان خاطر ك أديله خمسين جنيه .
 — يعملوا إيه ... يدوبك بدله وكام قيص .. مش أقل من ميه
 — حاضر ...
 وتقبّله قائلة « مرمى يا دادى » .

ومع وجود محمود المستمر فى مبنى القصر تتمدد لقاءاته لأصدقاء
 رفيعة . لكنه لا يستيخ لهوم أو جدم . وتحاول رفيعة أن تشكل
 منهم صحبة متجانسة لكنها لسبب وآخر تفشل . بل إن محمودا إذا
 وجدهم ران عليه الصمت . لا يتكلم ولا يبتس . إذا تجادلوا صدته
 أفكارهم ومثالبهم . وإذا دعره إلى لهوم اعتذر وتذرع بعمله فى الحديقة
 أو بكتاب يقرأه .

ويصبح الكتاب رفيقه وحجته ، يستنجد به إذا لزم الأمر . يكاد
 لا يرى إلا وهو متأبطا واحدا أو اثنين .

وتتمز صورة رفيعة فى خياله إذا كانت بين أترابها وأصحابها ، فهى
 إنسان آخر ، وإذا خلت له بدت قريبة له محببة إلى نفسه . وتقلقه هذه
 المفارقات ويحاول أن يحدلها تفسيراً ، ويؤول الأمر على أنه شعور بالقرية
 بين هؤلاء الناس أو لأنه يريد لها خالصة له أو لأنه اعتاد الوحدة ولا
 يطيق الصحبة .

ويدرك أن عليه أن ينتشلها من أصحابها وصاحباتها ويخرجها من خلقتهم . . . ثم يطوعها لأفكاره ويوجهها إلى قيم جديدة ومفاهيم سليمة عن الحياة . وأن يستحدث لها عادات جديدة تعكس عاداتها المرذولة .

ومن ناحية أخرى فإن رفقة تعلم أن عليها أن توائم بين محمود وأصدقائها فهي تميل إليهم وتودهم بحكم لسانها . نهجت منهمجهم في الحياة فكان الترافق والتجالس في السلوك والمزاج . وهي أيضاً تحب محموداً ومقتنعة به وبضرورة لها في مشروعاتها البرعية . كل يحاول أن يجذب الآخر إلى أفقه .

يدخل محمود الصالة كما اعتاد ، ويجد رفقة جالسة أمام مائدة صميمه وحوّلها شابان وفتاة . الصمت يحيط بهم . عيونهم معلقة بأوراق اللعب . لا يسمع لهم حمن ولا همس . ويقرب منها محمود وقد تأبط كنبه . ثم يجيها د بونسوار روفى .

وترد نحيته برأسها دون أن تلتفت إليه لعدة أممها كها في الأوراق التي يدها . ويبعد محمود إلى ركن بعيد يتأمل هؤلاء اللاعبين ذوي الأعصاب المشدودة والأصابع المرتجفة . يمارسون لذة الانفعال ولذة الصراع ، وفرحة الانتصار ومرارة الفشل .

وبعد هذه النظرة الممحنة . يلتفت إلى السكتب الثلاثة التي احضرها لتقرأها رفقة . الأول عن نباتات الزينة ، والثاني عن فن الديكور ، والثالث عن أصول البيع والتسويق . يرمق هذه السكتب بشك كبير

في أن تفلح كوسائل بديلة تصرف رفيعة عن مسارها وأهوائها .
ويبقى محمود من أفكاره على أصواتهم التي علت لجأه بعد صمت
طويل . يحصون الأرقام ويحسبون المكسب والخسارة ثم يرى
الأيادي تخرج نقودا وأخرى تتسلها في تصفيه نهائيه لجهود ساعات
طوال من اللهو الفارغ .

وتتجه إليه رفيعة وقد غلفت وجهها بانسامة محاولة اخفاء ضيقها
بخسارتها . وينفض يستقبلها ويعطبع على خدنها القبلة المعتادة ويقول
« شكلك تعبان قوى »

— البريدج يهلك الدماغ والأعصاب

— ولأزمته أيا ؟

— وأضيع وقتي لآزاي ؟

— يمكن لما المحل يتفتح ... تنسى اللعبة دي .

وتقلب له شفتها السفلى كرد مبهم على تعليقه . وينضم إليهما الباقي
وتقدم رفيعة محمودا لهم وبالعكس « مودى ... جيجى ... رامبو
... تاسو » ويحلسون وهو ينأملهم عن قرب خاصة تاسو ثم يسأله
« أنا مشتاق أعرف أصل كلمة تاسو ؟ »

ويرميه تاسو بنظرة استخفاف ثم يوجه كلامه إلى رفيعة « روفى
... الأستاذ مش عارف اسمي الاصل »

رفيعة — كان لازم أعرفكم ببعض أكثر من كده . تيسير وجدى
بكلية الطب .

تاسو — من فضلك ... ورئيس فرقة (ذى روكس) الموسيقية

وتصفق له رفيعة ويقبضها الباقون وينحنى لهم تاسو وكأنه يرد تحية جمهوره من المستمعين والراقصين .

رفيعة — محمود العفيفي ... معيد بالجامعة .. والفائز بكأس الجلاديولاس .

ويصفق تاسو بشدة يتبعه الجميع ، ومحمود في صمت حائر لا يدرى أيلال مثلهم أم يتحفظ . لكن رفيعة تكون أكثر حركة منه وتقول « مرسى مرسى »

جيجى — لأننى لستى حاجة يا روفى ... لازم تقبولى كان والصديق المفضل للدوموزيل روفى .
روفى — فعلا ... فانتى الحكاية دى .

تاسو — والاساذ محمود ييجب الكلاسيك ولا المودرن
ويقطب محمود جبينه ليتفهم ما وراء السؤال وتبادر رفيعة بالرد « مودى ييجب الداليا والجلاديولاس والترجس »
جيجى — وبس ... فيه حاجة مهمة انتى غيبياها .
ثم ترى رفيعة بنظرة مأكرة . وتعقب الأخيرة « وييجبى كان ...
عاوزة إيه بقى ؟ »

تاسو — مفيش عندك هوايات ثانية ... الوقت ده كله بتوديه فىن ؟

محمود — إذا حصل وكان عندى وقت بأفضل أروح المسرح .
تاسو — (ساخرا) أظن بقى شفت ما كبك وتاج — بالبندقية وهاملت .

محمود — ما كانش عندى حظ أشوف حاجة لشكسبير .

ناسو — (ساخرا) يبقى لازم شفت الناس الى تحت والناس الى فوق ومراقى نمرة ١١ ... والحاجات دى .

محمود — للأسف انك بتتكلم عن المسرحيات التمثيلية بس .

ناسو — (بسخرية أكثر) وهو فيه مسرحيات من غير تمثيل ؟
محمود — أيوه .. فيه مسرحيات ذهنية .. تقرأ ولا تمثل بتعتمد على الحوار الجليل والفكرة المحبوبة .

ناسو — (متهكماً) الحق ياروفى . . سمعنى عن المسرحيات الذهنية ؟

محمود — أصلك لو كنت قرئت أهل الكهف .. أو شهر زاد .
أو ايزيس ... أو مصرع كليوباترة ؟ . كنت فهمت الى بأقوله .
جيجى — (عتجة) عاجبك ياروفى المناقشة البايخة دى ؟ دماغى اتصدع .

وينض رامبو مودعاً د باى روفى ... باى لكسكم ،

جيجى — استنى خدنى معاك .

ناسو — وأنا كمان ... باى روفى .

ويخلو المسكان وتمسك رقيقة رأسها بيديها متوجعة متألمة . ويسألها محمود « لسه تعبانة من البريدج ؟ »

— من المسرح الذهنى بتاهك .

— يا ريتك تقرأ حاجة منه تحسى إن عمرك بقى أكبر من سنك .

— وعاوز تسكبنى ليه ؟ .. أنا عاوزه اتمتع بشبابى .

ثم تشير رقيقة إلى الكتب الرائدة إلى جوار محمود د وهي دى
بقى المسرحيات الذهنية ؟ ،

— دى كتب عن نباتات الزينة والديكور والبيع والتسويق .

— وعاوزنى أقرأ الحاجات دى ؟

— وليه لا ؟

— أنا بالكثير أفرج على الكتاب الاول والباقى ما لومش

لزوم .

—

— الثانى مهندس الديكور موجود ، والثالث أنا مش ح أبيع ، أنا
مديرة المحل ... وحتى الاول مالوش لزوم راخر .

— ليه ؟

— أمال انت ح تعمل ليه ؟.. مش انت المستشار بناعى .

— بس لازم تعرفى أنا وإلا غيرى بنعمل ليه علشان تقدرى تشغلى

المحل كويس .

— ابقى أفهم منك ومن غيرك اللى يلزمنى .

ويدرك محمود أنه ان يستطيع أن يسيرها وفق ما أراد . وان

عليه أن يسلك طريقة أخرى . ليشاركها بعض لهما ومتعها ، لانتشها
بها ، ولا بجارة لها ، لكن ايعيش حياتها بتجربة واقعية ويوثق علاقته
بها ثم يحاول أن يصعد بها إلى "طلع حيث الحياة بزحامها وناسها ومرها
وحلوها ، وايفتقل بها من جبهة اللاهين إلى القوافل الجادة الساعية إلى
العمل والخير ، والباحثة عن السعادة الحقيقية ... السعادة الشاملة .

الفصل الحادى عشر

بين تجريب المعدل وتجارب الحياة

— ٥٠ —

يدخل محمود المركز القومى للبحوث ويحيطه موظف الاستعلامات كما
حياء المرات السابقة . لاجد يد فى الأمر إلا صورة محمود . لم يلاحظها
الرجل بل لا يلاحظها محمود نفسه . التحول لم يأت وايد يومه ، بل جاء
رويدأ رويدأ . الملابس أنيقة متسقة ، ومن أحدث طراز كانه قادم
لتوه من بعثة علمية أو بعثة دبلوماسيه .

يصعد محمود إلى الدور الرابع حيث قسم تحايل التربة ويسأل أحد
السعاة « الأستاذ رأفت موجود ؟ »

— أيوه . . بس دخل عند رئيس القسم .

ويخرج محمود من حقيبته الصغيره الأنيقة (مثله) بعض الأنايب وبها
عينات من العطين والآتربة ويقول : لما يجى أديله الأنايب دى . .
وأنا راجع له حالا .

ويصعد إلى الطابق العاشر حيث يتقابله العاملون بترحيب ويقول
أحدهم « فينك يا عم . . . الصور خالصة من مده »
— الدنيا مشاغل .

ويحضر له آخر علبة صغيرة يفتحها محمود ويمسك بصور ملونة
ويتأملها بدقة ثم يعلق « آهو المرة دى الصور أدق وأرضح ،
— عاشان الدكتور . العطان ينسبط .

— شوف الأنسجة واضحة وألوانها طبيعية جدا . حق الحلايا باينته .

— والدكتور سلطان ناوى يسافر لأمته ؟

— نيسكن كمان شهرين ثلاثة .

يحمل محمود الصور ويعود إلى قسم تحاليل التربة . وما أن يدخله حتى يقاجأ بمناجاة شديدة لم يتوقعها . ها هي ماثلة أمامه . تقف أمامه . تقف أمام خوان كبير وحولها الأجهزة العلمية وفرن كهربائي وأنايب وزجاجات المحاليل ومجهر . ويستمر محمود في مكانه . هي أمامه بمطافئ الأبيض ... صورة تسجبه في سرعة شديدة إلى قاع الذكريات وأيام الدراسة . ورغم هذا الإطار العلمى الجاف فقد راقت في عينه ، وهنت نفسه إليها يود لو يندفع إليها يعبر عن شعوره ... لكنه يتذكر ما كان لها مع الدكتور سمير بالاسكندرية فيتردد ... ويحجم .

أما فائزة فهي منكبة على الانايب التي أحضرها منذ قليل . ترفع إحداها إلى أعلا ترى محتوياتها ... وعندئذ يسقط بصرها عليه خلف زجاج الأنبوبة .

وتشك فيما تراه ... فتبعد الأنبوبة عن انجاء بصرها لتبين الحقيقة ... أمو نفسه ؟ .. أم هي لها ؟ .. وتجده ماثلا أمامها ... وتقرأ على أصابعها على الأنبوبة فتسقط منها وتحدث صوتا مزججا ، وتوالى على وجهها : انفصالات متباينة الجزع ... الدهشة ... الحيرة ، ثم تنظر إلى الأرض حيث تناثرت قطع الزجاج ... انها تلمع وحذاقه يلمع وبشرته تلمع ... حتى شعره يلمع ... كل ما فيه يلمع .. عدا هيذه فلا يريق لها ... ولا لمان يشع منها .

ويُنْبِه عمود إلى وقته، فيقترب منها، وتعلق عيناه عليها ثم تهبط إلى الأرض حيث شظايا الزجاج .. ويتنسم فائزاً مربية ثم نهز قدمها تخالصها من الشظايا والاثربة التي علقت بها . وتهمهم بكلمات لا معنى لها . وأخيراً يستطيع عمود أن يحرك فاه قائلاً « فائز .. أنتى هنا ... من إمتى ؟ »

— من زمان .

— معقول الكلام ده وأنا بأجى المركز باستمرار من مدة .

— (بمرارة) كل حاجة فى الدنيا ممكن تبقى معقولة ومش معقولة .

— وإزاي ما أعرفش ؟

— وكنت متوقفة أنك تكون أول واحد تيجى تبارك لى .

— فى الحقيقة الدكتور سلطان شاغلنى خالص ومش عارف راسى من رجلى .

— ممالك حق أنا مثلاً قدمت هنا أسبوع علشان لإجراءات التعيين

ورجعت اسكندرية من غير ما أفضى ساعة واحدة أشوفك فيها .

— أنا كان رحى لك اسكندرية ورجعت نفس اليوم .

— عارفه .

— والسكرتير قال لى انك نخرجنى مع الدكتور سمير .

— أنا نخرجت مع صادق بك .

— وسمير كان معاكم .

— لا .

- أmaal كان عندك فى المدرسة بعمل إيه ؟
- أنا وصادق بك كنا رايحين مكتب العمل وسيناه عند الباب وكل واحد راح فى شكة .
- ولإيه الى عرفه إنك فى المدرسة دى ؟
- أولا هو ما يعرفش إنى باشتغل . . ثانيا هو قريب صادق بك .
- أmaal ليه السكرتير ما قالش كده ؟
- قال نص الحقيقة .
- نص الحقيقة دايا غلط ودايا يعمى .
- وبعد فترة صمت ، تستدعى فائزة أحد الساعة ليزيل ما سقط منها .
وتبتعد مع محمود إلى مكان آخر وتسااه ، والأنايب دى بتاعة البحث بتاعك ؟
- لا . . . دى خاصة بتجارب الدكتور سلطان .
- وعامل إيه فى أبحاثك عن الفول ؟
- أبدا . . . مفيش حاجة . . .
- وبعد فترة صمت يسألها ، واتفى عامله إيه هنا ؟
- لسه . . . بأحاول وباتعلم .
- فعلا . . . مجال جديد يلزمه التعليم .
- والأجهزة جديدة وعاوزه مران كثير . . لكن ما تخافش على .
- طيب . . . أمشى أنا . . . والمرة الى جايع ح أجيب بدل الأنبوه الى انكسرت .
- ومستعمل كده ليه .

— عندى معمل ... لازم أجهز شغل الطلبة .

ويودعها وهو يتراجع ... بمخطرات مهتزة ... وفي نظرتة حيرة .
صوردة لم تعدها فائزة .. تحس منها أن هناك ما يخفيه عنها أو شيء ما يكتمه
في صدره ... لكن هذا اللعان وهذه الأناقة والملابس التي على
أحسدت طراز ، تشير ظنونها ، وتجلس إلى مكتبها وتسند رأسها
بين يديها تفكر . وتتجمع في لحظة جميع أحداثها مع محمود منذ أن
شاهدته في مكتبة الكلية وكيف تقربت وتحفظت . كانت تدرك أحيانا
حاجته لكشفها خفايا نفسه وهكثون مشاعره لكنها لم تتح له الفرصة ، بل
كانت تنقله سريعا إلى موضوع آخر ، فيحبس الالتفات خلف قضبان
أستاذة . وظلت على هذا المنوال حتى جاءها بالاسكندرية وتحررت
قليلا ومدت له حبل المودة والوصال وأدخلته أمرتها وعرفته بشقيقها .
وسار كل شيء في الطريق الذي رآته وحددته له ولها . وشعرت أنها
قريبة إلى قلبه وعقله وهو قريب إلى نفسها وشغاف قلبها .

وتتبع من ذكرياتها على صفير القرن الكهربائي إعلانها بانتهاء الوقت
المحدد لإحدى التجارب . وتفتح القرن وتخرج منها بوتقة بواسطة
ماسك عازل للحرارة . وترقب البوتقة والمادة الجديدة التي احتوتها .
كان بها شيئان مختلفان ثم أصبحا تكترينا جديدا واحدا . تم التفاعل
والاندماج . وكان من الممكن أن يحدث نفس الشيء لها ومحمود ...
لكن لماذا هذا التوقف ؟ ... وتأنيها الإجابة من ذات تفكيرها .
أنها هيأت البادئين الحرارة المناسبة لأن يتفاعلا ولكنها لم توفر لها وله
الدفء الكافي لكي تنمو علاقتها . ربما تعاطفا ؟ ... ربما تواذا ؟ ..

ربما تحابا ؟ .. لكن لم ينصبروا ولم يندججا . ثم تسأل نفسها ، ولماذا لا يبادر هو ويتقدم ؟ وتجيّب نفسها ، بأنه سعى فعلا إليها وطرق بابها . . . ثم انشغل بمديقة رفيق بك أو شاغلته تلك الفتاة اللعوب . . . لديها الوقت والفراغ أن تجالس وتأسره بحسنها وتفنته بسحرها وهل يرضى هو بهذه الفتاة الخاوية عقلا ومحتوى ؟ وإذا غشته غشاوة من جمالها وفتنتها وحجبت عنه الرؤيا العاصفة . . . فهل تتركه لفية ؟ . . . هل تتركه يتوه في هذا الضباب ؟ وهى أقرب الناس إلى عقله وأوعى الناس بآماله وأحواله ؟

وتظل في هذا الحوار الذائق حتى بعد عودتها إلى منزلها . وتلجأ إلى سفير تبحث لديها عن نصيحة أو سلوى ، وتجد عليها معها . وبعد الترحيب تسألها سفير « مالك يا فائزة . . . شكلك تعبانة » .
فائزة — أبدا . . . شويه أرهاق .

سفير — ومحمود عرف أنك جيتي مصر ولا لسه .
فائزة — كان عندي النهارده . . . وتكلبنا لكن مش هو محمود إلى عرفاه .

سفير — لازم يحصل . . . قلق وفكر وخلاف وغيره . دى الشطه والفلفل والبهارات بتاعة الحب .

وينقى على « الحب كده . . . وصال ودلال . . . ورضا وخصام . . . آهو من دة وده . . . الحب كده »

فائزة — ما بقاش محمود إلى أهرفه .

سهر — إلتى العيب فى كل ده لغاية ما خلقت واحد ذى رقبته
تميل دماغه .

فايزة — (يحده) خلاص ... هو حر؟ يعمل الى عاوزه .
على — الكلام ده غلط ... لازم تتحركى شوية ... لازم تصحى
فيه طموحه وتهزى فكره لغاية ما يفوق لنفسه .
فايزة — يعنى أروح أجرى وراءه ؟
على — أروح أنا أكله واحضه ؟
فايزة — لا ... أنا صاحبة المشكلة وأنا لازم أصلح كل حاجة
بنفسى .

سهر — نصيحة صغيرة ... خلى عواطفك تسيرك شوية ... خلى
مشاعرك هى الى توجهك ... سبى النظريات بتاعتك شويه .
على — (مغنيا) حبك نار ... بعدك نار ... قربك نار وأكثر
من نار ... نار يا حبيبى نار .
سهر — أطلب لك المطافى .
على — لا ... أطلبى قهوة .
سهر — مطبوط يا فايزة .
فايزة — مطبوط .

وتذهب سهر لاحضار القهوة وينتهز على الفرصة ويصرح لها لازم
تعتبرى الموضوع معركة ... لازم تنتصرى فيها ... لازم تغبرى
طريقك ... »

وتستعرب فايزة كلماته وتهز رأسها صامتة وتزداد إصرارا وتحميا
وتتناول القهوة من سهر وترشفها فى تأنى وعلى مهل وصمت .

الجلسة عاصفه — المناقشات محتمة . الحوار غنيف كل متمسك برأيه . يغند كلام الجانب الآخر ليفوز في النهاية بموافقة رفيق بك وإبنته . أما المتنافسان فهما محمود وتاسو . مبارزة كلامية موضوعها ديكور معرض الزهور ولا يستقر الرأي على طراز محدد . وفي القصر تستمر المجادلة .

تاسو — أنا رأى إن التصميم السيئ يلزم أنسب حاجة . ويقف بشكل تمثيلي وينظر إلى الحائط مشيراً بيديه وأصابه المتوترة ليفصح عن فكرته « واجهة كبيرة ٣ × ٤ متر . . لوحة ضخمة ... مسطح كبير عليه زهور ... وعيون يتبحلق وانوف يتشم ، رفيق بك — أنا عايز واجهة بسيطة تفهم بسهولة . ويستمر تاسو في تخيلاته « وباب من ضلفة واحدة بلون غامق ، . رفيق بك — وليه مش ضلقتين ؟

تاسو — علشان القطعة التجريدية الواحدة تعطى شعور بانصمت والسكون ليوم واحد عطلة . رفيع — لا . . دى حاجة للخبطة خالص .

محمود — أحسن ديكور للمعرض هو الطراز الفرعوني المبسط والواجهة ولداخل المحل . . حق ملابس العلامات تكون فرعونية متطورة . تاسو — الزبون لازم يحس أنه داخل محل ريش (غنى) مش مقبرة فرعونية .

محمود — الطراز الفرعوني يميزنا عن باقي المحلات . . . ويجذب السواح .

رفيع — ما نعمله على الطراز العربي .

رفيق بك — لا . لا . لا . الطراز العربي في كل حته ، أنا عايز ديكور متميز وفريد في شكله .

تاسو — الحاجات دى معناها إن إحنا متخلفين مش قادرين نجارى للفن الحديث والحضارة الحديثة .

محمود — اللى انت شايفه ده مدنية مش حضارة .

تاسو — (متبهكاً) ولإيه الفرق بين الاثنين يا أستاذ ؟

محمود — المدنية إنك تستعمل الاختراعات الحديثة ذى الطائرة والتلفزيون . لكن الحضارة هى الثقافة والفكر الرفيع وأقيم الإنسانية النضيفة .

تاسو — (مزجراً) إحنا هنا ولا إالى فى المدرسة .

محمود — الحياة مدرسة كبيرة .

تاسو — لكن الفن ذوق وإحساس مش كلام .

محمود — علشان تذوق الفن لازم تفدر تفهمه وعاشان تفهمه لازم تدرسه وده الفرق إالى بينى وبينك .

تاسو — (عتداً) إنت ح تكلمنى عن الفن . . لازم تعرف كويس إنك بتكلم أحسن عازف جيتار فى مصر . . تعالى فى النايك كلوب بتاعى وشوف واعرف .

محمود — آسف مقدرش ارواح الاما كن دى .
ويمسحه تاسو بنظرة هازنة من أسفله إلى اعلاه ثم يطلق د فملا
متقدرش تروح أما كن ذى دى .

ويحملني محمود في تاسو غاضباً وقد أظن شفتيه في صمت رهيب دون
أن يرد له الإهانة ثم يقف ويوجه كلامه إلى رفيعة د أنا مائى . . .
أرو فوار ، ثم يمضى مسرعاً د وتلحق به رفيعة بعد تردد قصير وتستوقفه
على الدرج بعد أن يكون سبقها بدرجتين أو ثلاثة وتقول له د ومائى
بدرى ليه ؟

- ما اقدرش اتحمل وجود الجدع ده تانى .
- وحد ينضب من المناقشة .
- شفتى طريقة كلامه واستهزائه .
- ما انت كان جرحته .
- عموماً . . أحب أنه ما يكونش موجود وانا عندك .
- يعنى عاوزنى أقول له ما يحدث مثلاً .
- ما أعرفش .
- لازم تفهم أنهم اصحاب من زمان ويهمونى .
- ده شىء يخصك . .
- أنا كنت فاكرة الى يمنى يملك .
- وأنا فاكر الى يمنى يملك برضه .
- والعمل ؟
- أنا عاوز أحس إنك لى لا تاسو . . ولا رامبو . .

ولا يجيى ياخذوكى منى . . لما أكون معاكى ما حدش يشذلك حق .
 — دول أصدقاء عمر بحاله . . وأنا باحب الناس والمجتمعات . . .
 ما نجيش دلوقت وتقول سبى صحاباك . . . صعب .
 — وأنا صعب على أتحمل وجودهم .
 — ده رأيك الأخير .

— أيوه . . . ولما نفصى لى ابقى كلينى . . . أروفرار .
 ويذهب دون أن يطبع القبة الممتادة . وتعود رفقة وقد كتمت
 غيظها وأخذت اضطرابها . وتستمر فى جلستها ولم تشترك فى المناقشة
 باهتمام كبير .

ويتجسم فى رأس محمود إستخفاف تاسو به وتطاوله عليه . ويفضى
 غضبه عدم مناصرة رفقة له ، بل وتمسكها بأصحابها . ويتبلور غضبه
 فى قرار بعدم العودة إلى القصر إلا إذا ابتعدت عن أصحابها .
 ويرى فى هذا القرار رداً لاختباره واختباراً لصدق عواطفها
 نحوه وجبها له .

— ٥٢ —

الحياة ماضية تدفع الناس وتضغظهم باحتياجاتها . تملأهم طموحاً
 فيتحركون ويكدون وقد يصيدون أو يخيبون . . ثم يحاولون من
 جديد وقد يفلحون أو يفشلون . . تعب تلك الحياة . . . وحياة فائز
 ضمناً يحدوها أمل كبير ويشحذها عزم أكيد . تنو إلى هدفها وتعى
 مشكلتها . تكاد ترى معضلتها . عليها أن تخوض معركة شديدة . أسلحتها
 عقلاها وذكاؤها وشبابها ثم أملها النابع من ذكريات محبة .

بأنى محمود أليسا ومعه أنبوبة بدلاً من تلك التى حطمتها . وتستقبله
 بأبنسامة عريضة ووجه بشوش . ويذم من عيذها بريق تلف
 به محمودا وتبادره « أهلا محمود ... كنت منتظراك من يومين » .
 ويقدم لها الأنبوبة وتأمأها ثم تردف « تعرف لى قربت أخضع العيئات
 الى جمعها »

— لائق الله شغالة فيها ؟

— (ضاحكة) وعاوز حد غبرى يشتغل فيها ؟

— طبعا لا ... الدكتور سلطان لو عرف ح ينسبط قوى .

— مش تبارك لى .

ويؤخذ محمود بهذا الطلب وينظر الى أصابعها باحسا عن شوء جال
 بفكره ثم يقول « خير ... ؟ » وتسمد فائزة بتلك اللمحة القلقة من
 عيذه على أصابعها وتجيبه « أنا سجلت رسالة الماجستير »

— هروك موضوعها ليه ؟

— أثر الاسمدة فى تدفئة التربة .

— (يدهشة) وإيه اللى خلا كى تختارى الموضوع ده ؟

— قلت يمكن ينفعك فى بحث الفول .

— (بأسف) أنا فىن والقول فىن ؟

— (باستنساار شديد) ... هوانت له ما سجلتش موضوعك ؟

— سجلت ... بس مش عن الفول .. عن الجلادىولاس .

— (بانزعاج) جلادىولاس ... وإيه اللى خلاك تعمل كده .

— الدكتور سلطان مرضاش بالفول .

- لو كنت اتمسكت برأيك كان لازم ح يوافق في النهاية .
- خفت زمايلي يسبقوني .
- إيه فايدة انك تبقى أستاذ أو رئيس قسم . المهم الخدمه العلوية الى تقدمها .
- لسه الطريق طويل ... استأذن .
- رايح فين بعد كده ؟
- أشتغل شويه في البحث بتاعى .
- طيب استنى دقيقة واحده .
- وبتختنى فايزه في غرفه جانبية وسرعان ما تعود وقد بدت في صورة جميلة بعد أن خلعت معطفها الأبيض وظهرت في ثوب جميل في لون الفستق وحقيقية سوداء أنيقة وتقترب في خطو رشيق وتمنحه ابتسامة جذابة وتقول « يا لله بيتا » .
- على فين ؟
- أى مكان فيه هواء وميه .
- وتختار فايزه نفس المائدة التى سبق أن جلسا إليها في كازينو قصر النيل وتقول له « فاكرك ؟ » ويزعج محمد رأسه وهو ينظر إلى صفحة الماء . وتعقب فايزه « إحنا وسهير وعلى » .
- وأخبارهم إيه دلوقتى ؟
- ح يجوزوا خلاص .
- بالسرعة دى ؟
- هين كان يتصور إن عل يتجوز أو يفكر في الجواز .

- مش يمكن سبيري الى شجعت وفتحت نفسه الجواز .
- وهو الجواز يلزمه فاتح شبهه ؟
- طبعا لازم فلفل وشطه ومارات .
- وتدهش فائزة بتلك العكبات وتغلب جبينها ثم تسأله : انت قابات سبيري وعلى من قريب ؟
- أبدا من يوم ما كنا سوى .. بتسأل ليه ؟
- أصلك بتقول نفس كلماتهم .
- ترسل روصى .
- عاوز تفهمي إن روحك شفاقة .
- بلورية يقدر أى واحد يعرف الى جواها .
- أمال ساعات بتيان لى ذى العطاسم مش قادرة أفهمك .
- مش يجوز اتقى الى مش عاوزة تفهمينى .
- بالعكس أنا حاولت كتير وانت الى بحيرنى .
- محتمل .
- إحنا محتاجين نقرب من بعض أكثر فى محاولة جديدة .
- طبعا .
- نعرف أمالنا ومتاعينا .
- طبعا .
- وكان أحزاننا وأفراحنا .
- طبعا .
- مش هو ده كان كلامك من زمان ؟

- آه . . . من زمان .
- شايف بتكلم إزاي ؟
- أبدا خايف أنكلم بوضوح تزعلي .
- الكلام الواضح ما يزعلش .
- انت زمان كنت دائما تقطعي على كلامي وتحليني أحبس اللى
- في بالي .
- دلوقت انت اللى بتصد وتقطع
- اتملمت منك .
- هو إحنا بقينا الأهل ضد الزمالك .
- يجوز . . . مرة على الكاس . . . ومرة على الدورى .
- ويظهر الضيق على وجهه فائزة بهذه المحاوراة العقيمة وتمشاغل بارشاشاف
- كرب الليمون . وبعد فترة يسألها محمود ، ومين اللى ح يشرف على
- الماجستير بتاعتك ؟
- الدكتور لطفى زين العابدين .
- مفيش فى كليتنا حد بالاسم ده .
- عندنا فى المركز باحثين ودكاترة وأساتذة ذى الكليه تمام وأقدر
- أخذ الماجستير والدكتوراه من المركز .
- حاجة عظيمة .
- (بحدة) ولان كان لى حفظ ح أعمالها عن الفول .
- أتمنى لك التوفيق .
- (بلهجة هجومية) الفول غذا الملايين .

..... —

— لحمة الفقير .

..... —

— كله بروقين .

ويثور محمود وثقات منه إعصابه فيقول لها من بين أسنانه «بتها جيني
من الصباح ... وأنا ساكت »
— مش هي دي شعاراتك ...

..... —

— أنا بأحميك . . بأفونك ... بأفكرك بوجدك لاهلك .
وتطن رأسه بعطنين محوم ويضعها يديه يدفع عنها ذلك الدوى
المزعج . يعاني تقريباً ذاتياً ووخز ضميره . ويدعك رأسه يديه يريد أن
يمنع انفجارها ثم يستعيد ثباته ... ويرفع رأسه وقد شحب وجهه وتقلع
عرقاً ... وتألم فائزاً لمشاره وتشفق عليه . يقف محمود وتلاحظه فائز
متردده اقترب منه أم تدعه لأشجانه ؟ ويستطيع أن يتعامل على نفسه
ويقول بصوت مجهد « أنا عاوز أمشي » ويسير مترنحاً متهز الخبط وحتى باب
السكانيبو وقد طأطأ رأسه إلى الأرض يتعاشى رؤيتها ويفمنم « نجي
أوصلك ؟ »

— (بحزن واقتصاب) لا ... أنا عازوه أمشي شوية .

ويضع نفسه في أقرب عربة أجرة وقيامه يبصرها حتى يختفي .
وتعبر كوبرى التحرير يخطها الهواء كما تخطها الأفيكار وهي ناديه
لا ستفرازه واستشارته . وتساءل لماذا تفشل دائماً في الإقتراب منه ؟
وهل هي المسئولة الوحيدة من هذا الخطأ ؟ ألا يتحمل هو الآخر تبعة

هذا الفضل ؟ وهل هي مقتنعة به أم بقضيته العالية ؟ أم تتخذ
الأخيرة وسيلة له ؟

وتسير . . . وتسير ، تدرى طريقها إلى منزلها ولا تدرى طريقها في
الحياة . أقدامها تحملها إلى منزلها بالتعود والممارسة ولا تستطيع رأسها
أن تقودها إلى بنيتها ومبتناها .

— ٥٣ —

رغم حجر محرد لعملة بالحديقة فلا زالت أشجارها الخضراء
وزهورها الفيحاء نضرة كأعلام في موكب الخريف ، والسحب البيضاء
على صفحة السماء الزرقاء تستحث الطيور لتتحاب ، وتبقى عشوش جيل
جديد . فتندشط تسابق الزمن قبل أن يحل الشتاء ، وتهدأ العواطف
وتجف الأوراق وتقل الزهور وتذبل الفصوص .

للخريف جذوة أو صحومة ما قبل الشتاء . . . ولرفق بك صحوه . . .
يتم بحديثه وشئونها بعد أن انقطع محمود عن الحضور . ترهقة الأعمال
المتزايدة وطلبات سالم (الجنائني) المتعددة . ويدور النقاش بينهما .
— عاوزين عشر نقلات سبلة .

— ليه يا سالم ؟

— تد في بيها التجيلة وكام حوض ورد كده .

— طيب .

— عارف يا مساعدة إيه الحكاية مش عاوزه مهندس . ويعون الله

كده ح تبسح من الجنينه مرئين ذى ألى بيعته .

— أنا يبنى التوبروز . . . عاوزها تبقى عال .

— بس لى الحلاوة .

— شد حيلك وأنا أشوفك .

— الله يعمر بيتك .

— أنا ح اسبقك لحد البرميولا .

— خليك مستريح يا سعادة البيه لطمئن كله ماشى تمام .

ولا يلتفت رفقى بك لسكاته بل يمشى إلى وجهته . وصرعان ماتتعالى

صيحاته مناديا سالم الذى يهرع إليه ويشل أمامه فى خشوع ويسأله

رفقى بك ، دورت البرميولا ؟ ،

— النهاردة إن شاء الله .

— مش خدت خمسة جنيهه عاشان نجيب قمارى كبيرة وتنفلها

فيها .

— حصل وميعادم النهارده .

— أما أشوف آخرتها معاك .

ويسير رفقى بك يتبعه سالم حتى يقفعا عند حوض الأراولا وينفجر

رفقى بك غصيا « الأراولا مالها دبلت كده ؟ »

— عاوزة شويه كياوى .

— محمود كان سايبها سال المال .

— يا سعادة البيه على قد ما تصرف على قد ما تاخذ من الزرع .

— لسه ح اشتري دجاوى .. محمود كان مريحى منك ومن

نصيبك .

— يا يه أنا مش نصاب .
— نصاب والى نصاب ... انت صاحب منى مبعة وعشرين جنبه
لغاية النهاردة .

— كله بالانواتير .
— فواتير مزورة ذيك .
— الله يساعلك .
— وكان مش عاجبك كلالى ... أنا ح أطردك . . . امشى
من هنا .

وتأتى رفيعه جريا على صيحات أييها الثائرة وتقرب منه وفيه
إيه . . يا دادى . . مالك ؟
رفقى بك — الراجل ده نازل نصب وساكت له من مدة ، انه
يختشى لكن مفيش فايدمه .
سالم — أنا مش نصاب يا سعادة اليه . . أنا أنصف من
ناس كثير .

رفقى بك — امش اطلع بره يا غنلس يا مزور .
رفيعه — يا دادى الزعيق ده مش كويس علشانك .
ثم تلتفت إلى سالم « امشى يا سالم دلوقتى وتعالى لى بكره »
ويذهب الرجل حزينا كسيرا ذليلا . وتوجه رفيعه إلى أييها تسأله
« ليه الى حصل ؟ »

— إتنى السبب فى كل الى حصل .
— ليه ؟

- لوما، ش الحب كان زمان محمود يشتغل هنا ومريحنى من
المهوسة دى .
- وأنا أعمله ليه ما هو الى غضبان .
- خلاص نهد الحديقة ونلتنى المحل ونستريح من الهم ده .
- وأنا مش ممكن أكله ولا أسأل عنه .. لازم يچى هو
ويعتذر .
- على كيفك أنا من النهاردة ما ليش دعوة بالحديقة ولا بأى حاجة .
وتضع يدها على كتفه وبلهجة ناعمة « طيب كامه فى التليفون »
- كلمته فى السكينة يا مش موجود يا الثمرة مشغولة .
- روح له يا دادى ... روح له .. واشتكى للدكتور سلطان .
- فكرة كويسة .. ح أعرفه بنفسه كويس .
- هایل يا دادى .. هایل .
- ح أفهمه إنه لازم يحزم الاتفاق ولازم يشتغل طول ما هو بياخد
ماهيته منى .. لازم أوريه الغنى ده إزاي يتعامل مع الناس المحترمين .
- ال سلام ده شديد يا دادى بلاش منه أحسن يزعل .
- والحديقة الى انصرف عليها خمسميت جنيه مش مزعلاكى ؟
- أيوه .. بس ..
- أنا عارف صنف الفلاحين يخاف ما يختشيش .
- أنا يا دادى جايه معاك .

الطلبة والمطالبات متجمعون حول د . سلطان في مكتبه هم الباقية التي يطيب له رؤياها ، والشملة التي تمنحه الحواس . لا يتعجز لصحة هم ولا يتبرم لاسئلتهم .

تدخل رفيعة يتبعها رفيق بك متضررة من هذا الزحام . ويشير دخولها النظرات والفضول الذي يطنى على ضجيجهم . ويدشر د . سلطان لهذا الهدوء المفاجيء . ويتلفت هنا وهناك يستطلع الأسباب ويرى رفيعة ورفقى بك يشقان طريقهما إليه ويقف مرحبا سعيداً بهما قائلاً : أهلا رفيق بك . . . أهلا مدموزيل رفيعة ، ثم ينظر إلى الطلبة وهو يقول : « أظن بقى تسليوني مع ضيوفى شويه » ويتراجع الطلبة والمطالبات وعيونهم قد تعلقت برفيعة .

ويخلو المكان ويردف د . سلطان : « إيه المفاجأة السارة دى ؟ » رفيق بك — وحشتنى . . . جيت أشكرك على هديتك لى بالشاب الممتاز محمود .

د . سلطان — العفو . . . العفو . . .

رفيق بك — وكان جاى أشكويه لك .

د . سلطان — إيه عمل حاجه ؟

رفيق بك — بقى له أسبوعين سايب شغلها الحديقة قربت تمشف .

د . سلطان — أنا فاهم لأنه عندكم كل يوم تقريباً .

رفيق بك — ده كان الأول . . . دلوقتى بطل خلاص .

ويذق جرس التليفون ويحيب د . سلطان . . . « أهلا . . أهلا . .

متشكر . . . وكان خطبتي التقرير . . . دى هممة عظيمة جداً . . . إننى
هنا . . . بتكلمى من السكليه ؟ . . . طيب اتفضلى . . . منتظر ك . .

ويضع سماعة النديفون ويلتفت إليها معقبا « تليذة من تليذاتى . .
خلصت تجارب كنت بأعمالها عندها وجابتها بنفسها »

رفقى بك — احسن حاجه نجيب محمود أسأله قدامك عن سر
غيابه .

ويستدعى د . سلطان الساعى ويقول « تروح حقل التجارب بتاعى
تقول لمحمود يسئب اللى فى إيده ويحى حالا » . وينظر د . سلطان إلى
رفقى بك سائلا « مش يمكن حد يتدخل فى شغله والزهور حساسة
جدا أى تدخل غريب يتلفها على طول »

رفقى بك — أبدا . . أبدا .

د . سلطان — (ناظر إلى رفقة) ولا حد قاله كلة زياده ؟

رفقى بك — أبدا . . أبدا .

وتدخل فائزة التى تتوقف للحظات عندما ترى رفقة وأباها . ونجيبها
بإيماء خفيفة ، ثم تصافح د . سلطان الذى يستقبلها بترحاب شديد ،
ويحاول أن يعرفهم بعض « فائزة تلميذتى . . . رفقى بك . .
مدموزيل رفقة » .

رفقى بك — إحنا معروفة من زمان .

د . سلطان — اتفضل استـيـحى يا فائزة . . تعالى هنا جنبى .

وتجاس فائزة جواره وتقدم له التقرير ويقرأه د . سلطان بينما

ترى هي رقيقة بنظرة خاطفة تستكشف فيها ما يجذب محمود إليها .
وينحى د . سلطان التقرير جانبا ويلق د أنا مش عارف أشكرك
إزاي ... إنت فتحت قدامى اتجاه جديد فى البحث »

فايزة — متيألى لازم ناخد عينات من الأرض بعد الحشة الى
جاية كان .

د . سلطان — إحنا لازم ناخد عينات بعد كل حشة لأن محتمل
جدا أن بعض الأوراق تقع على الأرض وتتفاعل مع التربة ، وده يمكن
الى قلة نسبة الإصابة بعد الحشة الأولى .

فايزة — برضه أحسن نحلل الأرض بعد كل حشة .

د . سلطان — شدى حيناك معاى ... ح ابنت لك محمود
بالعينات باستمرار .

ونلتقط رقيقة هذا الحوار بيقظة تامة . ن سجله على شريط عقلها
وتحتزل منه ما تحتزل وتستخلص منه ما تستخلص . وتبين اللقاءات
المحتملة ثم التقارب والتوافق تحت ستار العينات والتفارير .

وتتحرك فيها عوامل الفيرة والتحدى . فتصمم على وأد هذه الفرصة
بأى وسيلة .

ويدخل محمود الذى يهت بهم جميعاً . لم يتصور أن يجد جميع أطراف
صراعاته فى مكان واحد . ويقف يجول بعينه بينهم وقد فقد قدرته على
الحركة أو التصرف . تحول إلى كتلة بشرية مذهولة مسلوقة الفكر
والإرادة . وينقذه د . سلطان « إنت جيت فى وقتك ... فايزة
جابت نذيجة التحايل الى حضرتك ناسبها » .

ويبلغت محمود إليها لا يدرى ما يفعله . ويردف د . سلطان
« وكان تأخذ عينات من كل حشة علشان تتحلل » ويهز محمود رأسه
ثم يري كرسيا خاليا فيجلس عليه في مواجهه الجميع حيث تسقط عليه
نظراتهم تلمبه كسياط موجهة . ولا يدرى كيف الخلاص ، فائزة على
يمينه ورفيعة على يساره .

يسأل د . سلطان رفيق بك « عاوز إيه بقى من محمود ؟ »
رفيق بك — الحديقة خسرت خلاص ونشفت .
وتعقب رفيعة مباشرة بكلام وقد ثبتت عينها عليه « وهو الهى
ينغضب يعمل كده ؟ »

رفيق بك — وسالم طردته .
رفيعة — وأنا زعلانه منك .
تعليقاتها متلاحقة . ترتفع رأسه بينها كلاكهم يتلقى ضربات
منافسة القوى .

رفيق بك — دى الاراولا دبلت .
رفيعة — كنت اسأل ولو بالتليفون ؟
رفيق بك — أنا جيت أشتكيك لادكتور سلطان .
ويمسك د . سلطان بهذا الطرف من الحوار السريع ويسأل محمودا
« إانت خسرت حاجه فى الجنيئة يا محمود ؟ »
وتسارع رفيعة لإنفاذ الموقف « أبدا يا دكتور ... دى حاجه
صغيرة وانتبهنا منها ... مش كده يا محمود » ويهز محمود رأسه
موافقا دون وعى منه . كيف ولماذا هزها ؟ ثم تعقب رفيعة « ح تيجى
الليلة تسهر عندنا » .

وتتجه رفيعة بكلامها إلى د. سلطان ، واتفضل عندنا الليلة يادكتور ،
د. سلطان — أنا مهرق مع كتي .

وتوجه الدعوة إلى فايزة « ما تشرفينا الليلة بامدموزيل فايزة »
فايزة — (بمحمود) متألفة من فاعنية .

وتدرك فايزة عمق العلاقة التي بين محمود ورفيعة ، وتفهم المعاني الخفية
في حوارها معه . وتحس فايزة برودة أطرافها . يذمها الشجن ويطحنها
الحزن وهي ترى محمودا أمامها حائرا لا سيطرة له على نفسه أمام تلك
الفتاة الموب . ولا تطيق تحمل قسوة الموقف فتنهض وتودعهم بإيماءة
خفيفة وقد تصنعت ابتسامة باعثة تشدبها بشرة وجهها حتى
لا يختلج ، أو تهتز فنفسح عما تمنيه من أسى ولوعة . وترى محمودا
نظرة أخيرة له ينقبه ويصاحبها إلى الخارج لكنه شارد تائه ..
ويودعها د. سلطان حتى الباب وهو يهيل عليها كلمات الشكر والمقدير
يعود د. سلطان إلى مكانه ويبنه محمود « خلاص يا محمود نشرف
جنيئة ورفقي بك .. مش عاوز أوصيك » ويهر محمود رأسه موافقا
دون أن يتكلم . وتطلب رفيعة من د. سلطان « أنا عاوزاه دلوقتي
عاشان ديكور المحل بتاعى »

د. سلطان — وكان تفهم في الديكور ؟

رفيعة — إحتار التصميم الفرعوني وأنا موافقه على رأيه .

رفقي بك — خلاص .. اسريحتي ؟

د. سلطان — روح معاهم يا محمود ... أنا مش محتاج لك النهارده

رفيعة — متشكرة قوى يادكتور .. واتمشم انك تحضر حفله
افتتاح المحل .

د. سلطان — لابق فكرنى يا محمود وقتها .

محمود — حاضر .

ويتصافحون مودعين د. سلطان. ويسير الثلاثة بين ردهات وممرات
السككية ، ثم يركبون العرببة التى تمرق بهم أمام محطه الاتوبيس حيث تقف
قايره بين المنتظرين . تلمح محموداً بجوار السائق ، وترميها رفيعه بنظرة
المتصرة . أما محمود فلا يرى الا زجاج العرببة اللامع . لا ينفذ ببصره
من خلاله ليتبصر ما أمامه وما حوله .

— ٥٥ —

المسكان جميل ، يلفه الديكور بغلالة شفافة من التاريخ .
النفوش فرعونية مبسطة حتى البائعات يرفلن فى ثياب علاه بزخارف
فرعونية. الأزهار والورود نسقت براعة . المياه تنساب فى موجات
هائهة على الواجبة الزجاجية . الاضاءة غير مباشرة . كل لمسة توحى
بالرقى والذوق الرفيع .

يقف رفقى بك يستقبل المهنيين سعيداً غوراً بأفكاره الاقتصادية .
ورفيعه إلى جواره هائثة بما تملك وبالقوة المضيفة تحمل إسما .
وعلى مقربة منهما يقف محمود متأففا مثلما .

وقد يكون عجيباً أن يشتري المهنيون باقات الورد والأزهار من
المريض . لكن هذا ما قصد إليه رفقى بك . إذا جعل التهنئة فى المرض
ثم الحفل الراقص فى القصر وبذلك الزم كل مدعو أن يتعرف على المريض
ويتعامل معه فوراً

ويقدم د . سلطان مهنتا ويحتفى الجميع به خاصة محمود . ويلقى على ما
يراه قائلاً له : أنت خلاص ح تبقى بقال زهور ؟

— ابدأ .. العرض بتاع ربيعة .

— (وهو ينظر إلى الديكور) .. الديكور جميل .. رأيك سليم .

— متشكر

— دى حاجة عظيمة فعلا .. بلغ تحياقي لرفقى بك .

ويودعه محمود حتى الباب . ويودعه تنهى مهمة محمود فى استقبال
المهنتين الذين لا يعرف منهم أحداً .

وبحين موعد بدء الحفل . فينادون الممرض إلى القصر . وهناك
يتفرون كل إلى غرفته عدأ محمود الذى يتجول بين الموائد وقد حملت
بالأواني والأدوات والزجاجات والأكواب ، والأزهار التى من إنتاجه ،
فيلبسها بمحان ورفق .

وتستدعيه خادم ليذهب إلى ربيعة فى غرفتها . ويدخل إليها . ويراها
واقفة مرتديـه فستانا عارى الصدر . تدور حول نفسها أمامه تربه فتحتها
وسحرها . البشرة صافية والشعر ناعم يداعب كنفها . وتوقف عيناه على
صدرها البلورى . ويحطوف بها على نحرها . . وتظهر على وجهه معالم
الافتتان والضيق والغيرة .

وتلاحظ ربيعة نظراته . وتقترب منه فيضمها إلى صدره يريد أن
يحتويها أو يخفيها .. لا يشارك أحد فى رؤيا جمالها . ثم تبعد عنه سائلة
« إيه رأيك فى الفستان ؟ »

— شيك ... بس ...

— عارفة وله شال شيفون .

وترتدى شالا شفافا لاهر بالناضح ولاهر بالسائر . يدخل بالبشرة
الناصعة أن تبين ، إلا من يصيح بخايل العيون ويستوقفها لتستجلى المسكنون

وتمقب رفيعة « أظن بقى استريح »

— أصل بحبك ياروفى .. بأغير عليكى .

وترتمى فى حضنه هامة ، حبيلى لانت مجنون وأنا أحب المجانين ،
ويخرجان إلى الأصاله ويقابلان بضيحات ورفق بك تصورى
ياروفى ... عنانى بك باعت لى بوكيه من محلات فينوس ...
وما فكرش يشتريه من عندنا ،

رفيعة — طول عمره ما عندوش ذوق .

يفد المدعون ويستقبلهم الثلاثة ببشاشه وترحيب أنيق وكلمات
منمقة . يجتهد محمود أن يأتى بمثلا .. وتمب موجات صاخبة من الأشباب
المرح الباحث عن اللهو والمتعة فى جنون كجنون ملايسهم الغريبة .

يرحمون المكان ويتزاحون . الجو مشحون بهم وبصياحهم وهوسهم .
يعبون الكؤوس ويأكلون المرات فى نهم .

وعلى الأطراف المادئة النائية يتخلق أصدقاء ورفق بك فى جماعات .
فى نظراتهم استعلاء متكلف وقلق دفين ، وفى حركاتهم خور ووهن .
الماضى يخيلهم والحاضر يفزعهم .

مهرجان تاريخى يجمع بين النجوم الآفلة والنيازك الشاردة .
يختلف الشكل وقد تقاين الحركة والفترة والعبارة لكن المضمون واحد
والخبرة واحدة ، والجيع منطلقون .. هؤلاء إلى الماضى وأولئك إلى
المجهول أو إلى لا شئ .

وتسير رفيعة وإلى جوارها محمود تعرفه بالموجودين وتحييمهم .
ويتخاف عنها محمود خطوة أو خطوتين ليتأمل القوم بالنظرة الشاملة .
لأنه يلتقط كلماتهم المتناثرة فتظهر له ما غاب عنه ، وتكمل الصورة

بالصوت ويسمع :

— ألف جنيه .. كمش معقول .

— سيفر ...

— من مزاد القصور .

— الحراسة .

— صوفي دائما معاه .

— في العجى ؟

— وجوزها في مصر .

— شيرازى ...

— اسير طى .

— باعها بيده حلوة .

— أى ... حاسب شعري .

— كنت فاكرك باروكة .

— عصبك

— بص .

— مين ده ؟

— نوفو ريش .

ويبقى محمود على نداءات رفيعة « إنت فين ؟ تعالى أعرفك بأصحابي »

ويقترب منها وقد وقفت بين جمع من الشبان والشابات وتقدمهم لبعض

« مودى ... مرفت ... سوسو ... عزيز ... دوحه ...

إسماعيل ... تانو ... فينى »

وبعد للتعارف والتحيات يستأنفان السير . ويعود محمود إلى لبيه

الاستماع والإلتقاط .

- بيلوهاات غالية خالص
- ثلاث آلاف جنيه
- كثير قوى .
- يا باشا ممكن !!!
- عيان جدا .
- سبع مئيت جنيه . يدوبك ...
- أبوه .. لندن .
- من شهر .
- اليلة ؟ .. مستحيل
- طيب بكره
- جوزى
- مش قادر .. مش قادر
- يا مجنون .. يا مجنون
- كندا
- وأبوه وأمه هنا
- غاليه جدا وتمب
- رجع
- فى المنتزه
- بوليس النجدة
- وطلقها
- الجال ده لوحده .. ؟
- وبعدين ؟

— إننى البعدين والقبيلين بتاعى .
وتفتقد رفقة محمودا مرة أخرى ثم تمر عليه شاردا بين الزحام
وتناديه ويذهب إليها وتماتيه « يا ده يامودى .. لازم بمبقى جنبى »
— الدنيا زحمة .

— خليك ورايا على طول .
— أحسن حاجه أمتنى قدامك علشان ما أبعدش عنك .
— ده هناك فى العربة عندكم .

وتشده من يده إلى حلبة الرقص قائلة : « يا الله بقى .. الرقص
ح بيتدى .. ولا عاوزنى أرقص مع حد تانى ،

وتطفأ الأنوار وتصبح الصالة فى الظلام . وتبدأ الموسيقى بأنغام
ناعمة هادئة . ويندفع الشباب إلى حلبة الرقص كأشباح الليل . ويدخل
محمود ورفقة الحلبة . يتراقص الجميع يهتزون فى أماكنهم على الأنغام
الخافتة تدغدغ أعصابهم بعد أن لعبت برؤوسهم الخمر .

ويحتفى محمود ورفيقه فى بحر العواطف حيث الهمس والنجوى .
وتتعلق رفقة فى رقبته وتذوب فى صدره وهو يدفن وجهه فى
شعرها وزفراته الحارة تلهب أذنها وعنقها ، فتنتفض انتفاضة شديدة .
لا غصبا ولا رفضا لكن رغبة . وتتوقف الموسيقى وتضاء الأنوار .
ويبدأ نوع آخر من المزف الصاخب يقرع الآذان ويهز الأبدان
كأنها مسات بفيضان مريد . وتشتد الموسيقى ويصنف الإيقاع وتتلوى
الاجساد وتنتشر الأطراف فى هوس محموم .

الكل تشدهم الموسيقى وتحكم سيطرتها عليهم . يستمدون حركتهم
منها وكأنها أواخر منعمة ابتدعها بارع عايش الشباب الحار وصاغ لهم

ألحانا تستهلك طاقتهم وتمتص حيرتهم وتلهيهم عن واقعهم .
وينتهي الحفل في ساعة متأخرة من الليل ، ويجلس محمود ورفيقه
يتحدثان حديث المخورين ، ويهلق محمود ، ما كنتش عارف إن
المبيصة حلوة كده ؟

— في الخطوبة ح أعمل حفلة أكبر من دى .

— ليه ؟

— أصل أبوى "مايعرضش يرجس .

— أعليه ذى ماعلتك .

— أمى تزعل .

— أعدبها .

— أبوى يزعل .

ثم يضحكان لهذا الحوار العاث وتقول له رفيقه «انت عفريت ...

العفريت يتاعى ؟

— وانتى ملاكى .

— لا ... لا ... بلاش الكلام الخلو ده أحسن أحبك بجد .

ويضحكان ضحكة رنانة بمجاولة يأتي على صداها رفيق بك «سرورا

ويقول «تعرفوا بننا كام بوكيه الليلة ؟

— رفيقه بـ كام يعنى .

رفيق بك — مايه تسمة وتسمين .

محمود — لا ميتين .

رفيق بك — (متعجبا) إزاي ؟

محمود — لأنى لسه ح أشتري واحد قبل ما أروح .

ويضحك محمود تشاركه رفيعة ويضيق رفقى بك بهذا المزول
فيخاطب رفيعة ، اتق لازم تقوى تنأى علشان تشوف شغلك فى المرض
بكروه .

رفيعة — لسه بدرى .

رفقى بك — الساعة ثلاثة ونص .

محمود — ياه ... أنا عمرى ماسهرت كده ... لكن صحيت كثير
فى الميعاد ده علشان نروى القطن ... والفول ... الفول ...

وتوقفه كلمته الأخيرة ويردها لنفسه « الفول ... الفول ... »

وتحتاجه نوبة اكتئاب وصمت حزين ولدهش رفيعة لذلك التحول
وتهزه من كتفه « مودى ... مودى مالك »

محمود — مفيش .

رفيعة — كنت كويس من دقيقة .

محمود — شوية أفكار هبت على دماغى .

رفيعة — أجيب لك كاس .

محمود — (ناهضاً) لا ... أنا مروح .

رفيعة — ما تنام هنا .

رفقى بك — الدواق يوصله ... باين عليه تعبان .

وينهض محمود تعاهبه رفيعة حتى يركب العربيه .

الفصل الثاني عشر

السعادة بريق وللمذاب حريق

وللصواب طريق

— ٥٦ —

العقل يركض والفكر يلهث . والأعصاب تهتك . والأيام هي الأيام .
والليل حزين . وهي تكاد تفقد ثقتهما في نفسها ... في حوار دائم مع أفكارها .
تبحث عما يميز هذه الفئة المرفه عنها . تقف أمام مرآتها أحيانا وقد تتمدد
أن تأتي وقتها إلا ، حوار زميلة أو صديقة لتقارن وتفاضل .

كانت تكره كلمات الإعجاب العابرة فأصبحت تنهت لها ، ليس
لسبب إلا ليطعن فيها ، تتأرجح في أرجوحة الخيال ترتاح إذا علت
وتبأس إذا هبطت .

كانت ترى جمالها في عينيها ، ونحس بشبابها بين اختلاجات وجهه .
كان قلبها يرقص لهفته . كانت لا تدرك حلول الربيع إلا من
دفء نظراته . حتى عندما يغلصها أو تناصبه كانت تشعر بوجوده
معبا .

زولتها رفيعة وأدمت قلبها . لا ترى فيها شيئا يميز إلا ذلك
القصر بمدينته الملتصقة . خلفية براقه . القصر غم والحديقة تمنح الأرض ،
ينارس عليها تملقه بالفلاحة والزراعة . ارتباطه بالأرض ربطه برفيعة
وآل رفيعة . وتهدا حيناً بذلك التخليط والتأويل لكن سرعان ما ترد

إلى الأرجوحة مابطة بها إلى القاع السحيق .

وأمام المصعد تقف في صف المنتظرين ومدخله تتأمل الصاعدين .
لا ترى جديداً أو مثيراً . في حركتهم عفوية ، وفي كلماتهم لامبالاة ، وفي
همسهم فقد ، وفي صمتهم عدم . ذلك يحلق في السقف إلى لائىء ، وهاك
بمسك بالجريدة يبصرها ولا يتبصرها ، وذلك ينتهى بمشاهدة الألفية التي
أمامه هكذا خيل لها .

ولا تتبدل حالتها إلا إذا دخلت المركز وأرتمت معطفها الأبيض .
أدمنت عليها وتدهشت معها . أحبت الأفران وموافد النار .
وترتاح عينها على ألوان المحاليل . وتسكرها نتائج عملها الدقيق .
وتعرب لصوت الآلة الكاتبة وهي تدون تقاريرها وبياناتها . ويسعددها
توقيعها الصغير عليها .

وينتهى يوم عمل ، وتعود إلى منزلها حيث الشفقة والأم القلقة
والآب المعطوف . الطعام غير مستساغ والحديث قليل والملابس
البسيطة لا جميلة ولا أنيقة . ويحاول الآب أن يخرجها من صدقتها
التي تفوقعت بداخلها ويسألها . وعامله إيه في المركز ؟
— ماشيه .

— متضا حكا (قصدى عاملة إيه في شغلك

— ملخومه خالص . جت لنا عيئات لأرض مستصلحة جديد .

— وتنزوع [متى دى ؟

— لما تنفسل من الأملاح اللى فيها .

— ذى الإنسان تمام لازم يطرد الأملاح من جسمه ومن دماغه .

نميرمقها بنظرة خاصة ذات مغزى ويربت على كتفها في حنان دافق .

مذيب فترتمى إلى صدره ويحتضنها برفق وتغرورق عيناها بدموع
 تمسحها بيدها بسرعة . ويرفع الأب رأسها إليه بأصبعه وينظر إليها
 مودعا « تصبى على خير » . وتجهيهامسة « تصبح على خير يا بابا »
 تستيقظ في الصباح وقد رطبها تلك الملامسة الحانية وأرخت
 أعصابها قليلا ويصفو ذهنها وتشعر بحاجتها إلى جرعة أخرى من المواساة
 أو من التسرية . وتذكر سهر التي لم تزرها منذ مدة ، فتذهب إليها
 وتستقبلها سهر بالاحضان والقبلات . وتمسدها من يدها إلى غرفتها
 لترى ما أعدته لعرسها وبيتها وتقول وهي تعرض عليها ملابسها « ده
 فستان الفرخ .. الطرحه قصيره آخر موضه »

— حلوه مبروك .

— شوقى بقى مجموعة البنطلونات .

— بس ده كثير قوى .

— كل يوم بنطلون .. وآدى فساتين الأبريه ميدى .

وتنظر فائزة إلى هذه الأكوام من الملابس لاتسكاد تصدق عينها
 وتعلق « مش معقول الحاجات دى ... فين تفكيرك يا حضرة الفنانة
 للمرهفة ؟ »

— على عاوز كده .

— وانتى مقتنعة بكلامه ؟ .. ولا بتحييه قوى وعاوزه رضيه بأى

شكل ؟

— وشفق الفستان ده ؟

وتضعه على جسمها وتعرضه على فائزة التي تعيد السؤال « ماجاوبتيش

على سؤالى ينى ،

— يمكن أكون بحبه ومش دريانه لكن لحد دلوقت مش حاة
بلهفة الحب ولا بشغفته .

وتتر فائزة رأسها بينما تجمع سهر ملابسها ثم سمأل ، وهامله إيه
في المركبة القومى ،

— باشتغل .

— ما بتروحيش هنا ولا هنا... عطشان تتسل ؟

— ماليش نفس أقعد مع حد ولا أكل حد . أصبحت أحب
وحدى . باحس إنى حرة . إرادتى ملكى .

— دى مش حرية ... ده إسمه سجن إرادى .

— قصدك إيه ؟

— بتسجنى نفسك جو نفسك .

— أنا عايشة بطريقتى ... أخرج . أنام . آكل على مزاجى
فين بقى السجن ؟

— لازم تغيرى طريقتك دى وإلا تتمودى العرلة وتكرهى
الناس .

— أنا مرراحة كده .

— بس دى خطر هليكى .

— إزلى ؟

— ممكن تتمودى نكلى نفسك وتجتزى أفكارك وتكرهى
المناقشه وبقى عبيده . وما تحبش تاخدى وتدى مع الناس .
— دى مش حاجة جديدة على .

— شفتى بقى . لائق ما كنتيش كده . اميرتى ومش عاوزه
تقتنى .

— (فى صراخ باك) كفاية ... لائق بتلخبطينى أكثر ما أنا
متلخبطة سدينى فى حالى ... سدينى .

وتضع يديها على وجهها وتنفج نشيجا مضنيا يزز بهير فتندفع
نحوها وتحتضنها فى صدرها وتسألها : مالك يا فائزة ؟ ... مالك
يا حبيبتى ... أنا مش قصدى أزعلك ،

وتهدأ فائزة وتمسح دموعها وتنخلص من أحضان بهير عائدة إلى
منزلها وكلمات بهير تطن فى أذنها .

وتمر الليالى . . ليلة وراء ليلة . تحسب الليالى ولا تحصى النهر .
نهارها عمل وليلا أرق . تمديدها تمسك كتاباً تفشب عقلها فى سلطوره
وحروفه . تطوى الصفحات وتلتهمها التهاماً كأنها مطاردة بشبح تهرب
منه إلى الصفحات البيضاء والحروف السوداء . شئ ما تتخوفه
وتتوجس منه .

شئ فى داخلها . . فى ذاتها . . وتعلق عينها بالكلمات والمعاني
والأرقام وكأنها تتعلق بحبال الإنقاذ أو طرق النجاة .

الليالى تمر . وكل ليلة كسابقتها . النجوم فى السماء والشارع والضواها .
والقمر هلال . . ثم بدر . . ثم محاق . وتود أن تبعد لكن الناس
يلاحقونها حتى أمها لا تتركها لشأنها . وتدعوها تعالى سلى على
تفيدة هانم .

— يا ماما أنا لسه جايه من المركز وتعبانه .

— علشان خاطري . . دى مستنيا كى من ساعة . ما تكسفينيش
معام .

— هى معاما حد ؟

— ابنها طلعت . . جدع ابن حلال .

— لائق يا ماما بتخطيلي .

— أبدا يا بنتى . . . دول طبوا على فجأة .

— مستحيل أخش لهم .

— علشان خاطري . . . خمس دقائق وإمشى على طول .

وتدخل فايضة . الشاب عريض طويل أبيض اللون كغيران التجارب
التي يوجد بعضها منها في المركز القومي . في نظرته سذاجه وفي ابتسامته
خواء . وأمه المترهلة المتصايه تضعها بين متضاحك . وتفرد الحديث
« أهلا بنتى . . . إحنا كبرنا وبقينا عرايس »

الأم — الأيام بتجري يا تفيده هانم .

تفيده هانم — شوفي طلسمه ، رايح بقى راجل لازاي .

طلعت — البركة فيكي يا ماما .

تفيده هانم — كان نفسي أفتح له مكتب محاسب . . .

طلعت — يا ماما المكاتب دى ما بتجيشي تسكاليفها . هاتيلي عربية

أحسن .

تفيده هانم — العربيات خطر . . . وأنا خايفة عليك .

طلعت — ماما قلبها ضعيف خالص .

تفيده هانم — الدكتور محرج على الزفرة والقلق . الضغط

بتاعى مرتفع .

الأم — وبنا يفتى .

طلعت — (موجه الحديث إلى فائزة) والآلة فائزة بتشتغل إليه

في المركز القومي ؟

فائزة — تحليل الأرض وتقدير صلاحيتها للزراعة .

طلعت — الأرض بنزرع من آلاف السنين . ننتكزى محتاجة

أبحاث وتحليل ؟

فائزة — بدون علم يبقى ذى ما كانت من آلاف السنين .

وتضبط فائزة متلبسا بحمالة بهيمة في ساقها ترتفع رويدا رويدا

إلى نخذيها ثم إلى نحرها وصدرها . تتلج وترفض وتنفض هاربة إلى

غرفها غرقتها حبيبتها وتلحق بها أمها عاتبة حديمل كد؟»

— من الأول قلت ، ممانه .

— ده جدع ابن حلال وناس طيبين .

— أنا مش عاوزه اتجوز مش عاوزه اتجوز .

القمر هلال ثم بدر ثم عاق والنجوم في السماء

والشارع والضوضاء . . .

وفي المركز القومي تفاجأ بالدكتور سمير جالسا ينتظرها . وينفض

لرؤياها ، وينظر إلى ساعته ويقول « أنا أضبط ساعتى عليكى بقى »

— إليه ؟

— قالوا لى إنك بتوصل ممانية ونص تمام .

— يدوبك مسافة السكة والمواصلات .

— (ضاحكا) ولا معاكى ساعة أولًا .

— (بدهشة) واشتدنى أولمنا ؟

— حرقتيها خلاص .

— (بدهشة أشد) إيه هى اللى حرقتها ؟

— النسكتة ... الظاهر إنك مش بتسمعى أغاني الإعلانات ؟

وتهمز رأسها دون تعليق ثم تردف : « عن إذنك » وتختفي لتعود وقد
وقد ارتدت ممطفاها الأبيض . ويقول د . سمير : « فى الحقيقة أنا مش
هاوز أعطلك ... أنا جاي لموضوعين ، الأول أبارك ولو لى متأخر .

— مرمى .

— والثانى ... عندى طالب ماجستير محتاج شوية بيانات عن

أرض الوادى الجديد . وسمعت إنكم عملتم تجارب عليها .

— لبعته وأنا ح أساعده .

— فيه مانع آجى أنا ؟

— أهلا وسهلا ... بس مش عايزة أتعبك .

— بالعكس أنا ح أكون سعيد ... لأنى باحس هماكى

براحة وتوافق .

— متشكرة .

— لمتى أقدر آجى آخذ البيانات .

— أى وقت ... بس بجواب من السكينة .

— واعملى حسابك تنغدى سوى .

— لعفينى من المسألة دى .

— الرفض ممنوع .

وتذهب قبل أن تعقب .
وتفكر فائز في هذا العرض الجديد أو المجدد . وتساءل لماذا ترفض؟
لماذا هذا الاعتراض التلقائي ؟
ويعود د. سمير متأنفا متجهزاً ، لا لمناقشة البيانات التي طلبها ولكن
ليظهر لهذه العنيدة اهتمامها ويقول « هـ . . جاهزة ؟ »

— جبت جواب الكلية ؟
ويفاجأ بهذا السؤال ويخطب جبينه بيده بحركة تمثيلية متقنة ويجيبها
« تصورى نسيت على مكتبي »

— طيب أديلك الأوراق وبكره تجيب الجواب .
وتقدم له بعض الأوراق ولا يحاول د. سمير أن يقرأها أو حتى
يعطل عليها لإطلاعه سرية ، بل يعطيها ويضعها في جيبه ويقول « طيب
بيننا بقي »

— آسفه عندي شوية تحاليل لازم أخلصها .

— ليه بقي ؟

— رئيس القسم يدوبك كافتى بتقرير عن أرض النوبارية

— استناكى .

— مش ضامنة الوقت .

— اسبقك على الهيلتون ولما تخلصى تيجى .

— نأجلها ليوم تانى .

— إمتق ؟

— الاربع عندي زيارة والخميس الشوارع زحمة . . . والجمعه

بأشغل في الماجستير . . . والسبت . . . السبت . . .

— يبقى السبت .

ويحضر الساعى ويقطع حديثها ويقدم لها أوراقا ويقول « اتفضل
تقرير الثوبارية . . الرئيس مضاه »
وتضطرب بينما يكفهر وجهه . . سمير وتحاول أن تبرر أكذوبتها
وتسأل :

— « هو لسه موجود في المكتب ؟ »

— مضاه ومشى على طول .

وعندما تلفت نحو د . سمير لاتفجده . كان قد مضى .
وتمضى الايام والايام . . القبر هلال . . ثم بدر . . ثم محاق .
غرقها حبيبها . . ومعلمها محرابها . . والكتاب جرعتها المسكنة

— ٥٧ —

العربة أمام الباب . يتجه اليها عمود ويجلس أمام عجلة القيادة
ويبدأ في إدارة المحرك . تقف رفيعة على الجانب الآخر من العربة
في الانتظار . ويتنبه عمود اليها يسألها وهو يشغل المحرك « يا الله
ياروني اركبي » . . وتفتح لها الباب . وتظل رفيعة في مكانها
لا تتحرك . ويظل هو برأسه إليها ، يكاد أن ينام على المقعد المجاور
له . وترميه بنظرة قوية ثم تدخل وتجلس وعلامات الغضب
على وجهها .

يندفع عمود بالعربة في سرعة مجنونة . وتئن الاطارات تطلق
عريلا حادا . . ألامنه أو تألما له . وتداعب يذاه عجلة القيادة

وقد لمح في بنصره الايمن خاتم ذهبي . ثم ينظر اليها بجانب عينه
« إيه مالك ... إيه الى عكر الرأس الجيلة ؟ »

— مش عارف عملت إيه ؟

— لو عارف اسأل إيه ؟

وتطلق زفرة متضجرة وتعقب « حتى دادى نفسه ما يملش
معاي كده ! »

— (مستدركا) آه عوزانى أفتح لك باب العربية قبل ما أركب،
سيبك من الشكليات دى

— دى أساسيات .. اسه تربيتك غالبه عليك ، مش قادر تتغير
وتقبل أبسط قواعد الإتيكيت .

— اعذرني .. ساعات بأنى .

— لكن تفتكر كويس ، العودده إنكلف كام .. : الورد لازم
يترش النهارده

— مستشارك الفن .

— بس ؟

— ومبتشار رفقى بك الوراى .

— وبس ؟

— وزوجك بحكم ما سيبكون .

— وبس ؟

— عندك لى وظيفة جديدة ؟

— مش وظيفة ... لقب ... العالم المتعالم .

- وده زيالك ؟
- بينخليك مغرور بنفسك وبأفكارك .
- مش أفكارى دى هى اللى بتتحول عندكم لحاجات مفيدة ومريحة ؟
- ما أقدرش أنكر أفكارك مفيدة لكن لك أفكار متعبة .
- تحبطينهم على بعض يطلع كوكثيل لذيد .
- ناقصه شوية حاجات .
- ابقى كليه اتقى .
- ده اللى ناوية أعمله .
- ويعملان المعرض . اتسع المكان وشمل المحل المجاور . خصصه رفقى بك لنفسه وعاق عليه لوحه « الادارة » يريد أن يستعيد الإدارة ومجلس الإدارة ورئيس خلس الإدارة .
- البائعات نشيطات فى كل مكان . يستقبلن ربيعة ومحمود بائسامة حفية ويدخلان غرفة الإدارة حيث يجلس رفقى بك إلى مكتب أنيق . ويقول بمجرد رؤيتهما « جيتوا فى وقتكم »
- ويتنبه محمود هذه المرة إلى قواعد الإتيكيت فلا يجلس إلا بعد أن تجلس ربيعة فتمنحه نظرة رضا وبائسامة خلاصة . ويعقب رفقى بك « كان عندى تاسو من شويه وافقت معاها يشترى مشتل نور بك اللى فى قلوب »
- محمود — واحنا مالنا وماله .
- رفقى بك — تاسو معاها قرشين ورهم من أمه وعاوز يستغلهم .
- ربيعة — أنا مش فاهمه حاجة .

رفقى بك — المشتل ده لازمنا . عشر فدادين مزروعة ورد
 وأزهار . لو ضمنا اناجها لينا نستريح من التجار اللى بتحاربنا .
 محمود — أنا مش موافق ... المشتل ده كبير علينا ... وبعيد .
 ويخرج رفقى بك من مكتبة بعض الخطابات ويرميها أمامها
 قائلاً بحده : إتفضلوا ردوا على الخطابات دى ... تسع عروض
 لتصدير زهور وورد وأشجار زينة وصبار ... أعمل إيه دلوقتى ؟
 محمود — نعتذر .

رفقى بك — سامعه كلامه يارفيعه ... حد فى الدنيا يجيله
 مكسب ويرفضه شئ يجن .

رفيعة — ووش موافق ليه يا مودى ؟
 محمود — مين اللى ح يشرف على المشتل ده لو لإشترائها تاسو
 رفقى بك — مين غيرك ؟
 محمود — ما أقدرش أنا متأخر فى الما جستير بتاعى .
 رفقى بك — انت لسه بتقبص الشهادات ... صفقة تصدير واحدة
 بستين شهادة من بتوعك .

محمود — أنا عمروما ما أحبش أشتغل مع تاسو .
 رفقى بك — ليه ؟
 محمود —
 رفقى بك — سكت ليه ... طيب اتكلمى اتنى يارفيعة ... هو
 اللى بأعمله ده مش علشانك ... واللى يهيك يهيه .
 رفيعه — أنا ما أحبش أضغط على مودى واللى يريجه يعمله .

رفقى بك — (ثائرا) أنا ما ليش دعوة بحاجة بعد النهارده . دبرى
نفسك وشوفى حالك .

ثم يهب واقفا لينادر المكتب . وتعرضه ابنته قائلة « دادى مش
كده علشان خاطرى ، ويسألها « طيب فهمونى مش عاوزين تاسو ليه »
رفيعه — بلاش نتكلم فى الموضوع دة ، دلوقتى .

رفقى بك — (متعجرا) طيب روحونى

وأمام باب القصر يهبط رفقى بك . ويهم محمود بإبطال محرك العربية
لكن رفيعه تمد يدها اليه تمنعه وتقول له « يا الله بينا على الحرم ،

وعلى ربوة عالية من ربي صحراء الحرم يوقف محمود العربية بينما الراديو
يرسل أنفاما عذبه راقصة . وتركان العربية ويجلسان على الرمال . وتخلع
رفيعه حذاءها وتلاعب الرمال بأصابع قدميها لتنتشى بملبسها .

المكان ذو رهبة وجلال . والليل ساحر . والقاهرة تمتد تحت
أبصارهما . ويقنعان فى هذا الجو القدسى بالتأمل والاستمتاع بالمشاهدة .
وأخيراً تهمس رفيعه « المكان يحرك الخيال ،

— ويرهف الحواس .

— أنا بأشعر هنا بسمو العواطف . . . وسمو الحب .

— قدماء المصريين كانوا يبتعدوا هنا بالنهار . . ويتحابوا

هنا بالليل .

— معام حق . . . الحب درجه من درجات العبادة .

— الحب عايش فينا ، فى عقولنا وقلوبنا يتحرك بالقمة والهمسة .

— انت النهارده فنان الحب .

— وإنتى الحب نفسه .

— كلامك الحلو يبيسنى الدنيا والى فيها .

— يا ريتنى أقدر أجيب لك الدنيا كلها .

— حبيبى . . . أنت ديتى .

وتنصت رفيمة إلى الموسيقى وتسرح مع النغم الحانى . وتتسأل من
جانبه فى هدوء وتقف أمامه تهتز مع اللحن . . . ثم تراقص
النغم . . . كأنها تسبح فى الهواء . . . تكاد تطفئ بحركتها المياسة
وخطواتها الناعمة . تقرب وتبتعد وترنو إليه وتداعبه كوجه مشاغبة .
وينظر إليها مسحورا بفتنتها مأخوذا بإنسيائها وكأنها حورية هبطت إليه
من السماء ويقف بهورا بروعتها . . . ويخفت اللحن وتقرب
منه عندما يتلاشى النغم ويهمس لها روفى . . . ملاكى الساحر ، ويتلاقيان
فى قبلة لاهى فائرة ولاهى حارقة . . . وكان المكان بهيبته وربهته يحرم
عليهما الحس اللازم والحب الجارف .

ويركبان العربى وتنزل على الطريق المنحدر تنقلهما من عالم
السماء إلى واقع الأرض الصلبة . أو من عالم الحب والخيال إلى خضم
الحياة وزحام الطريق . ويقول محمود د تهرنى يا روفى أنا عرج قوى
مع رفيقى بك ،

— أنا أكثر منك .

— إزاي ؟

— دلوقت هو قالم إنى دهحازة لك ضده . وده اللى مزعلنى .

— بس إنتى عارفه موقى .

— وموافقاك كان . . . لكن لما أفكر شويه بأنصور إن إحنا

مأجرين الأرض من تاسو . يعنى هو مالوش دعوة بيها خالص .
— يعنى مش ح يجهى المشتل ويترفضنى بكلامه .
— مالوش فى المـسـائل دى ... ده غرقان فى فرقة الموسيقى
بناعته .

— طيب يعمل توكيل لرفقى بك عن الأرض وفى الحالة دى اسمى
أشتغل مع رفقى بك مش معاه .
وتدور ربيعة وتلف ذراعها داخل ذراعه وتسد رأسا عليها وتمس
له دأفكارك دائما ممتازة .

— لانتى اللى بتشديها من دماغى بحاسك ومناقشك .
— بأفرح لما أشعر إنى مهمة لك .
— ودى الحقبة .

— تعرف إن كلامك بيزود ثقة بنفسى .
— وتعرف إن كلامك ح يخلينى أرجع بالمرية مطرح ما كنا .
— مش وقته ... زمان دادى مستنى على نار .

وتخضع ذراعه بقوة ، سعيدة به ... سعيدة بنفسها ناعمة البال . تنظر
أمامها ... الطريق مفتوح فى سهولة ويسر ... تمتد فى استقامة ...
لا منحرجات ولا منحيات .

— ٥٧ —

يجلس رفقى بك ومن حوله نور بك وتاسو ثم محمود ورفيقة ...
هكذا جامات جالسهم فى مكتب أحد كبار المحامين . ويقدم لهم المحامى

- عقد بيع المشتل ويتبادل الجميع التهنئة .
- الحامى — مبروك يا قيسير بك .
- تاسو — مرمى .
- رفقى بك — (موجهها حديثه إلى الحامى) بالمرة ندمى التوكيل .
- الحامى — دقيقةين بالضبط يكون جاهز .
- نور بك — وعاوزين تستلوا الأرض لمتى ؟
- رفقى بك — (موجهها سؤاله إلى محمود) لمتى يا محمود ؟
- محمود — إن شاء الله دلوقت .
- رفقى بك — يبقى نتمضى التوكيل ونروح هناك .
- الحامى — وناوى تفتح المحل فىن يا نور بك .
- نور بك — فى شارع قصر النيل . . . خلاص دفعت العربون .
- رفقى بك — وإيه الى خلاك تنجيه لتجارة الجزم .
- نور بك — أ كتر تجارة مربحة النهارده .
- رفقى بك — ومش خايف من القطاع العام مثلا .
- نور بك — أنا درست النقطة دى ووجدت إن الصناعة دى مش محل اعتبار .
- رفيقة — (بانزعاج) وإيه رأيك يا أنسكل بالنسبة لتجارة
- الورود والزهور .
- نور بك — اطمنى قوى . . . تجارة الزهور تجارة ضيقة جدا . .
- ولا يمكن القطاع العام يدخلها فى نشاطه .

المحامي — أم حاجة إن الإنسان ما بفسكرش ولا يوجع دماغه .
ويحمد ربنا على الصحة والبال الراقق .

رفقي بك — كنت تعال شوف صحتي زمان .
المحامي — البركة في الورد والفل ... يرجعك شباب

وبعد توقيع الأوراق ينهضون إلى عرباتهم في طريقهم إلى المشتل .
ويجلس محمود إلى جوار السائق منعزلاً بفكره بعيداً عن همه بأمر به .
فقد أشعره الحديث السابق بغرته بين هؤلاء القوم . يتكلمون لغة
لا يفهمها ويدفون إلى غير ما يستهدف . ويحمد نفسه وحيداً معزولاً .

تطوى العربات الطريق وتمرقق بن الحقل . ويلجس محمود أنواعاً من
الطيور المهاجرة . تأتي شتاءً ثم تعود بنهايته إلى موطنها حيث تبيض
وتفرخ وتنتج . لا تتزايد أو تناسل إلا في موطنها . ويحس بشيء في
أعماقه يركله في قلبه وهو يراها طائراً في أفواج ... راحلة .

وفي المشتل ينتثرون جميعاً . يستمعون إلى ما يشرحه نور بك عن
المشتل ومحتوياته . ويتخلف محمود قليلاً وقد أنارته رائحة الطين
والمسطح الأخضر الذي أمامه . ويفحص الزهور والأشجار والأغصان
يتأملها بعين منقبه .

أما رفقة فتتأدى متعثرة في خطوها بين المساق والخطوط تكاد
تسقط وصوتها المرح يصل إلى محمود يصفع أذنيه . ويلتفت نحوها
فيجدها تستند إلى تاسو . تتمارجع مع كل خطوة في لهو مثير . وينضب
ويقذف بالأعواد البريئة — التي كان قد جمعها — إلى الأرض .

ويسير في اتجاه القافلة ويلحق برفقي بك وصحبته يتابع حديثهم

دون أن ينفقه منه شيئاً ، وصيحات رفيعة تمسك بسمعه من أن ينصت
إلى صوت آخر ، حتى إنه عند ما يسأله رفيق بك «إيه رأيك في
الأرض يا محمود ؟» لا يجيبه ويرسل ابتسامة لا معنى لها .

وبشراء هذه الأرض يحدث تطور في أحوال مجتمع القصر ،
إذ تنسج أعمال رفيق بك بازدياد الرقعة الزراعية التي يستثمرها :
وتفتشت جهود محمود بين المشتل بقلوب وبين الحديقة وبين بحث
الماجستير . وتنفذ من رفيعة في معرضها تمنح به جل وقتها خاصة في
المناسبات والأعياد . تركت حياة الراحة والدعة وأقبلت على العمل
تشرف وتلاحظ . وعلم بأنواع الزهور على كثرتها وتفهم مناسبات
تقديمها واستخدامها . وتبكر بيع الزهور في إحدى جملة حلوة
لتمش أطول مدة ممكنة . وتميل دائماً إلى تضييق الباقات في مجموعات
متناقضة ، تبرز تضاربها . تجمع بين الزهور الرخيصة والغالية
أو بين الشتوية والصفية أو بين ذات الألوان المتناقضة . تهب أن
تجمع بين الأضداد غير المتجانسة وكأنها تضحك على تلك الباقات مشاعرها
وما يعمل في أغوارها ولا وعيها .

ويؤدى لإنهماكها في عملها إلى إنصرافها عن محمود قليلاً . وإذا
وجدته أو جالسته خديشاً إليه عن الزهور والمبيعات والمشتريات
فتقول له «الاسترلتزبا (عصفور الجنة) اللي بتبعتها مش كفاية ...
عازمة دستين كل يوم على الأقل» .

— اللي في قلوب قدامها أسبوعين لما تقطعها .

— والعمل ؟

— تشترى من مشتل تاني ولو كانت غالية ، عاشان تحتفظي بزبونك .

— لازم أعمل كده .

وتشمل سيجارة لنفسها وتقول « وجولي بتروح التأمينات الاجتماعية » .

— وعملتي إيه معاهم ؟

— تصرر عاوزيني أدفع تأمين عن دادى ... أفهمهم إنه مش عامل ، ده صاحب محل واكثر . قالولى إني لازم أدفع طالما أنه يياخد ماهيه من المحل .

— وفيها إيه لما تدفعى ؟

— احنا مش عاوزين منهم حاجة لاتأمين ولا غيره . بس يسيرونا فى حالتنا .

— القانون كده ولازم يمشى .

— إانت كان بقول القانون . فضلك من السيره دى أحسن أنا باأزفز منها .

وتعبر عن نفسها ، فتعذف بحلقات الدخان بعنف وقوة إلى مسافة بعيدة ... وكان شيئاً ما فى صدرها تريد أن تتخلص منه .

تحرك الرحلة شبه اليومية إلى لايوب الحنين فى قلب محمود وتمسقه إلى قرينته وأهله . وأخيراً يتغلب على ترددده ويقرر زيارة القرية بعد انتهاء عمله بالمشتل .

تقف العربى على مشارف القرية . ويهبط محمود ويسير إلى داره

وقد غمرته أحاسيس عديدة ومشاعر ذاخرة وتنداعى ذكريات حياته منذ أن كان طفلا يمرح بانقرية يقطف الفول من أعواده الخضراء أو كيزان الذرة ليشوها على جرة نار .

يعرفه الأطفال ثم الكبار ، ويخرجون إليه يحمونه أو يدعونه للشاي أو للدخول وهو في عجلة من أمره . ويلقى صابر في الطريق ويتعانقان ويلمح صابر خاتما ذهبيا في بنصره الأيمن وتبدو عليه دهشة لا تجسر أن تتحول إلى سؤال . ويفهم محمود ما يدور برأس أخيه فينطلق الخاتم من أصبعه ويضعه في جيبيه وينتهى السؤال والجواب يرحب صابر بأخيه « حمد الله على السلامة » .

— الله يسلمك . . . وإزاي أبوى

— بخير مستنيك . . . موك ما هرفنا بوصولك .

ويدخلان الدار ويندفع محمود إلى أبيه التابع في صحن الدار وقد بدا عليه نبض الإجماد ورثم حفاوته . لكنه لا يستطيع أن يخفي رنة عتاب مكتومة بين نبرات صوته ، تلمع محمود ويقول الأب « لك وحشة يا بني » .

— والله ما معنى عن الحضور إلا المشاغل والمذاكرة .

— مذاكرة إيه تاني ؟

— أصل قدمت في شهادة كبيرة .

— ربنا يفتح عليك يا بني .

— أنا عارف إني مقصر لكن أعذرنى يا بابا .

— أمى جواباتك بتعلمنى .

— وأخبار الزراعة إليه ؟

— المي كنا فيه ... أدى احنا لسه فيه .

— أنا لسه عند وعدى معاك عن الفول .

— هون عليك ... وما تتخدى فى بالك .

— ما يلزمكش حاجة من مهر .

— أبدا ... بس خلى بالك من نفسك .

ويودع محمود أباه وأسرته ويصعبه صابر حتى العربة الواقفة عند
مشارف القرية . يخرج محمود ورقة من ذات الخمسة جنيهات ويدسها فى
يد أخيه ويقول « خد يمكن أبوى يعموز دوا ولا انت تكون محتاج
لكتب ... وما تنساش تبعت جوابات » .

— ولو حصل وأبوى درى .

ويؤخذ محمود هذه العبارة وينظر إلى أخيه بإيمان ويرتبك صابر
لزلة لسانه ويردف « قصدى يمكن يزعل لو كتبت لك من نفسى » .
— وهو حايشك عن الكتابة .

— أبدا ... أبدا ... بس هو

— (بأسف) أنا عارف إنه زعلان منى ... ومعا حق ...
لسكن أنا كان ممذور .. مهر كبيرة وحلوة فيها حياة ونور .. وحركة
— (باسم) بكرة إحنا كان ح نخش حدانا الكهرياء ويبقى عندنا نور .
— (ضاحكا لسذاجة أخيه) خلى بالك من أبوى ... وما تنساش
الجوابات .

— مع السلامة :

ويصعد محمود إلى العربة قاصدا القاهرة ومعه أشجانه . ومن خلال
زجاج العربة يرى الأشجار وأعمدة الكهرباء والتليفون تتراجع خلفه كما
تتراجع ذكرياته بصور الماضي . . . ثم حاضره . . . أين هو الآن ؟
أين المستقبل ؟ أين الماضي من المستقبل ؟ هل فقد الطريق ؟ هل طمس
على عينيه فضل ؟ وهل كان بمقدوره أن يفلت من مساره الخالي ؟ هل كان
بمقدوره أن يقاوم قوى الشد والجذب التي حوله ؟ هل . . . وهل . . .
ومئات من هل تطن وترن في رأسه وتقرع فكره .
وتطوى للعربة الطريق ، تخلف وراءها الأشجار والأعمدة . سكن
أسئلته صامدة لا تطوئها إجابة شافية ولا ردا حاسما .

الفصل الثالث عشر

لزهور جذور . . والناس جذور

— ٥٨ —

يقف محمود أمام منضده منغطاة بقماش أخضر، ووضع عليها كوب ماء وميكروفون ولبسة كهربائية وحافظة الأوراق . يقلب الأوراق التي أمامه ويميد لحصها ويؤثر بقله على بعض النقاط ليستعيد ما كتبه .

ويحين موعد مناقشته أمام اللجنة ، وهو بين الفينة والأخرى يرفع بصره إلى المدرج ، يود لو يرى فائزة بينهم لتقتنع بجدوى بحثه ومقدار ما بذل من جهد . ويرى أمامه في الصف الأول رفقى بك بجلته الداكنة وقيمه الحريرى وعصاته الثمينة وخاتم كبير يلعب في أصبعه ، وإلى جواره رفيعة أنيقة جميلة رفعت شعرها فوق جبينها كتاج يسمو بها ويتعالى بها . ومن حولها زملاؤه من هيئة التدريس أتوا لتعبته أو لإشباع هواية النقد العلمى .

وتدخل فائزة دون أن تلفت ذات اليمين أو ذات اليسار، وإلى جانبها سبير وقد انتفخت بطنها تعلن عن حمل في شهوره الأخيرة ، وخطفها على فرحا بأبوتها ، ويحيي محمودا بيده . وترى رفيعة فائزة وصاحبها فتأتى بحركة من رأسه شائخة تشفعها بابتسامة اللامبالية . بينما محمود يتابع فائزة حتى تجلس يود لو تبصره لكنها تنعمد أن تتشاغل بالحديث إلى سبير وعلى .

تدخل اللجنة بتقديمها د . سلطان . يرفلون في أرديتهم السوداء التي
أكسبتهم رهبة علمية . ويلتزم كل مكانه وتخفت الأصوات ، ويعلم
د . سلطان د . نفاش اليوم بحث السيد محمود عثمان العفيفي عن أمراض
الجلاد يولاس .

وبعد هذا الإعلان تحدث حركة خفيفة وهممة بسيطة . ويميل رفقي
بك إلى رفعة هامساً د مش حقه يغير عثمان العفيفي دى بحاجة ثانية
الطاب .

ويمنع رفعة عن التعقيب صوت محمود سائلاً « إذا الجلاد يولاس ؟
ثم يرمى فايزه بنظرة خاطفة وتبدو الدهشة على وجه د . سلطان ، ثم
يردف محمود « وأستبجح لنفسي أن أبدأ بهذا السؤال الذي لم يرد ضمن
نقاط البحث لما له من أهمية ، فنحن في جمهوريتنا الفتية في حاجة لأن
نرتاد موضوعات تبنى بها الدول المتقدمة لنظهر مدى التطور العلمي الذي
بلغته بلادنا .

ويقاطعه د . سلطان د ادخل في الموضوع .

— وكما نعلمون أن الجلاد يولاس من الأبحاث الزهرية التي أدخلت
زراعتها في مصر أخيراً وأصبحت من أهم زهور الاستثمار التجاري ، إلا
أنها بعد جيل أو اثنين تفقد بحكم العوامل البيئية بعض مزاياها .
وهو الأمر الذي يحظى باهتمام بعض الدول الزراعية في أوروبا أكثر مما
تحتل به بعض محاصيلنا التقليدية .

ويضيق د . سلطان بهذا الاستطراد فيطلب د يا محمود أدخل في
الموضوع مباشرة .

— هي من المولات الشتوية وتزرع الخ ،

ويستمر محمود في عرضه الممزز بالمرد العلمي المدعم وبالارقام والبيانات ونتائج التجارب التي أجراها ، ويتابعه الموجدون بانتباه يختلف هداه ومرماه من واحد لآخر . فائزة تلاحقه بعدد من الاهتمامات ، اهتمام به ، ثم بطريقة عرضه وأخيرا بالموضوع من حيث قيمته العلمية .

ويتابعه زملاؤه بعضهم برضاء وشموخ صادق والبعض الآخر يبحثون عن الثغرات وعن التجارب غير المؤكدة ليتشفوا فيه .

ويفقد رفيق بك صبره ويسأم حديث الأمراض والمصطلحات العامة وينظر إلى ساعته من حين لآخر ثم يهمس لابنته ، بقي له ساعة يتكلم متعبدش ده ؟ ، ولا تجيبه رفيعة فقد ملت الجلسة هي الأخرى وانصرفت تتطلع إلى الأبواب والجدران والنوافذ أو تحصى عدد الموجدون في كل صف .

ذلك ومحمود مستمر في عرض موضوعه . وتبزع قطرات العرق على جبينه فيمسحها بمنديل به حركة تلقائية فيلج في بنصره الآمن خاتم الخطبة . وينعكس شعاعه على حذائي فائزة وتراه وتثأ كدمنه . وتشرذ وتصرف عما يقوله ، ويشحب وجهها وتهدل كما تهدل أمها فيه . لم تتوقع أن يعود إليها لكنها لم تتخيل أن يرتبط نهائياً برفيعة . وتلاحظ سهر حالتها المضطربة فتسألها ، مالك يا فائزة . . . تعبانة ، فتنهز لها رأسها إيجاباً . وتشير سهر إلى علي . ويتسللون في هدوء معادين المدرج .

ينتهي محمود من عرض موضوعه . ويعلم د . سلطان « نقرر
الجنة منح السيد محمود عثمان العفيني الماجستير مع مرتبة الشرف »
ثم تدوى القاعة بالتصفيق . وينفرط القعد ويبحث محمود عن فائزة فلا
يجدها وينتجه إلى اللجنة لي شكرهم « أنا أشكركم على تقديركم لي » .
د . سلطان — بحبك كان ممتاز يا محمود .

عضو (١) — عقبال الدكتوراه .

عضو (٢) — شد حيلك . . وفكر في موضوع الدكتوراه من
النهارده .

محمود — جاعر . . . وجاهر من سفتين فانت .

د . سلطان — (وة فهم ما يقصده) . . . أحسن حاجة تتفصح
النهارده كويس .

ويذهب محمود إلى زملائه ليتقبل التهنية وأخيراً يصل إلى رفيدة
التي ظهرت عليها معالم الضيق وتبادله « هو احنا تربيينا عندك في آخر
البيسته ؟ »

رفقى بك — ساعة بقتكلم . . . ما تعبتش ؟

ويؤخذ محمود بهذه المقابلة الجافة فيلتزم الصمت . ويمضون إلى
الهدية في موكب جنازى حتى يركبون العربى . وتحاول رفيدة أن تزيل
سوء التفاهم الذى أحدثته كلماتها فتقول « مبروك يا هودى ،

محمود — ومستعجله ليه . . . كان أحسن لو بعيتها في جواب .
رفيدة — ما انت مهمم بكل الناس وسايمنى والمفروض إني أم
شخص عندك .

محمود — معنى غلطت في البخارى ؟

رفيعة — (بدمشة) مين البخارى ده ؟
رفقى بك — أظنه واحد اخترع المحركات البخاريه .

وينظر إليهما محمود لا يدري أينفجر ضاحكا لهذا الجمل أم ينفجر
صارخا متحديا غرورهم .

— ٥٩ —

تدب أقدام تاسو فى معرض الزهر — وير ويكثر تردده متجلا بشتى
الماذير، أما للزيارة العابرة أو لسؤال رفقى بك عن المشتل . تنوع
الأسباب والهدف واحد . . . رفيعة . فنذ أن خطبى إلى محمود وهو
تواقى إليها يود لو يستعيدما إليه ، وهى تظن إلى حيله ومناوراته
ومرادده . تقبل وجرده ولا تشجعه . لا تدعوه ولا ترفضه . وهو
إزاء غموضها لا يدري أيقبل أم يحجم . ويكثر من وجوده ويختلط
بالعاملات ببساطته ويمازحين وهن بدورهن يرحبن به ويتقبلن عبثه
بحرح . وتنفر رفيعة من هذا التباسط ، وإن لم تظهره له .

وينتهز تاسو فرصة رفقى بها أمام إحدى الإحصى ويسألها « اسمها
إيه الزهرة الجميلة دى ؟ »

— استرليتزيا . . . عصمور الجنة .

— احنا فى الجنة فىن ؟

ثم يشير إلى مجموعة أخرى « انلا ده وده ؟ »

— مش عارفة ؟

- آه... الجلاد يولاس سبب المصائب كلها .
- (ضاحكة) شايف الروانة المشمشى والأحمر .
- بدمتك عاجبك فيه إيه ؟ ... شكله المدكبر .
- شايف الأبيض بتاعه ملائكي .
- ده بيعطوره بقى على المقابر
- عمره طويل ويعيش مدة طويلة بعد قطفه
- الله يقطف عمره .
- (بفضب) هو مين ده ؟
- (بتعير) مين غيرة يعنى .
- من فذللك لازم تحلى بالك انه خطيبي
- مزهقش منه . . خدق بالك من سنانة الموجه . . بتستحيل
- شغايفه إزاي ؟

تنظر إليه رقيقة نظرة غاضبه ثم تمضى بعيدا عنه حتى لا تسمع مزيدا من تعليقاته وتلميحاته . ولا يهتز تاسو لفضبها بل يمعن في عبثه فيجاس بدلا من عاملة الخزينة يتسلم النسقود من المشترين ويقدم إيصالات التحصيل بمهارة ومرح يضحك المشترين والبايعات حتى رقيقة لا تستطيع مقاومة حركاته الهزلية فتبتسم لكنها تذهب بعيدا حتى لا يتبادى .

وبدخل محمود في هذا الجو العايب ويحى رقيقة ويقبلها وهو يتلفت حوله يحاول أن يفهم سر هذا المرح فلا يجد إلا نظرات تاسو الساخرة الذى يمعن في التهريج مفعرا الضحك من الجبجبع . ولا يسع محمود إلا أن ينسحب إلى غرفة رفيقى تلك معوفا لحاق رقيقة به .

ويسأله رفيقك : فينك . . . أنا بدور عليك من الصبح ،
 — أناخرت شويه .. صكنا بنودع الدكتور سلطان في المطار
 — سافر فين ؟
 — روما
 — خذ أقرأ العروض اللي ح ابنتها امستردام علشان التصدير
 للومم القى جاي .
 ويأخذ محمود منه الاوراق ويقرأها . . ولا يرجعه إلا ضحكات
 البائعات وتاسو . . . فينحى الورق جانباً فيسأله رفيقك : إيه رأيك
 ولا يجيبه محمود ويستأنف القراءة . . . حتى إذا انتهى منها
 يقول فكرة هائلة . . بس إياك يوافقوا !!
 — وليه لا . . نصدر لهم زهور كاملة . . ويبيعوا أبصال وبذور
 من أنواع ممتازة . . . تبعها هنا .
 — وتوصات للفكرة دى إزاي .
 — زمان كنت أبيع القماش خام لايطاايا يتجهز وينصبغ
 هناك . ويجوزوا كمية نظير الصباغة والباقي بيعتوه .
 — يفي منه فيه :
 — تمام . . . أيام وراحت

ويتغيب محمود رفيقه فيخرج فيجدها تحدث تاسو حديثاً خافتها
 وتودعه حتى الباب ملوحة بيدها . ويشمل محمود سيجارة ينفث في دخانها
 ما يمتل في صدره . ويرمى بمخلفاتها على الأرض على غير حذر .
 يدخل رجل أجنبي يحاول إحدى البائعات لإجابة طلباته لكنها لا تفهم
 لغته . فتتصدى رفيعة ، مسعفة باللغتين اللتين يجيدهما فلا تفلح وتبادل

مع الأجانب الإذارات ... ثم نظر إلى ... رد الكي ...
لا يتقدم بل يتركها في لحنها مثنفيا مسرورا ... ويخرج الاجنبى
دون أن يشترى والقهر يكاد يفتك برفعة .. وترى آثار سيجارة محمود
على الأرض فتأسر احدى البائعات في حدة مقصودة أن تنظف الأرض .
وقمت ترقبها حتى تذهبى من عملها ثم تذهب بعيدا تبأثر عملها .
دون أن يشترى والقهر يكاد يفتك برفعة .. وترى آثار سيجارة محمود
على الأرض فتأمله إحدى البائعات هيوة أن تنظف الأرض . وتقف
ترقبها حتى تذهبى ثم تذهب بعيدا تبأثر عملها .

يفضب محمود من ذلك التعريض ويضع الخروج لكنها تلحق به
عند الباب وتساله راجح على فين ...

— مائى ...

— نسبت حاجة مهمة .

وتثبت عينيها على عينيه بقوة وجسارة ... فينحن ليضع على
شدها لقبله المعتادة فتقول له « لا ... ما اقصدش دى ... أنا تهمنى
طلبات المحل بتاعة بكرة ... وخصوصا ان بكرة الخيش والشغل بيزيد »
— عندك زكريا فى المشتل . تطلبى منه كل حاجة .. ومن هنا
وراجح أنا ما ايش دعوة بالمشتل .. شوفى حد تانى .

وتفاجأ برفعة بهذا الإنداز ولم يدرك بخلدها أن بإمكانه أن يصل
إلى ذلك الحد من الغضب . وترتبك لا تدري بماذا تجيب وماذا تفعل وتتنبه
إليه وهو يهم بمغادرتها فتتحرك بسرعة وتمسك يده .. وتساله باضطراب
« راجح فين ؟ »

- (غاضبا) ماشى . . .
- تمشى إزاي كده ؟ انت عصبي قوى الهارده .
- ماهو انتى اللى بتثيرينى بالاستاذ تاسو .
- (باسمة فى إرتباك) أنا لسه مكلماه علشانك وقلت ايه لازم يعاملك كويس ويحترمك .
- من يوم ما اشتري المشتل وهو بالحال ده .
- أنا كان مشيته دلوقت علشانك .
- ويكون هذا القول نهاية تبرمه . . فيضبط على يدها يعان انحسار انفعالاته . وتعود به إلى غرفة الإدارة وكأن شيئاً لم يحدث ، وتساله بصوت منغم « ح تبتعت بكرة دسبنتين استرليتزيا »
- فبهر رأسه بجيبيا ومبتسما . فتميل اليه وتقبله فى خده وتهمس :
- « أنا زعلانه منك »
- أحسن .
- وكان بتقول أحسن .
- علشان أصلحك
- يبقى ح أزعل كل يوم .
- من يومين قرئت كلام حلو عن المرأة والرجل والحب .
- حصه . . ودرس ؟
- أسعدما تقدمه المرأة للرجل أن تحبه كما هو وليس كما تريد
- وإيه كان .
- وتقبل على الدنيا معه وليس به .

— وإليه الفرق بين الاثنين ؟

— الأولى مشاركة والثانية استغلال .

— وأنا مين فهم ؟

— اتق الدنيا كلها .

ويقطع حديثها الهامس احتجاج رفيق بك « انتوا بتتوشوشوا

على إيه ؟

— (ضاحكة) . في كلام حلو يا دادى .

— طيب يا لله نروح بقى .

— ٦٠ —

دعا د . سلطان كل من عاونه في بحثه إلى حفل تكريم بسيط بالكلية .
ويغد المدعوون ويحيم د . سلطان أجمل تحية عاكسا عليهم نجاح بحثه .
وتأق جلسة محمود إلى جوار فائزة وأمام د . سلطان ويتأملها محمود
ويراها كما هي منذ أن كانت طالبة نفس البساطة في اللبس ونفس الشريط
الذى تربط به شعرها وتمنعه الخلف . لكنها لا تبادله الحديث وتتصرف
بكل اهتمامها إلى د . سلطان الذى تركّز كلامه عن بحثه ويمر عن ذلك
« ماصدقوش أن التجارب دى كلها تمت في مصر »

مدعو (١) — للدرجة دى جاهاين التقدم الزراعى عندنا ؟

د . سلطان — وجالى واحد من الوفد السويدى عاوز يزورنا

علشان يتعرف أكثر على أبحاثنا الزراعيه .

مدعو د ب ، — والمنظمة عملت إيه بالبحث ده .

د . سلطان — ج نشره في نشراتها العلمية .

مدعو « ا » — ده نصر على مشرف .

د . سلطان — واحد من الوفد الإيطالي طلب المعاونة علشان

يطبق نفس البحث على السكرات الافرنجى .

ثم يلتفت إلى فائزة « ح نتعبك معانا كان مرة يا فائزة ،

فائزة — أكون سعيدة لو قدرت أعمل حاجة مفيدة .

د . سلطان — تمر في ما صدقوش إن الهى قامت بكل تحايل التربة

آنة .

فائزة — الحق علينا ... لازم كل وفد على تسافر معاه واحدة

متخصصة .

د . سلطان — إقترح جميل ح اكتبه في تقريرى للجامعة .

فائزة — ونفكر سيادتك الاقتراح ده ممكن تنفيذه؟

د . سلطان — ما على الرسول إلا البلاغ ... واتق عاملة إيه في

في البحث بتاعك ؟

فائزة — لسه شوية .

د . سلطان — أهلك اختارنى موضوع صعب . عندك محمود

لولا توجيىى له كان زمانه غرقان فى الفول .

فائزة — لكننه بحث مفيد وواقى .

د . سلطان — لا أنكر فايدته ... بس صعب وبجهد وعاوز

سنين طويلة .

فائزة — وإيه فائدة العلم الهى ما يخدمش الناس ولا يواجهه

مشاكلهم ؟

د . سلطان — الموضوعات دى ليها أجهزة متخصصة .
محرد — أنا ناوى أبحث موضوع القول فى الدكتوراه ،
د . سلطان — أظن شايك برد يا فائزة ... محرد صب لها
واحد غيره ، وعن إذناكم .

وينهض ليحى باقى مدعويه ويعقب محرد وهو يصب الشاى وعنيد
جدا ... مش عارف أعمل إيه معاه ؟ ، وعندمالاتجيبه بقليل أو كثير ،
بسألها ، ومشيتى ليه بدرى يوم مناقشة الماجستير بتاعى ؟

— سمعت الموضوع ومشيت .
— طيب كنت انتظرى على الأقل علشان تهينى .
وتنظر إلى أصابعه ثم تعقب « المرة الى جاية ،
— قصدك الدكتوراه ... وأوعدك ح تكون عن القول .
وتضحك فائزة بسخية وتقول ، فول ... قح ... دزة ...
خلاص ، .

— إيه هو الى خلاص ؟ ... مش واثقة من كلامى ؟
— واثقة أو غير واثقة ... كل حاجة انتهت وانغيرت .
— أنا الى باعتبارك أكبر مساعدة ومشجعة لى ... تغيرى فكرتك
عن كده ؟

— أنا ما غيرتش فكرى ... انت الى اتغيرت .
— أنا ، ما اتغيرتش ... أنا لقيت فى دائرة كبير شوية .
— دائرة الجلادىوس ؟
— أرجو كى تقدرى ظروفى .

— (بغضب) اطروف إحتا إالى بنعملها وتصورها وبعدين
تتجمع بها .

— انتى بتحكى على من واقع الأفكار مش من واقع ظروفى .
— ح تفضل طول عمرك لغاية ما تبقى أستاذ تبرز لنفسك إالى بتعمله
بالظروف والأحوال والواقعية .

— (وقد شرده وصرح) أنا كنت إذا كر إالى أقدر لوحدى أحل
مشكله القول لقيتها مشكلة أكبر من أن يشيلها ويحلها بحث صغير ذى
الماجستير . . . وصافرت لك اسكندريه عاشان أشورك وأنشجع بيكى
لقبتك خرجتى .

— (بتأثر شديد) حظك وحظى .
— شفتى بقى إن الظروف أقوى منى .
— كان بإمكانك تستنى شوية وتعرف الحقيقة مشن تهرب وبظنونك
وأفكارك الغلط .

وتمال عليه كلماتها كسياط مؤلمة لا يستطيع معها رداً . ويعود
د . سلطان إلى مكانه ويوجه كلمة إلى المدعويين يشكرهم بها .
وينفض الحفل ويحاول محمود أن يرافق فائزة فى طريق عودتها
تعتذر له قائلة : أنا رايحة زيارة لناس قرايبى .
— مع السلامة يا فائزة . . . وأرجوكى ما تفقديش الثقة فى .

ولا تجيبه بل تمضى فى خطوات مسرعة . ولم يكن لها وجهة تذهب
إليها . ولم ترغب فى العودة إلى منزلها . تريد أن تمتد عن الوحدة .
بنفس مقدار حاجتها الابتعاد بفسكرها عنه حتى تظل عواطفها هادئة

بذفس الدرجة التي أظفحت أن تنكش بها إليها .. لا تريد مزيدا من
الدفء وبالتالي كثيرا من المعاناة . تريد أن تعيش في سلام حتى ولو كان
سلاما فاترا .

وتقر دما قدما ما إلى سهر لنهتها بمولودتها . وهناك معها سهر .

« عشرين يوم انفاية ما تيجي وتباركي »

— ما أحبتش آجي في الرحمة .

وتحمل سهر ابتها ، شوفي عالية حلوة إزاي ؟

— قورة خالص .

— وإيه الشياكة دي ... كفتي فين ؟

— الدكتور سلطان كان عامل حملة شاي بمناسبة عودته من روما .

— وشفتي محمود ؟

— أيوه .

— وعامل إيه في الكلية .

— معنى أموره مع الدكتور سلطان ... يمين يعني يمين شمال يعني
شمال .

— يعني عوزاه يعمل إيه ؟ معهود صغير ح يقدر يقف قدام أستاذ

رئيس قسم .

— معاكى حق ... بس موضوع الجلاد يولاس .. خلاه ...

— عارزاه رأي ؟

— عموما الموضوع انتهى خلاص ... وخطب رفيعة وما ليش

إني أفكر فيه .

— إليه يعنى حته دبلة لا راحت ولا جت ؟
— الدبلة ما تهمش ... الارتباط والوعد .. الاتفاق هوده
الى مؤلم .

— لو محمود عيان وعنده حمى ... تحاولي تنقذيه ولا تسيديه ؟
— طبعا أحال أنقذه ؟
— اعتبريه عيان وعنده حمى .
— محتارة يا سهير مش عارفه أعمل إيه ؟
— شغفى إنك مش قادرة تخليه من قلبك .
— محتارة يا سهير . . . والأيام بتجری . . . والعمر بيجرى
وساعات بأحسن إن الحياة انتهت بالنسيه لى من سنة أو من سنتين .
— إيه الكلام الوحش ده . اتى لسه ذى الوردة انت بخير
وانديا بخير .

ويسود الصمت لحظات تقطعه سهير و تمرق أنا حاجزة لك علية
السبوع ... غيباها ، وتوجه لاحصارها . وتسمع فايضة بكاء الطفلة
فتذهب اليها ، وتداعبها باصبعها ، وتمسك الطفلة بحركة عشوائية ، فتبتسم
لها فايضة وتضى أشجانها أمام هذه البراءة . وتستشعر حنانا بتلك الملامسة
الناعمة . وتقرب سهير منهما ضاحكة وتقول دى مسكنك ... أى حد
يقرب لها تمسك ،

— دى طعمة خالص .
وتقدم سهير اللعبة لى فايضة ، اتفضلى ..
— مرمى يا سهير ... أمشى بقى .

— مع السلامة .

وتعود فائزه إلى غرفتها حببتهما وقد هدأت نفسها ربما لما أفاضت
به إلى صاحبها ... ربما لتلك الملازمة البريئة ليد الطفلة ... وربما لرؤية
محمود بجالسته ...

— ٦١ —

يقتحم تاسو معرض الزهور نشطا مرحا وقد أمسك بيده جوازي
سفر . يشير بهما لرقيقة التي وتهرع إليه . تحاول أن تأخذ منه ما يخصها .
لكنه يرفع يده عاليا في تمنع مداعب . ثم يندفع إلى غرفة الإدارة
وتتبعه رقيقة . يدطى رفتي بك جواز سفره ويستبقى جواز سفر رقيقة
معه يفتحها وهي تحاول أن تأخذه منه فيمعه عن متناول يدها .. ثم
يقبل صورتها قائلا « ح توحشين يا أجل مصدره زهور ... »

وتقف رقيقة ضاحكة توبخه « دمك ثقيل ... »

ويستمر تاسو يفتح صفحات جواز السفر ويقول « روما » ثم
يقبل الورقة . وهكذا مع كل صفحة ومقبلا وصاعحا باريس ...
كوبنهاجن ... أمستردام ... لندن ... فيينا ... روما .
ثم يدطىها الجواز وهو يرفو إلى عينيها في إفتنان قائلا « وأخيرا القاهرة
ويشير بأصبعه إلى قلبه معقبا « هنا ... هنا »

وتزد رقيقة وهي سعيدة بهذا الغزل « ولو ... »

تاسو — بس لو أفهم عاجبك ليه فيه ... كنت عمات زيه علشان

استريح .

رفقى بك — ميسرة بقى من الرحله دى ؟ .
وتقرب منه وتقبله ومرسى يا دادى .. مرمى قوى ،
رفقى بك — علشان انصف نحك ... واطلع منه الافكار
الغلط .

تاسو — اومو ينسل أكثر يياضا .
رفيعة — لكن « نايد » يقوم بكل اعمل ... يشرف الجنينة
والمشتل ... وطلبات المعرض يوميا ... مش يلعب ويعاكن
دى ... ودى .

تاسو — ح ترجى تلاقى بأفكار ثانية ... وصورة ثانية ..
جد ... وعمل ... وطلباتك كلها جاهزة .

وتنظر إليه غير مصدقة قوله وتعقب « آهو كلام ... »
تاسو — (بلهجة حادة) ح تشوفى يا روفى ... ح تندمى .

رفقى بك — دلوقتى تعال استلم الخزينة والدفاتر ...

تاسو — أنا جاهز .

وتسأل رفيعة أباه « مر تاسو ح يشتغل هنا ؟ »

رفقى بك — أنا قسمه العمل بين تاسو ومحمود . تاسو المعرض
ومحمود للحديقة والمشتل .

رفيعة — بس يمكن يمتدكروا ببعض وتعمل مشا كل ؟

رفقى بك — ده كلها أسبوعين وزجع .

رفيعة — تاسو يفضل يلعب ويضحك مع البنات ... ومش
ح يقدر يشغلهم .

رفقى بك - وأنا كان ما اقدرش أحط راسى فى خية بحرد ...
بغضب ولا يزعل منك .. يروح خانقنى .

تاسو - إتنى ما عندكيش ثقة فى يا روفى ؟

رفيقة - إانت ظريف وكل حاجة ... بس مش بتاع لخل .
تاسو - جريبنى مرة ...

رفقى بك - كان ما تفسيش إن بحرد كل ساعة بيدد يسيتا .
تاسو - يسيب ويريحنا .

رفقى بك - مش وقته الكلام ده ... وعاوزك تكون سياسى
معاه خالص .

تاسو - حاضر يا أنكل .

وتركهما رفيقة خارجة وقد هزها الحوار . وأخذت تقارن ، دون أن
تقصده ، بين المنافسين .

١ وتمتنع رفيقة عن الذهاب إلى الممرض تجهز نفسها للسفر . أكوام من
الملابس حارها . الحقايب تفتح أفواجا تستقبل فى نهم ما تضعه بها . وتقرش
السجادة وتظهر فيما حارها من ملابس لتدق منها ما يلزمها فى رحلتها
تتردد بين هالك وذاك . تفاضل بينهما ... أيهما أجهل . تريد أن تكون
أنيقة منذ الدقيقة الأولى التى تركب فيها الطائرة . إنها أول مرة تطير
الخارج ... سترتفع إلى السماء ... سترى الأرض من على . ما هو
كبير سيدوا صغير . ترى كل شئ ولين يطارها بصر . ستمرق فوق
الجميع . . الارتفاع يهر . . يهمر بالتفوق ستهبج من راكبي الجو
ومرتادى السحاب . ، إن السفر بالطائرة لا يعنى السرعة والراحة بقدر
ما يعنى الرفعة والرقى .

وتستأنف الاختيار .. هذا فستان للهِرة ... وهذا للصباح ...
نعم الصباح في روما... حيث يتلاقى الماضي والحاضر ... روعة الماضي
وجنون الحاضر ... الأحذية ... آخر التصميمات وأحدث الأشكال
يكفيها ثلاثة من روما لتدخر مبلغا كبيرا المشتروات من باريس ولندن،
نعم لندن أرخص من غيرها لكن العطور والروائح والمساحيق من
باريس . ستمضى بها أسبوعا تزور معارض الأزياء والملاهي والمولان
روج والفولي برجير وبرج ليفل . ستعده وتري باريس من التليسكوب .
ثم حتى مونمارتر .. لا بد أن تزوره . هكذا نصحتها ميرفت هانم لتتدقق
أنواع الجبن الفرنسية ، مائة ستة وعشرين نوعا .. لن تله في لندن
مشتري وتشتري فقط . لكن ماذا عن الحمولات الإضافية ؟ والجوارك ؟
قـ: تكلفها مبلغا كبيرا ... لا ... تأسو وعدها وطمانها .. له أصدقاء
كثيرون بالوزارات والمصالح . سيسهل لها الأمور . لأنه فضلا لطيف
وأصبحت تأنس له بل وتمرح معه . لكنه دائم العبث مع العاملات خاصة
تلك الفتاة العارفة البيضاء ذات العينين الناعستين . يكثر من مداعبتها
وهي لا تصده بل وتشجعه في طراوة ماكرة . تريد أن توفقه في حبائلها
لكن تأسوا من أسرة عريقة وغنية لا يجوز أن يربط اليها . إنها مجرد
عاملة بها مسحة من الجمال وكثير من الذكاء . إنها من طبقة غير طبقته ...
لا يمكن ... إنه يهزل فقط وربما ليثيرها ... لكن هيات ... إنها
مجرد عاملة .

وتستمر في هذا العمل بين الخيال والتهيؤات حتى يدخل أبوها قافلا.
« انتى لسه بتوضي ؟ »

— له شوية .

— أنا خايت كل حاجة . . . حتى الدوا بتاهى حليقتيه فى
الشنطة . أسيبك بقى علشان أفهم محمود وتاسو يعملوا ليه .

— ما تنفاس تفهم محمود إنه ما يزعلش تاسو .

— تعالى انتى قولى الكلام ده .

— أنا زحمت من الحكاية دى .

— باى روفر .

— باى دادى .

ويأتى يوم السفر . محمود يقود العربيه صامتاً وإلى جواره رفيعة وفى
الحلف مجلس رفقى بك وتاسو . الطريق إلى المطار طويل يزيد طولا
ظلام الليل . ويزيده مللاً نصائح رفقى بك التى لا تنتهى . لازم يا تاسو
تكتب المبيعات والمشتريات يومياً .

تاسو — اطمئن يا أنكل .

رفقى بك — وانت يا محمود تبعت لتاسو الزهور يوى .

محمود — إن شاء الله .

ورفيعة جالسة تقارن بينهما ، الذى يجوارها مؤن جاد تستطيع أن
تعتمد عليه . وأن تطمئن له إلا من نوبات غضب تنتابه من حين لآخر
تعرف كيف تصرفها . أما ذلك الجالس خلفها فهو جذاب غلاب مرح
متحدث لبق يخلط الاسماع ، فى مجتمعات لكن لا يستطيع أن يعتمد عليه .
ويقطع أفكارها رفقى بك قائلاً : . وإذا زلدا حاجة من المشتل تبسها
للحلات الى فى البلد مش فى الزمالك . . . طبعاً عارف ليه ؟

عمود — طبياً .

وتعود رفيعة إلى المفاضلة . تنظر إلى عمود . إنه طيب لكن في خشونة . معتد بنفسه في ريفية . يحكم عقله كخيلاً . يفلها بالمنطق وتغلب عليه بالنعومة والاثوثة . أما الآخر فطوع بنائها ترتاح له ولا يهتمها ذهنياً أو عاطفياً . تستطيع أن تكشف أفكارها أمامه دون خشية ، بل وتستطيع أن تمرى أمامه دون أن تخجل أو تمتحنى . لكن لا تستطيع ذلك أمام عمود . . . أنه يلزمها بمحدود من السلوك والتصرف . . . أيهما أنسب لها ؟ . . . رجل الحدود ؟ . . أم فق الا حدود ؟ . . . ولم العجلة في المقارنة ؟ ستعبر بمد دقائق الحدود . . . إلى السماء حيث لا حدود ولا قيود .

وتقف للمربة أمام المطار ويهبطون ويدخلون الصالة الكبرى حيث الحركة والصخب والمكرو فون يملن ويذبه . ناس هنا وهناك ومسافرون وحاملون ومودعون وبائعون .

ويقتربون من صالة الرحيل ويرز كل منهما أوراقه . ويدعان عمودا بالقبلات والاحتضان وتخرج رفيعة منديلاً تزيل به ما شرع يسيل من عينيها في حذر حتى لا يختلط دمعها بالمساحيق والأصمغة السوداء والحرارة .

وعندما يهمان بمصافحة قاسو يقول لهما وأنا داخل معكم . . . معاً نصريح .

ويمرح معهما بينما تلوح رفيعة خائف الحاضر بيدها لعمود وتصيح ووح أبعد لك كرت من كل بلد أزورها .

ويجز رأسها مبتسماً في غيظ المصاحبة قاسو لها وبريقهم وهم يمررون بين الموظفين والمتخصصين . وقاسو يتحرك هنا وهناك بذشاط ينجز كل الأعمال وكأنه خبير ، يفتشون السفر والترحال .

وتعلم المذبةعة عن قيام الطائرة المقلدة لها . ويتجهون إلى عربة المطار
بينما يسرع محمود إلى شرفه المودعين يتابعهم بنظره - قيصعدوا الطائرة .
ويرى تاسو منهمكا في عاداتها وهي تشاركه ضحكه . ويصطفون
أمام سلم الطائرة ويحى تاسو رفيق بك ويحتضنه ويقبله . ثم يحتضن رفيعة
ويقبلها متى وثلاث ورباع . . . ثم يعطيها حقيبتها ثم يلوح
لها بيده حق تحتفى داخل الطائرة .

ولا يطبق محمود الوقوف . . . فيهرع إلى العربة ويقودها بسرعة
جنونية وإطاراتها تطلق دويلا حادا نأسا له أو نأسا منه . . .
ويخرج تاسون سعيداً باسم . . . ويبحث عن محمود أو عن العربة
فلا يجدهما ، ولا يبالى ولا يكثرث ويصعد إلى عربة أجرة مؤملا في
عودة أهنا ولقاء أسعد .

الفصل الرابع عشر

حفنة الفول

— ٦١ —

يدخل محمود قريته ليلا قافا مهموما يتحسس خطواته يتلصص طريقه .
الصمت والظلام وأمان لا يكسرهما إلا نقيق الضفادع أو بصيص
نور . ويمسك بالخطاب في جيبه ، تلمسه كلماته . أتاه من أخيه
صابر يخطره بمرض أبيه العصال

ويدخل الدار ويصدمه الحزن المقيم . لاتجبة ولا سلام . يدور بعينيه
مائلا عن أبيه وتأتيه الإجابة صمتا مضنيا . العيون والشفاه مطبقة ..
تأتي الكلام الذي تأتي على الشيخ المريض . ولا يتحمل محمود
موكب الصمت فيصرخ « أبوى ماله ... ؟ » ويمسك بشقيقته الكبرى
ويجزها بعنف صائحا « لا تطلقى ... لا تكلمى » لكنها لاتجيبه
وتنكس رأسها .

ويصعد إلى غرفة أبيه . الوجه شاحب . النظرات شاردة . الحدود
غائرة . ويلمح الشيخ إنه ... الأمل ، الإبن الرجاء .. فتومض عيناه
بشماع خافت . ويجشو محمود نحوه وفي جزع يسأله « مالك يا بابا ؟
... حاسس بابه ؟ » ولا يجيب الشيخ لكنه يربت عليه بيده اليمنى أما
يسراه فقد رقدت إلى جواره في غير حراك . يلتفت إلى أمه « والدكتور
قال لي به ؟ » فتشير الباكية إلى مائدة صغيرة عليها زجاجات وعلب
الأدوية . ثم ينظر إلى أخيه صابر « لازم أعرف تعب ازاي ؟ ...
ريحوني بقى ؟ »

— جات له نقطة على لسانه

— نقطة ... نقطة أيه ؟ .. أنا نازل المركز أجيب دكتور .

— الدكتور قال جالطه في المخ ... ويمكن يخف ويطيّب .

— كان قاي حاس إنّه ح يرقد الرقده دى .

وتمثل المريض فى رقده ويشير لهم لينجمعوا حوله ويطلب الصغار .

وعندما يلتفون حوله ينظر إليهم مرة ثم أخرى إلى محمود الذى

يقول « حاضر يا بابا ح أخلى بالى منهم بس أنت شد حيلك وخف ...

المهم تقوم بالسلامة »

الأم — (باكية) ربنا يشفيك يا أبو محمود .

ويأتى المريض .. بإشارات بأصابه وكأنه يطلب طمأنا فيسأله

عمود « عاوز تأكل ؟ » ويشير الشيخ رأسه فى وهن ثم يعيد الإشارة

وبصورة أكثر وضوحا . وتقول الأم « عاوز الدوى ؟ » فيجيب

نفيا بهزة مررأه . ويكرر نفس الاشارات حتى تقول أبنته الكبرى

« ده عاوز حب ... ممكن درة ؟ » وتلمع عينا المريض قليلا . لكنه

مازال مصرا على اشاراته حتى يدرك عمود قصد أيه ويقول « فول

فول يا بابا ... » فيرتاح الشيخ وهز رأسه بنعم .

ويؤتى له ببعض من الفول ، ويشير إلى عمود أن يقبض حفنة منه

وتمثل عمود فيضع الشيخ يده الضعيفة على يد أبنته ويضبط عليها

بقدر ما يستطيعه من جهد وكأنه يذكره بوعده له أو كأنه يوصله بأمله

ويربطه بهم على حبات الفول وشئونهم ومتطلباتهم فى حياتهم .

ويردد عمود والدهوع تذاقط من عينيه « حاضر يا بابا .. مش

ناسى وربنا يسهل ... بس انت ارتاح عاشان تخف »

وترتاح هينا المريض ... بل يرتاح هو نفسه بعد عدة أيام من المرض.. يرتاح الراحة الأبدية بعد أن يكون حل لابنه الرء التوالزمه العهد .
يمضى محمود أيام العزاء فى القرية . يتقدم الأسرة فى تقبله حسب التقاليد . يجالس هذا وذاك بقلب حزين ونفس مشتته وفكر شارد . ويضيق بالناس وصحبتهم وحديثهم ومواساتهم وعطفهم .
يود لو ينفرد بنفسه لكنه محكوم بعرف قوى وتقاليد أسرة لا يستطيع الهرب منها أو التخفيف من بعضها .

ويتجول فى أرض أبيه ... أو التى كانت كذلك عند ما كان يمارس هايتها نشاطه وطاقته . يكبد ويتعب ويجاهد فى سبيلها . ويتذكره وحركاته وصوته . يعيش أيامه معه مرة أخرى . لا يريد أن يعيى اليوم أو يامل فى الغد ... يحزن فقط إلى أمه ليسقط به من حياته يومه وغده .

ويتلفت حوله . الحقول خضراء خضرة الحياه نفسها . وهناك زهران وعلوان وصابر واسماعيل يعملون ويفعلون . ويتذكر قول أبيه « عندنا الرجالة تحزن من جلوبها وتجري برضه على عيبتها » .

وتفد فائز فى عنته على خاطره دون سبب معقول ويتذكر تعقيها بالذات على غضبه منذ سنوات عند ما أطلح المطر بالقول « ليه فايدة الوعل بتاعك ؟ لو حواته إلى طاقة وعمل مش أحسن ؟ »

ويبقى محمود من هذه اللحظات على صياح زهران « يا علوان ... يا علوان لجفل المساجى عن الخوض الجبلى أحسن اليه عليت جوى ... »

يكون أول عمل محمود بعد عودته إلى الكليّة هو إثارة موضوع الدكتوراه مع د . سلطان ، الذي ما أن يلقاه حتى يواسيه ، البقية في حياتك يا محمود ... شد حيلك .
— الشد على الله .

— رمزي بقي له أسبوع شغال لو حده في حفل التخرج ... أبقى روح ساعده .

— كنت عاوز أكلم سيادتك في موضوع الدكتوراه .

— انفضل ... انفضل .

— أنا ... أنا على عهد بخصوص الفولورجاني سيادتك تساعدي .

— يا ريت يا محمود . انت عارف إن دراسة أمراض النباتات

صعبة .. الفول عاوز إمكانيات كبيرة ... حقول ... معامل ...
إخصائين اعتادات ... أهم حاجة الاعتادات المالية .

— نطلبها ... وابتنى في الدكتوراه لغاية ما تتوفر
الاعتادات .

— ولو ما حشر وافقنا على الفلوس إلى نطلبها .

— ده ح يكون مبلغ بسيط ... ش معقول يرفض ويتوصيه

من سيادتك كل حاجة تمشي .

— عاوزني أشرف على بحث صعب بالشكل ده بإمكانيات غير

مضمونة أو موجودة .

— لو اهتميت سيادتك بالموضوع كل حاجة ح تيسر .

— أنا ما أعرفش أشتغل في بحث بالشكل ده .

— ده أنا معتمد على سيادتك .

— آسف ... ما أقدرش ... شوف أستاذ غيري

— طيب سيادتك ترشح مين ؟

— كلهم ممتازين .

ويلجأ محمود إلى أساتذة القسم أصحاب العلم وخزنة المعرفة . لعل واحدا منهم يتبقى بعنه ويتهدي لمشكلته . ليكنه يهجز في إقناع أحدهم . ويسقط فريسة حيرته لا يدري ما يفعله وحيات الذول معه تفرقة وتعذبه .

وتلفه ستارة من اليأس ، ويعطشى على فكره تشكك في ذلك المجتمع العلمي الذي ينتسب إليه . يود لو يشاركونه انفعالاته وإحساساته بما يعانيه الناس ... يعيرون هجرة القرية والزوح إلى المدينة وهم يهجرون القرية بفكرهم وعلمهم .

وأضحى وكأنه في بحر هائج تتلاعب به أمواجه رفعا وخفضا . لا يملكه مقود نفسه . عاجز عن أن يفى بوعده ناظم على الكلية ، ناظم على من فيها . لا يدري جدوى لوجوده بها . إذا كان غير قادر على إفادة أهله وذوى قرباه فهو بالتالي أكثر عجزاً عن إفادة قوافل الطلبة المتدفقة على الكلية .. لا فائدة ترجى من وجوده سواء لنفسه ولغيره . وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يبقى ؟ ليذهب ليستقيل

هذا أقل ما يفعله معبراً عن غضبه ليترك الوظيفة ويكسر اطارات العلم الجوفاء ويرتاح لهذا الحاطر ويمسك بالورقة ويمرر استقالة مسببة إلى د . . سلطان جاء فيها :

« وحيث إنى لم أجسد من يشرف على البحث وفي نفس الوقت

غير مقتنع ببذل أي جهد على في موضوع آخر افتقد فيه الإرباط والإلتزام — وهو أمر يرتب عنه عدم الحضور على المؤهل العلمي الذي يخول له الاستمرار بالأكاديمية — لذلك فاقى مضطرا الاستقالة بوجاهة قبولها .
وتحدث استقالته رد فعل قوى في القمم والأكاديمية . فبذره أول مرة يقدم معيد على الاستقالة بسبب إصراره على بحث عدد ترفضه .
هزيمة التدريس ويثور جدل حول تلك الاستقالة . البعض يرمونه بالهجوم والحق والبعض الآخر يتعاطف معه لكن لا يفتح عن الرأي ولا يناهز له جهرا .

ويجمع د . سلطان مجاس القسم لبحث استقالة محمود ، ويستدعيه لحضور الاجتماع وليناقش المجاس وأمله يقتنع برأيهم ويسترد استقالته .
و يتم الاجتماع ويستلهد ، سلطان عارضا المشكلة ثم يبدي رأيه ويقول :
د وأرجو أن يفكر بروية ويقتنع بصعوبة البحث ويسترد استقالته .
ثم يفتح المناقشة ويبدأ الأستاذ (س) د محمود جالى فعلا علشان اشرف على بحثه وأوضحه له أن المشكلة أكبر من أن تحمها دكتوراه أستاذ (ص) — إذا سلمنا . إن تجارب المعمل ح تنجح يفضل لما التطبيق الميداني في الحقول . ومن المحتمل جدا عدم حه والى على نفس النتائج وبالمشكل ده فإن الدكتوراه بناعتمك ان تحمل مشكلة القول الى انت متحدث لها .

محمود — ولية ذنب الفلاحين اللي يزرعوه ش لازم حد من العلماء يحل مشكلتهم .

أستاذ (ف) — المسائل دى لها جهات مختصة ش احنا .

أستاذ (ع) — الجامعة مهمتها تخريج القوى البشرية المتخصصة

وتسكين أجيال من العلماء . . دى رسالتها الأولى والآخيرة .

د . سلطان — بمعنى آخر إنك بعد الدكتوراه تقدر تسام مع
أى جهة ثانية فى بحث الفول . . . خدنى مثل ، أنا أستاذ فى جامعة وفى
الوقت نفسه عضو فى الهيئة العامة لمكافحة الآفات الزراعية .

عمود — يعنى أستاذى أربع . . . خمس سنين كان .

أستاذ مصر ، — ومستعجل ليه . . . ما انت لسه صغير .

عمود — مع تقديرى لىكل ما قيل فأنى لازت أرجو الموافقة على
موضوعى . بلاش أقول إن الفول غذاء شعبى وبلاش أقول إنه مكمل
للثروة الحيوانية . . . بلاش أقول إنه يعادل فى أهميته الثروة السمكية . . .
كل الاعتبارات دى معروفه لسيادتكم لكن الأهم من ده كله شعور
الفلاح إن الهبة الممتازة من العلماء بتعاطف مع مشاكله ومشا كله
وتسعى لحلها له .

د . سلطان — كلام حلو يرفع ترمومتر المناقشة . . . ودلوقتى
نتداول فى الموضوع وأشكرك يا سيد عمود .

وتسكون عبارة الشكر تليها لمعمود لىترك الجلسة فيذهب ولأهل
عنده فى تحولهم عن رأيهم .

— ٦٢ —

ولا يبت مجلس القسم فى استقالة عمود ويتركها معلقة ، لا هو يقبلها
ولا يرفضها . ويفضل د . سلطان أن يدع الأمور لمرمى الذى قد يقل

إرادة محمود ويوهن لإصراره ويفتر حماسه فيسترد استقالته ويسير على
الدرب الذى سار عليه كل من سبقه .

وينقطع محمود عن السكينة . ويلزم داره ويقبع فى غرفته معظم نهاره .
يعزف عن كل نشاط ويهجر كل عمل حتى المشتل والحديقة . وينعزل
مفكرا فى أمره ومآله .

ويستبعد تلك الأسباب التى حاجه بها أساذته ويتسلل منظمهم إليه
ويترشح بين زخارف قوهم وبساطه معتقدة . تحايله تأويلاتهم وتهزه
دعواهم وأسانيدهم . ويختلط عليه الأمر ، وتتشابك أمامه السبل يكاد
يفقد الرؤية الصحيحة لولا تلك الحبات السمراء التى أخذها من أبيه
يتحسسها بأصابعه المرتجفة فتعقد من عزمه وتمصسه من الردى وتقيه
من لقا حادا . ويرتاح لهذا الثبات ولا يأسف على تركه هذا المجال .

وتلاحظ العجوز ما ألم به فبعد نشاط جم وحرارة دائبة ولبس أنيق
ومظهر مرتب أصبح يائسا حزينا . لا تجرؤ الابتسامة أو تعبر وجهه .
النظرات مكدودة ، والفم مطبق لا يصدر عنه إلا زفرات وتنهدات
تبين وجعته .

وتحترم العجوز صمته وتعد له الشاى وتواليه بالكوب تلو الآخر .
وترمه بنظرات مبهمة وقد تسأله : مش تقول يا بنى إيه اللى شاغللك ...
فضفض عن قلبك ترتاح .

لكنه لا يجيب بل ويمسحها ابتسامة ضعيفة يطعمتها بها ويهدىء من

روعها وينافجاً بدخول زكريا عليه في غرفته . ويتلفاه كما يلقى لكمة رطبة
في صحراء جافة ويرحب به وأهلا زكريا . . . إزيك .

— إيه ده ياس محمود . . ما بتجيش ليه ؟

— شوية تعب :

— سايننا للكبير والصغير يفوس فينا .

— خير . . إيه اللى حصل ؟

— تاسو بك جه من يومين في المشتل ومعا مهندس زراعى .

— وبعدين ؟

— لفوا على الأحواض وشافوا كل حاجة . وعند الأراولا قال

شيل القصارى دى من هنا وحطها عند المساقى .

— مش كنت تقول له إن جـذورها دقت في الأرض ونقلها

يضعفها .

— قلت ورد المهندس الجديد وقال مش مهم .

— الحسكية دى تمطلنا عن المسابقة .

— أرجعها فاني مطرحها ؟

— ما لو ش فايده . . أنا جاي لك بكره .

وفي المشتل يتجه محمود مباشرة لمعاينة إحص الأراولا ويعطى زكريا

و المسابقة ضاعت منا السنة دى خلاص .

ويستمر محمود في طرافه يفحس ويفرز ويرشد وينجز الكثير من

الاعمال حتى الظهيرة ، فيجلس إلى شـجرة ليرتاح وينطلق إلى

الحضرة وإلهود الراتى أمامه ويتذكر أهله وقرينته ويتساءل . . . أليسوا أولى

بجهده وكده ؟

أليسوا أحق بكل قرش يستخرجه من تلك الأعواد النامية ؟
أليسوا أحدرها من رفقى بك وأسرته ؟

ألم يلحظ أخيرا أن رفقى بك أخذ يتمص شخصية الأمر الباهج ؟
ألم يتدخل في أمور فنية كان يسلم لها تسليما ؟

ثم تأسو هذا الفتى الغرائى بمهندس زراعى ليمارس به سلطوته .
ويصمم على لقاء تأسو ليضع الأمور في نصابها وليضرب محاولاته
من البداية .

ويدخل المعرض الذى لم يعطه منذ أن رحلت رفيعة ويتلقاه تأسو
بابتسامة مزيفة قائلا : « أهلا بالاستاذ محمود . . . »

— أنا كنت فى المشتل وعرفت إنك جيت مهندس زراعى
جديد .

— علشان يساعدك .

— بس كان لازم أعرف وكان علشان يفهم إحنا بنشتغل إزاي .

— هو حصل حاجة ؟

— أيوه نقل قصارى الأراولا .

— (ضاحكا) وهى دى الحاجة الخطيرة الى لازم يفهمها ؟

— خطيرة الى يفهم فى الزراعة .

— وهو معنى مش متخرج ذيك من كلية الزراعة ؟

— بس انا ظلم إيه الى بأعله وليه بأعله . . . مش أى كلام

وخلص .

— عموما بسيطة .

— بسيطة ازاي المسابقة راحت علينا . ورفقى بك ح يزعل خالص .

— إذا كان على رفقى بك سم — ... ح أكله وأشرح له الى حصل .

— أحب أوضح لك طريقى فى الشغل ... طول ما أنا مسئول عن المشتل محدش يتدخل فيه .

— وأحب أعرفك لى صاحب الأرض والمشتل وأعمل الى أنا عاوزة .

— فى الحالة دى ما أفدرش اشتغل بالطريقة دى .
— لانت جر .

ويذهب عمود غاضبا لجهل تاسو وغروره وتدخله فيما ليس له به علم ولا ذراية . بل وربما يفسد المشتل وجميع مزروعاته ، لكنه لن يتناول على حبة ، انصر ، فى من محترائيه ومن صديم اختصاصه ويرى أنه ملزم بماودة نشاطه بها حتى لا تضار هى الأخرى ، فلا حيرة لرفقى بك ولا ذنب لرفيقة فيما يفعله تاسو .

لم يربطهما بتاسو . ولم يجمعهم معا فى إطار واحد . لم يخطئ مهنيات ذلك بمصالح هذين . فصل بينهم . لم يهكس ضيقه بتاسو على علاقته برفيقة أو رفقى بك ، بل وأحسن بدى الخطأ الذى ارتكبه فى حتمها بتركه الحديقة وإصلاحها طرزال المدة السابقة .

تؤخذ فائزته بوجود محمود أمامها في العمل . وتترافض على وجهها ابتسامة مترددة . ويتقدم نحوها وقد بان على وجهه التعب وتحطفت عيناه بالسواد بينما تنسكح على فمه ابتسامة هزيلة هزالة . وتقودها قدماهما إليه وقد رق قلبها لحاله . تود لو تأخذه إلى صدرها لتستوعب متاعبه وأشجانه فلم يسبق أن رآته بمثل تلك المعاناة والألم وتقول هامسة « أهلا محمود ... أهلا »

— ازيك يا فائزة .

— بغير وانت عامل إيه ؟

— استقلت من الكلية .

— عرفت .

— الدكتور سلطان رفض البحث بتاعى والاساتذة كلهم كان .

— انت استعجلت فى الاستقالة .

— وجودى بالكلية أصبح بدون غرض ... بدون فائدة .

— الدكتوراه فى حد ذاتها هدف لمصلحتك .

— مش قادر أفرق بين اللى يخصنى واللى يهم أهل .

— لو كنت صبرت كان محتمل الدكتور سلطان يقتنع برأيك

لكن التحدى ده يعقد الأمور .

— الخلاف إلى بين وبينه جذرى . الاساتذة كلهم يبصروا للجامعة

على أنها رسالتها تخريج الاختصاصيين والعلماء والبحث بتاعى يغير المفهوم

ده . يبقى مش ممكن يوافقوا .

— عموماً أنت تسرعت .

— انق يا فايزه حيرتيني ساعة تلوميني علشان اشتغلت في
الجلادبولاس ودلوقت بتغلطيني علشان التزم بموقفي وبوعدي .
— الصدمات تقوي الإنسان مش تضعفه وتخليه ياخذ موقف
سلي .

— والاستقالة عمل سلي ولا إيجاب ؟
— سلي طبعا ، لأنك جمدت نفسك ومش أقادر تعمل حاجة
دلوقت .

— كان لازم أعمل كده علشان أرتاح .
— طيب لو الدكتور سلطان بعث لك ... ترجع ؟
— بأى وضع ؟
— سحب الاستقالة .
— والدكتوراه ... ؟ والفول ؟
— تركتهم الإثنين شويه .
— المسألة دلوقت بقت موضوع كرامة وموقف التزم به ،
ومش ممكن أراجع .
— والحل ؟

— أروح مكتب العمل وأشوف وظيفه ذى غيرى .
— وانماية ما تلاقى وظيفه ح تعمل إيه ؟
— امشى في الشوارع . . أدخل سينما . . . امترج شويه ،
يا ما تعبت .

— عموما لازمك راحة علشان تفوق من نوبة اليأس الى انت فيها .
— أنا تعبتك معاى يا فايزة ... وبشيلك ، همى لكن أعذرينى
كان لازم أجيلك وأكملك .

— أنا سعيدة انك جيت .
— اتق الشعاع الوحيد اللى بينور طريقى ويدينى الأمل .
— لازم يبقى فيه أمل ؟
— صحيح يا فايزة ... لسه فيه أمل ؟

ولا تستطيع فايزه أن تجيبه بلسانها لسكن تمنحه جوابا بعينها
وأهدابها المهترئة ووجهها المتورد . وهو يتأملها فى لحظة ورجاء ...
وأخيرا تجيبه برأسها . وتبعث فيه تلك اللقطة الثقة فى نفسه نحو
سعى جديد وأمل جديد . ويشكرها مش عارف أقولك إيه يا فايزه
أتق دائما أسرانى بقلبك الكبير ،

— (فى خجل) لبقى خلىنا نعرف أخبارك .
— إن شاء الله ... ومتشكر ... متشكر قوى .
ويتركها محمودة وقد لانت أسارير وجهها وزحاح أعصابها وتذهب
موتراتها لمجرد حديث ودى وأمل خافت وموضوع يتجدد يربطها
فكرا وعقلا ومحتوى .

ويعود إلى غرفته وكتاباتها لا تزال ترن فى أذنيه كنغم عذب
يمحرك أحلامه . ويوقظ ذكرياته . وينتقله من واقع حائر إلى
مستقبل أرحب وطريق أثبت .

وبينا هو فى تلك الأحلام تشد سمعه أصوات عديدة متداخلة

آنية من الصلاة والمعجوز ترحب . ويكاد يشقة أن يميز من بينها صوت
ناغم قادم من الماضي السحيق . صوت مألوف له ، ويرهف السمع .
الصوت الناعم — لإزيك وحشاني .

المعجوز — فينك ياختر من زمان مش باينه .
الصوت الناعم — في الدنيا ... وليه ما بتجيش ؟
المعجوز — ياريت أعرف عنوانك كنت جيت لك .

الصوت الناعم — ٣٨ ش صبرى بالزمالك شقة ١٦
المعجوز — في الزمالك ١١١ ... ألف مبروك .
الصوت الناعم — سبع مطارح وصالتين والفين جنيته خلو
وحياك .

المعجوز — وده بق اسم الله عليه إبنك ؟
الصوت الناعم — أيوه ... رفق ... شفق حلو لإزاي .
صوت خشن — أنا سمعت أن الهارة دي معروضة للبيع .
المعجوز — أيوه ... الورثة اختلفوا وكل واحد عاوز نصيبه .
الصوت الخشن — تبقى شروة وخيصة على كده .
الصوت الناعم — نهدها ونبقى عمارة جديدة يا حاج .
الحاج — معقول ... على ناصية وشارع كبير ... نطلع بها
عشر أدوار .

الصوت الناعم — ومكتبها بإسم الولد .
الحاج — هو أنا عندي أغل من رفقى وأم رفقى .
المعجوز — (في مزع) ولما تهدها ... الغلابه اللي يروحوا
فين ؟

الصوت الناعم — أحجز لك شقة ... بس ممنوع الإيجار من
الباطن .

المعجوز — (وهى تلفت إلى غرفة محمود) ... بس يعنى ...
محمود ...

الصوت الناعم — (مقاطعة) برضه ممنوع .
المعجوز — أمرك يا فاطمة هانم .

ويهم محمود باقتحام الباب لينبرى لها ويرد كيدها لكنه يتردد ويحجم
خشية منها ... أو تجنباً لقليل وقال وغضب واستفسار ، ... وماضى
ذهب وذال .

ويبقى من وقفته بجوار الباب على معادرتهم الشقة بينما تقول فاطمة
، نصبحى على خير ،

المعجوز — وانى من أهله يا فاطمة هانم .

ويخرج محمود من مكانه وترتبك المعجوز قليلاً . ويواجهها قائلاً :
« أنا سمعت كل حاجة ... ومن بكره ح أدور على سكن تانى »

— ليه يا بنى ؟ ... ده كلام وحديث لا يودى ولا يجيب .

— أنا ظروفى ، بغيرت ولازم أشرف سكن أرخص .

— اللى تقدر عليه أدفعه بس تفضل معاى .

— لازم أعزل ... هالوش لزوم تعبى بسببى .

— مفيش تمب ولا حاجة .

— أصلها ح تيجى كل يوم ... مش ح تسيبك ولا تريحك أنا
أنا عارفها كويس .

— ده انت موانسنى يا بنى .

— مى ح تولىسك كثر قوى ... كل يوم .

ويدخل غرفته ليفكر فى هذا الموقف الطارىء الذى وإن لم يتوقعه فقد كان حرياً به أن يتدبره بعد أن أصبح بلا وظيفة وبلا راتب، وبات عليه أن يختصر من تكاليف معيشته .

ويضمن محمود فى خط سيره اليومى، من وإلى القصر، عملاً جديداً هو البحث عن سكن جديد زهيد . يتجول فى الشوارع الخلفية والحوارى والأزقة . يمضى مع الناس باحثاً عن غرضه وقد يذمى نفسه بينهم وينسى مهمته . يجذبه زحامهم . يسير معهم على غير هدى . يسير بينهم بشعور تلقائى، ويجد الراحة والألفة وسطهم . يرقبهم ويتأملهم . يرى الكد على وجوههم المجهدة وفى عيونهم للتعبة وخطف نظاراتهم السمكة وفى أيادهم الخشنة أو المعروقة . ويدرك ثقل الحياة فى خطواتهم الجادة . ويشم التهاب فى عرقهم . يندمج فيهم ويتابع عظامهم وياتحم بهم . يشعر بينهم بالإنتاء وبالارتباط الذى فقدته بعد أن أصبح بلا عمل ... بلا قرية ... بلا صديق ... إلا فائزة ولا أحد غيرها ... حتى رفيعة أصبحت بعيدة عنه بأكثر من المسافة التى تفرق بينهما الآن . لم تذكره ببطاقة أو خطاب صغير منذ أن رحلت .

ويمضى بين الزحام ليزداد التهاماً بالناس ويزداد التصبب بهم . ويجد فى خطواتهم كآبة ويروى كآبة ويروى كآبة ويروى كآبة . يشاهد المصقات مثاهم . ويتأملها مثلهم . ثم يرى أمامه معلم فو . التدور نحاسية لامعة والرائحة شبيهة ... تحرك أمعاه وتحرك أشجائه ... القول دائماً أمامه ... وخلفه ... وحوله ... وفى أعماقه .

يرى الحال ومعرضاتها المقدسة . يخلق فيها مع غيره ، ثم يضى مثلهم بدون شراء ... زحام كثير ويبيع قليل ... ويتذكر أن الشهر الجديد قرب . وما لزحام إلا إعدادا لأوله المرتقب يتم فيه البيع والشراء ثم يعود الأمر كما كان ... زحام كثير ويبيع قليل .

ويمر بقا كى جسور ... يعرض من الفواكه عديدها ، الصيفية مع بقايا الشتوية فى تحدى واضح لفصول السنة . وفى الصدارة التفاح الأحمر والأصفر أكثر تحديا ، لا يزرع هنا ولا يستورد ... لكنه طازج دائما وتجارته نشطة حاضرة عجيب ذلك التفاح .

ويسير ويلقى جما متعلقا ، وفى الوسط قرد وصاحبه يضرب له الدف ليرقص . وفجأة يندفع القرد إلى محمود قافرا على صدره . ويرتد محمود للخلف فرعا لكن سرعان ما يشد الرجل قرده ويهم بضربه لكن القرد يقفز إليه متعلقا بكتفه وكأنه يستطفه . ويرميه الرجل إلى الأرض وينال عليه ضربا حتى يشفق عليه محمود ويطلب منه أن يكف عنه . ويعقب الرجل « لولا اليه ساعحك كنت دبحتك يا قرد الكلب » ويضع القرد أحد أطرافه على وجهه فى استحياء وخجل ويضعك الواقفين وضمنا محمود .

وتجذبها مصفات إحدى دور السينما . فيلان عظيمان فى برنامج واحد . ويزمغ الدخول لكنه يتفقد حافظته فلا يجدها ويبعث فى جيوبه فلا يثر عليها . ويتم القرد وصاحبه ويهرع إلى الشوارع القريبة يسأل هاك وذاك فلا يجد لها أثرا ويعقب البعض على الحادث إما ناعحا وإما مواسيا . — لازم تروح القسم يايه .

- وهو فيه فائدة ؟ ... زمانه جرى ... ربنا يعوضك .
- وهو معقول البرليس يمسه دى البلد فيها الف قردانى .
- آمر برضه قروح تبلغ على الأقل عاشان البطاقة الشخصية وبطاقة التأمين .
- ، يردد عمود بين الذهاب إلى الشرطة أو للنكوص أو بين السعى والاستسلام لكن . تغلب عليه طبيعته فيلجأ إلى الشرطة ويدلى بما حدث ويصف الرجل . ويخرج من مبنى الشرطة راضيا عما فعله وإن لم يأمل كثيراً فى إستعادة حافظته .

الفصل الخامس عشر

المــــودة

- ٦٤ -

وتصل محمودا برقية من رقيقة تحضره بموعد عودتها ، فيخطر كل من في القصر بذلك النبأ العظيم . ويتجهز الجميع لعودة الطافرين واستقبالهما . وتدب الحركة والنشاط في أرجاء القصر وتفتح النوافذ المغلقة وتعد الغرف والصالات لاستقبال العائدين وترفع أغطية الحشايا والوسائد والكراشي وترجف النظافة إلى كل ركن ، حتى العربية تجهز ... وتعد .

ويتردد محمود قليلا بين الذهاب إلى المطار أو الانتظار بالقصر تعبنا لمواجهة تاسوا وسعيه المؤت إلى رقيقة ، يريد أن يستخلصها لنفسه . لكنه يقرر الذهاب ليرى بعينه ما يمكن أن يحدث بدلا من الظن والتخمين أو الجهل المرير .

ويدخل المطار ويقف في صالة المنتظرين وتعلن المضيفة عن وصول الطائرة القادمة من روما . ويلح تاسو يزاحم الواقفين ويمرر إلى الصالة الممنوعة ويبرز تصرعا للحارس الذي ما أن يطلع عليه حتى يسمح له بالدخول بين مظاهر الإحترام والتبجيل . ويدهش محمود لهذا العبور ، ويجب لذلك الفتى القادر على النفاذ وتخطى القوائم والحواجر في سر وسهولة .

ويلح محمود رقيقة في ثوب أبيض تلفت هنا وهناك في بهجة

وسرور وخلفها وفقى بك جاد المظهر مرفوع الرأس في تعالى وثقة.
ويندفع إليهما تاسو يمتصنهما ويقبلهما بحرارة أكثر مما فعل في لحظة
الوداع السابقة. وتتقبل رقيقة استقباله الحار بإتسامه عريضة راضية
هائلة. ويختفون بين جموع القادمين ويتحرك محمود نحو الباب إبتمكن
من رؤيتهم فيقترب منه أكثر مما هو محدد فيعترضه الحارس ...
نفس الحارس .. وفي صوت أجش « ممنوع يا حضرة ... ممنوع »
وينظر إليه محمود بعد أن ارتد للخلف وهو يرمقه بنظرة متسائلة ...
يحرص ما ؟ ... عن ؟ ... ولما ؟

ويتابع المسرحية فيرى تاسو يتصدى لموظف الجرك ويحادثه قليلا
بينما وقفت رقيقة وأبوها يلحظان حقايبها الكثيرة في هدوء ويقين .
وفي دقائق يستطيع تاسو أن ينجز لإجراءات خروجهما ويعبرون الباب،
فرحين منتصرين والخالون من خلفهم بالحقايب المديدة .
وتلمح رقيقة محمودا وتلوح له بذراعا البيضاء ... ألقى يده
أكثر بياضا ويتقدم نحوها ويمانقها ثم تتخلص منه وتساله
« وحشتك ؟ »

— طيبا .

ثم يضافح رفيق بك الذى يبرز يده فى شدة وقوة قائلا « إزيك
يا محمود ... لعل كل حاجة تكون تمام . »

محمود — إن شاء الله .

وفي العربية يستمر الحوار .

رفقى بك — رحلة كانت موفقة من جميعه .

تاسو — انفتحت على حاجة يا أنكل ؟

رفقى بك — حاجات كثيرة ... باختصار اعتبرنى اكبر

مصدر ومستورد لزهور الزينة في البلد .

تاسو - دى حاجة عظيمة .

رفقى بك - عاوز أراجع معاك الحسابات بكرة .

تاسو - مش ح أقدر ... بكرة ح اللعب مع فرقى فى
تامرينا .

رفيعة - بتلمب دلوقى فى تامرينا ... هایل

رفقى بك - وعامل إيه فى المشتل يا محمود ؟

تاسو - أنا عاوز اشتكى لك محمود يا أنكل .

رفقى بك - إيه ... حصل حاجة ؟

تاسو - مش عاوز يشتغل فى المشتل علشان جيت مهندس

جديد .

رفقى بك - (بحدة) إزاي الكلام ده يا محمود ؟

محمود -

وتصل العربية إلى القصر ويهبطون منها وسط إمارات الترحيب

والتحيات والسلام . ويلاحقهم الخدم بالمصافحة واثم اليد التي يتركها

لهم رفقى بك فى سعادة .

وفى الصالة يستأنف الحديث .

رفقى بك - أنا منبه عليكم مش عاوز خلافات .

محمود - طالما أنا مكلف بالمشتل يبقى مفيش حد يتدخل

فى عمل .

تاسو - وأنا حر فى أرضى ... أعمل إالى أنا هاوزه .

رفقى بك - طبعاً ... طبعاً بس كان لازم تستنى إنايما أرجع .

عمود — ونقل قصارى الأراولا وضاعت منا المسابقة .
 رفقى بك — كان لازم تفهمه كل حاجة . . . مش تسيب المشتل ؟
 ربيعة — يا دادى خلاص . . . المسابقة والسكاس مالوش لزوم
 . . . إحنا بقينا حاجة تانية . . . كفاية العقود اللى معانا
 رفقى بك — معاكى حق ياروفى . . . مطلوب منى ميتين ألف
 وردة بلدى وميت ألف جلادى ولاس وخمسين ألف أراولا وأربعين
 ألف بنت القنصل .

تاسو — (بذهول) دى حاجة مش معقولة . . . ح نزرعها
 ازاي دى .

رفقى بك — (ضاحكا) أنا ح أشغل مشاغل الحسبانى . . .
 أديهم أبصال وبذور وآخذ زهور كاملة . . . والدفع بعد التصدير . . .
 واللى عاجبه على كده يشتغل معاى .

ربيعة — برافو يادادى . . . برافو . . . آهو انت دلوقتى بقيت دادى
 بتاع زمان .

رفقى بك — (موجها كلامه إلى ابنته) جميع طلباتك ح أنفذها . . .
 حساب خصوصى فى البنك . . . عربية خاصة أحدث موديل . . .
 سفر لأوروبا كل موسم . . . إليه كان أطلى .

ربيعة — مرسى يادادى . . . مرسى خالص .
 وتهض مندفة إليه تقبله مندفة بحماسة وآمانيه الواسعة
 ويعقب رفقى بك « الموضوع ده يلزمه حفلة »
 تاسو — الحفلة دى عندى . . . فى تامرينا . . . لو سمحت
 . . . نكل .

رفقى بك — ماعنديش مانع .

رفيعه — موافقة .

تاسو — وكان الأستاذ محمود يتفضل معنا .

رفيعه — طبعا مودى لازم يحى .

— ٦٥ —

الموسيقى تنساب والنسيم يمس للاغصان والأشجار والجالسين
والراقصين . يتسلل إلى الشعور الناعمة يداعبها لتخبط الأعناق والتحور
والصدور المارية . ملاعب مداعب هفريت عريد .

الغزو الخافت يرقق المواطن ويهدد النظرات ويرخى الأعصاب
إلا أعصاب محمود المتوترة ، فهي مشدودة بسلاسل من حديد ،
على طرفيها وحشان جباران يتصارعان في اتجاهاين معاكسين ، وهو بينهما
يتفسخ وينشطر ، وقلبه ينفطر وعقله ينفجر . هاهى رفيعه الفاتنة في
أحضان تاسو يراقصها منذ ساعة أو يزيد دون تعب أو كلل . وإلى
جواره رفقى بك مرحا متألعا لا يترك الكأس فارغة حتى يملأها
ويستحث محمود لمشاركته . بل ويبدى له بين الحين والآخر إعجابه
بابنته ويطرى جمالها ورقصها .

ومحمود يسمع ويحترق وتزيده الخمر احتراقا واشتعالا . لكن
النسيم يلفحه ، ويكشف عنه غللاها الخمر والعضاب والاباد
والمسافات والجذور والأصول .

وتتحرك رفيعه في أنسياب وانساق مع تاسو في براعة تفنك بمحمود .
يبعدها حيناً ويقربها حيناً في خفة ماجنة ثم يخفى بها في خضم

الراقصين المتعاقبين • وينلى محمود ، لا غليان الغيرة ، بقدر ما هو غليان
المهان المضان •

وتتوقف الموسيقى ويحترقان حلبة الرقص ، تستند إليه استنادة
المستسلة المستكينة . تناجيه بعينها وشعرها وثغرها ... لولا المكان
لناجته بكل خلجة من خلجاتها . وتجلس الفاتنة وهي لازالت ترمقه
وتقول له في صوت ساخن « مرسى يا تاسو مرقصتش بالجمال ده
حتى وأنا في أوربا »

رفقى بك — المرة اللي جايه نسفره معانا •

تاسو — مرسى يا أنكل •

رفقى بك — (ملتفتا إلى محمود) والبركة في محمود يبقى
يشوف المعرض وكل حاجة •

محمود —

رفيقة — لا كتير على مودى الشغل ده •

رفقى بك — قدما وقدود ... مش كده يا محمود ؟

محمود — ...

رفيقة — ما بتردش ليه على دادى ؟

محمود — فيه مثل في بلدنا بيقول « كلام الليل مدهون بزبد »

يطلع عليه النهار يسبح •

رفيقة — أمثال بايخه •

محمود — بس صحيحة •

رفقى بك — (حانقا) فيه حاجة في كلامى مش عجبك ؟

محمود — كله •

رفيعة — إيه ده يا محمود ؟ ... انت توفيز خالص النهاردة ..

محمود — .. (مشيرا اليهم بيده) ما إثم السبب .

رفقى بك — احنا السبب... وإلا الى مشغليك ومعيشينك .

محمود — مشروعات من غيرها يمكن زمانك فلست .

رفيعة — انت مجنون ... ولا نسيت نفسك ؟

محمود — أنا كنت مجنون وعقلت ... شفت الحقيقة ...

عرفتكم على أصلكم ... الى تحتاجوه تحرموه ... اتق بالذات

عواطفك متركبة على مصالحك ... مستعده تجي وتجاوزى الشخص

الى ينفعك ويفيدك .

ويشتعل غضب رفيعة وتخلع خاتم الخطبة من أصبعها وتقذفه به

قائلة « بيزان (فلاح) واطى »

ويقف محمود ثائرا ويخلع هو الآخر خاتمه ويرميها به ويستدير

مناذرا المكان فى غضب عارم .

— ٦٦ —

لم يبق له إلا قايذه . حال وجمال وذهب هنا وهناك ، وسار من

من حقل لأخر ومن حديقة إلى مشتل ومن حوض لحوض . زرع

فى كل مكان ، هناك وذلك ، لكنه لم يزرع لنفسه ، ولم يحصد إلا

مرارة التجربة والتفوق والتخطيط فى منمرجات الحياة . شرد فى دروبها

ومسالكها .

أحب الأرض وعشق الفلاحة وارتضى في سبيلها أن يعمل في أى بقعة ، وأن يزرع في أى تربة . لم يسأل لمن الأرض . كل ما كان يريد أن يزرع وهبت ويشمر .

وفايزه ليست لها أرض ولا حقل لكنه مشغوف بها كشفه بالأرض يريد أن يلتصق بها كحاجته للاتصاق بالأرض . أنها أمله الباقي . . ماذا لو رفضته ماذا لو تابت وتمنعت ؟ لا . . . لا . . . لازالت تكن له ودا ، وتؤثره بمطعها وحبا . . . لن تدعه للخواء . لن تتركه اليأس والانعياح . . . لن تفذه .

ويدخل إليها في معملها . . . نفس المكان . . . نفس الإطار نفس المعطف الأبيض . . . نفس الحركة الدؤوب . نفس الشمر المقوص الخلف .

وتلحه وتبسم وتتوقف حتى يقترب منها وتهمس له مرحة
« أهلا محمود »

— أهلا فايزه

ويتلمس بعينييه وجهها . . . ويتحسس أمله على فمها . وتتسع ابتسامتها لنظراته الجمائلة وتقول له وكنت عند الدكتور سلطان امبارح . فيتجهم وجهه دون أن يطلق وتستمر « وجاب سيرتك . . . وقال إن الهيئة العامة لمكافحة الآفات الزراعية » نارية تنفطأ بحاث الفول السنة دى »
— وأنا ليه علاقى بالموضوع ؟

— محتمل جدا الهيئة تكلف الدكتور سلطان بالإبجان دى .
يعنى ح يحتاج لك وتشتغل معاه .

— يعنى لازم يحتاج لى طلعان يوافق على موضوع الدكتوراه .

— خلى عندك ثقة بالحياة وبالناس .

— انا لو كنت فقدت ثقتى بالحياة ما كنتش جيت لك هنا .

— بتقول كلام بيننا نصر فافتك حاجة ثانية .

— حتى لو قلت لك إني اتحررت من رقتى بك وآل رقتى بك ...

أرجو تصدقنى ... وتصدق أملى فى الحياة ؟ وفيكى ؟ وفى الناس ؟
وهذا التصريح المفاجئ الفجائى تنتفض فايده انتفاضة شديدة
وترتبك وتترك يديها حائرة دون أن تجيب أو تعقب .

وتظل هى على تلك الحال بينما ينتابه القلق من صمتها وعزوفها عن
الإجابة . ويتوجس خيفة أن ينفذها وأن تفلت منه كما حدث فى
الماضى . ولا يجد سبيلا لأن يجتاز حاجز الصمت إلا بالكلام ...
ليقول شيئا ما ... أى شئ امل أذنها تلتقط عبارة تحركها أو كلمة
تنفذ إل قلبها . يريد أن يعيد الارسل والاستقبال بينهما ... يريد أن يستعيد
النبيض ... ينبض الحياة بينهما . وهى واقفة واجهة شاردة ويقول
« وقفنا دى تفكرنى بأول مرة قابلتك فيها لما خدت منك الكتاب
كذت مش عارف أقولك إيه ... كنت بادور على أى موضوع أكلملك
عنه علشان تقفى معاى أطول مدة ممكنة . !! »

وبعد صمت قليل يقول « كنت عاوزك ... »

« ومن يومين كنت مائى وانتشرت وضاعت عنطقى ... وكان
قدامى حلين ... أروح أبلغ الشرطة أو أصهين وفضلت إنى أعمل حاجة
إيجابية علشان أرجع المحطة ويمكن ما ترجعش ... ويمكن إتنى كان
ما تصفحيش لكن لازم آجى وأحال لأن لسه عندى أمل ... »

وتظل فايده مطرقة تصمت لكلماته دون أن يبدو منها بادرة تم بها

عما في نفسها . ويمتد محمود أنها لم تصفح ولم تقتنع ولم تنس فيمد لها يده
« صالحا مردعا . وتنبه فائزة على يده الممدودة لها وتبقى من جودها
وتنظر اليه وتردد بعد أن أدركت « في يده الممدودة لها « لا ... لا ...
لا ... ما تمشيش إستى ... إستى »

وتترك فجأة وتتحرك بسرعة لتختفي في غرفة جانبية وتعود اليه بعد
لحظة خالها دحرا وقد خلعت معطفها الأبيض وبدأت في ثوبها البسيط .
بدأت أكثر شبابا ونضارة ؛ خاصة بعد أرسلت شعرها لينسدل
على كتفها في حرية وانطلاق يحمل اليه ردا لسؤاله الذي لم تجبه بلسانها
ويظل يرمقها وهي تقترب منه وكأنه يراها لأول مرة وكأنه يرى
نفسه من خلالها لأول مرة ، وابتسامتها تشرق اشراقه تنسج له ولا مانع
بل للحياة كلها ... بما فيها من عناء وهناء وكدر وصفاء وكفاح وفلاح .
ثم يضيان إلى الخارج في خطوات ثابتة متفقة متوافقة .



الناشر
دار النهضة العربية

